



غنى طرب الوهمضة

مراجعة لتاريخ مصر الإسلامية منذ الحمله الفرنسية الى انكسنة

١٨٩٨ - ١٩٦٤

دار الاعضاء

عَمَّا طَرِيقَ الْبَهْضَةِ

مراجعة لتاريخ مصر الإسلامية منذ الحملة الفرنسية إلى العكس

١٨٩٨ - ١٩٦٤

أنور ابني جدي

دار الأحياء

آفاق البحث

صفحة

• • • • •	مدخل إلى البحث	
١٧ • • • • •	الباب الأول : من التبعية إلى اليقظة	
	الفصل الأول : نفوذ التغريب بعدم رور مائة عام على الاحتلال	١٩
٢٧ • • • • •	• الثاني : أهداف الحملة الفرنسية	
٣٢ • • • • •	• الثالث : محمد علي : تغريب النظم والقوانين	
٣٩ • • • • •	• الرابع : إسماعيل قنطرة إلى الاحتلال	
٤٢ • • • • •	• الخامس : جمال الدين وإسماعيل	
٥٣ • • • • •	• السادس : مواجهة الاحتلال البريطاني	
٥٩ • • • • •	• السابع : سعد زغلول : رائد التحول نحو التغريب	
٦٤ • • • • •	• سعد زغلول وطه حسين	
٦٧ • • • • •	• الثامن : التبعية بعد الحرب العالمية الأولى	
٧٣ • • • • •	• التاسع : الخروج من التبعية	
٧٩ • • • • •	الباب الثاني : من النكسة إلى الأصالة	
٨٠ • • • • •	الفصل الأول : تاريخ مصر السياسي	
٩٢ • • • • •	• الثاني : تغريب مصر	
١٠١ • • • • •	• الثالث : النكسة والسبع ضد التيار	
١١١ • • • • •	• الرابع : النكسة تحول حقيقى نحو الأصالة	
١٢١ • • • • •	الباب الثالث : تزيف حقائق الإسلام	
١٢٤ • • • • •	الفصل الأول : إزالة التميز الإسلامى الخاص	
١٣٠ • • • • •	• الثاني : تزيف حقائق الإسلام	
١٣٦ • • • • •	• الثالث : قضايا الاستشراق	
١٤٣ • • • • •	• الرابع : المدرسة والمناهج التعليمية	
١٤٨ • • • • •	• الخامس : الجامعة وتبعية المناهج التعليمية	
١٦٣ • • • • •	• السادس : تغريب الأزهر	

- ١٩٩ . . . السابع : مدرسة الترفيه والتسلية .
- ١٧٥ . . . الثامن : مدرسة الصحافة .
- ١٨٩ . . . الباب الرابع : تمزيق الوحدة الإسلامية .
- ١٩١ . . . الفصل الأول : المؤامرة على الوحدة الإسلامية .
- ٢٠٥ . . . الثاني : تأمر دول الغرب على الإسلام .
- ١١٩ البعده الخامس : تدمير المجتمع الإسلامي .
- ٢٢١ الفصل الأول : فساد المجتمع .
- ٢٣٠ . . . الثاني : المؤامرة على المرأة المسلمة .
- ٢٤٠ . . . الثالث : إحتواء الأجيال الجديدة .
- ٢٤٩ الباب السادس : القانون الوضعي والاقتصاد الربوي .
- ٢٥١ الفصل الأول : تاريخ القانون الوضعي .
- ٢٦٠ . . . الثاني : ما يؤخذ على القانون الوضعي .
- ٢٦٦ . . . الثالث : عقبات في طريق التطبيق .
- ٢٦٩ . . . الرابع : مؤامرة تطوير الإسلام .
- ٢٨٢ . . . الخامس : الاقتصاد الربوي .
- ٢٩٨ الباب السابع : تحديات في وجه الثقافة العربية الإسلامية .
- ٣٠٧ . . . الثقافة - ٣٠٠ . . . الأدب - ٣٠٣ . . . اللغة .
- ٣١٥ . . . التاريخ - ٣٠٩ . . . العلم - ٣١٢ . . . الفلسفة .
- ٣١٨ الفن .
- ٣٢١ الباب الثامن : إفتحام العقبات .
- ٣٢٩ أولا : أخطاء مناهج التعليم .
- ٣٣٢ ثانياً : التحديث في إطار الأصالة .
- ٣٣٧ ثالثاً : الإسلام قوة عالمية .
- ٣٤٣ رابعاً : الغرب يكتشف الإسلام .
- ٣٤٩ . . . خامساً : ذاتية الإسلام وتميز الشخصية الإسلامية .

مدخل إلى البحث

على الكاتب المسلم إضاءة الطريق أمام الأمة الإسلامية لتعرف واجبها ومسئوليتها إزاء ربنا الخالق العظيم ، إيماناً به وجهاداً في سبيل إعلاء كلمته وتحريراً للكلمة المسلمة من تلك الغواشي والعواصف والسموم التي تحاول قوى التغريب والغزو الثقافي أن تملأ بها جو الفكر الاسلامي حتى تحول دون الرؤية الحقيقية ، ودون الايمان الصادق بأن هذا الدين هو الحق الذي أضاء للبشرية الطريق إلى معرفة أهدافها وغاياتها ويكشف لها مسئولياتها الفردية والخلقية والجماعية ، وهو اليوم مطمح أمل الأمم في كل القارات الخمس بعد أن تهاوت الحضارة الغربية وعجزت الابدولوجيات خلال القرون الخمس الماضية عن أن تحقق لها الأمن أو السلام أو مطامح الروح .

ولعل من أخطر القضايا التي تطرحها قوى التغريب والصهيونية اليوم في أفق الاسلام : محاولة تبييع مفهوم الاسلام الاصيل وصهره مع الاديان في بوتقة واحدة .

وقد جاء كاشفاً ومصححاً لما وقعت فيه الأمم من إنحرافات عن دين الله الحق ، ولذلك تطلع علماء الغرب إلى الاسلام في أعظم ظاهرة في مطالع القرن الخامس عشر بوصفه منقداً للحضارة المعاصرة والمجتمعات المعاصرة وأنه وسيلة الانقاذ الوحيدة من التردى في الهزيمة والتدمير الذي وقع بالحضارات الرومانية والفارسية والفرعونية .

ولقد مر اليوم على الاحتلال البريطاني لمصر مائة عام (أى قرن كامل من الزمان) يوازي القرن الرابع عشر الهجري تماماً حيث جرت المحاولة في مراحلها المختلفة لتغريب هذه الأمة وفصلها عن عقيدتها وقيمتها ومقوماتها ، وهي محاولة بدأت منذ الحملة الفرنسية ووصلت غايتها بالاحتلال البريطاني وذلك

المخطط الذي رسم كرومر والذي سار عليه خلفاؤه ، ولقد كانت هذه السنوات هبارة عن صراع دائم متصل بين الاصل والتغريب ، وبين فرض أسلوب العيش الغربي ورفض هذا الأسلوب ، وبين الادعاء بأن قبول تجربة الغرب السياسية والاجتماعية هو المنقذ للأمة الاسلامية من التخلف ، وقد تبين فساد ذلك كله وعجز معطيات الليبرالية الغربية والماركسية الشيوعية عن إعطاء النفس المسلمة التي تشكلت خلال أربع عشر قرناً في محيط الاسلام والقرآن ، عجزت هذه الابدولوجيات عن إعطائها أشواقها ومطامحها ، وإن كانت قد استطاعت التأثير في عاداتها وأخلاقها وإعراقها ، ولكن نكسة ١٩٦٧ هزت وجدان الأمة مزاً شديداً وكشفت الحقيقة التي لا مناص منها وإياه لا سبيل لهذه الأمة في بناء وجودها وتشكيل مجتمعتها واستئناف حضارتها إلا عن طريق واحد : هو طريق منهج الله وحكم القرآن وقد نشأت منذ ذلك الوقت وإلى اليوم ظاهرة حقيقية لا سبيل إلى تجاوزها هي : (الصحوة الاسلامية) .

وبمر العالم الاسلامي اليوم بمرحلة حاسمة من تاريخه الطويل ، ونخشى أن يكون هناك تسليم لمفاهيم الخضوع والقبول بالعناصر الغربية في قلب الأمة الاسلامية تحت ضغط القوى المسيطرة أو استسلاماً للترف والمتاع المادي .
لا يبق لكاتب وراء ما كانت هناك محاولات لا حتواء الصحوة الاسلامية خربها وبذلك يتأخر خروج المسلمين من مرحلة (اليقظة) إلى مرحلة (النهضة) وأحطر ما في ذلك أن يذهب الأعداد والجهاد والمرابطة في الثغور ، والقبول بمعطيات الغرب في منهج التحلل والترف والانحلال التي تنكاد تحطها من كل طريق ، وخاصة طريق المسرح والتلفاز والكتب الرخيصة والقصص وأدبيات السحرة ، والمراهين وقصر الحب والهيام مما يضعف القدرة على الحصانة والمقاومة ، وبما يؤدي إلى انحراف المسلمين عن الطريق الصحيح : طريق الأسرة وبناء المجتمع . وحماية المرأة وسلامة الاجيال ، كذلك فإن الخطر قائم مما يخشى أن يكون التفتح على جميع المعارف والمذاهب (دون تعرف لموقف الاسلام منها) مما يجعلنا نقلل من شأن قيمنا الاساسية وشأن الحدود التي أقامها الله تبارك وتعالى ، وتلك الضوابط التي بثها فينا

الإسلام لحماية شخصيتنا الفردية والجماعية ، مما يؤدي إلى الاستسلام لانحراف حضارة مناره . ولما كان الإسلام هو القوة الوحيدة التي لها قدرة التنبئة وقت الخطر ولحظة المصير ، وهو الذي يجمع القلوب حين يهدد الأمم الاجتياح والزوال ، فإن من أهداف النفوذ الاجنبي أن تطوى هذه الصفحة ، إذ أنه قد أطن مراراً عن رغبته في نزع فتيل أئدين عن أرض الإسلام ليحولها إلى قطعة من الحديد الحردة التي لا فعل لها ولا أثر ، ويصبح معها المسلم أجنبياً في أرض بلا هوية ولا بطاقة ، مما يؤدي إلى نفس « الوحدة الإسلامية » من جذورها وخلع المسلمين من نسبهم وإتنائهم وتاريخهم .

فقد انفتحت جهود القوى الاجنبية على ضرب الوحدة الإسلامية وتفتيت تجمعات المسلمين إلى شظايا صغيرة ، بما يمكن للقوى الفاصلة من السيطرة والتحكم .

ولقد كان التجمع الاسلامي دائماً إنسانياً للسلام والحق والدفاع عن الشخصية الإسلامية وإبراز ملامحها وليس للغزو أو الفتح أو العدوان .

لقد احتوت تلك الفترة الخطيرة على مؤامرات متعددة :

- ١ - ضربت الوحدة الإسلامية وفرضت القوميات والاقليميات .
- ٢ - ضربت الشريعة الإسلامية وفرض القانون الوضعي :
- ٣ - ضربت اللغة العربية الفصحى وفرضت اللغات الاجنبية والعواميات .
- ٤ - ضرب مفهوم الجهاد :
- ٥ - ضرب مفهوم الاقتصاد الاسلامي وفرض الاقتصاد الرأسمالي .

وكان أسوأ ذلك كله التفرقة بين الاستعمار وبين التبعية الثقافية ، فقد كان كتاب مصر يهاجمون النفوذ الاجنبي في نفس الوقت الذي كانوا يشيدون فيه بالثقافات الغربية والحضارة الغربية ويطنون ولائمهم لها ويهيجون لذهابها .

ولسكن ظهور النقطة الاسلامية وقيام مفهوم أصيل لمواجهة الاحداث يستمد قوته ومصادره من الإسلام مرة أخرى بعد أن حجبت هذه المفاهيم ونهاوت ، كان عاملاً خطيراً في مواجهة المدرسة العلمانية التغريبية التي أنشأها النفوذ الاجنبى وقادها لطفي السيد وسعد زغلول ، والتي عملت على تحويل مفهوم الإسلام إلى دين عبادة ومسجد ، وحجبت مفهومه الأصيل بوصفه نظام مجتمعي ومنهج حياة ، وله أيديولوجيته الكاملة في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية مستمدة من القرآن الكريم على النحو الذى طبقها المسلمون والذى كان قائماً حتى ما قبل الاحتلال البريطانى الذى أوقف تطبيق الشريعة الإسلامية وأقام المحاكم المختلطة والاهلية على أساس القانون الوضعى .

وكان سقوط الخلافة الاسلامية ١٩٢٤ علامة على اليقظة كما كان سقوط القدس في نكسة ١٩٦٧ علامة على الصحوة .

ولقد اتسع نطاق الدعوة الاسلامية وكان عليها أن تقدم منهجاً في التعليم والصحافة والثقافة ، غير أن المعوقات التي قادها النفوذ الاجنبى مازالت تؤخر هذه الخطوة ، وما يزال يسمع اليوم رأى المنهج الغربى الليبرالى ورأى المنهج الماركسى الاشتراكى في مختلف الامور ، دون أن يسمع رأى المنهج الغربى الذى هو صاحب الحق الاول في أرضه وبلاده .

ولكن نكسة ١٩٦٧ فجرت طاقات جديدة فاستعانت دعوة العودة إلى الله ، وخطت الامة الاسلامية خطوات نحو نقين الشريعة الاسلامية وعدلت الدساتير في عديد من البلاد العربية والاسلامية ليكون الشريعة الاسلامية هي المصدر الاساسى للقانون .

وهي خطوة جامت في ظلال الصحوة الاسلامية التي لا يتوقف طلبها عند تطبيق الشريعة ، ولسكنها تأمل في أن ينتظم الاسلام المجتمع كله ، في كل شئونه وأموره ، بما يودى إلى إمتلاك الامة الاسلامية لاراداتها وإقامة مجتمعا وتبليغ رسالتها للعالمين .

ويبقى بعد ذلك على المسلمين أن يتعلموا من عبرة التاريخ البشرى ،

وليس في التاريخ البشرى إلا تجربة واحدة مستمرة على مدى الاجيال : تلك هي الخضوع لله تبارك وتعالى (أو الاعراض عنه) فالمجتمعات التي قامت حضارتها واتسعت ونمت ، هي المجتمعات التي قامت على أساس الاذعان لإرادة الله تبارك وتعالى والإيمان به فإذا أعرضت المجتمعات عن أمر الله أصابها سنة الإزالة والإبادة ، ومن ثم تحطمت الحضارات الباذخة واحدة بعد أخرى لأنها فسدت حين انحرفت عن سنن الحق إلى الترف والفساد والزنا والاباحه والبغاء ، هنالك كان هلاكها وهذه هي عبارة التاريخ قائمة بالحضارة التي نعيشها اليوم ، فالمسلمون مطالبون بالناس سنن الله الحق والسير على طريقه المستقيم وتحرير مجتمعاتهم من العوامل الضاغطة التي تفرضها القوى الاستعمارية واليهودية والشيوعية لاحتواء عالم الاسلام والحيلولة دون تميزه وتفرد بهذائمه الخاصة ورسالته العالمية وبذلك يسقط في أنون التبعية والاحتواء وينهار مع هذه الحضارة حين تنهار .

وليس غريباً على المسلمين مايمرون به الآن من أزمات تشتد كلها زاد الوعي ، فإن الإسلام لم يترك منذ السنوات الاولى من تاريخه وشأنه ، ولكنه واجه كثيراً من التحديات الروحية والسياسية والثقافية من الغرب ، وكان على الإسلام أن يناضل ويكافح ويخوض المعارك وقد أفلح في أن يصمد أمام الغزو والاستعمار الاوربي إلى المناطق التي يسود فيها ولكن الإسلام لم يكنف بالدفاع عن نفسه خلال ذلك كله ، بل أخذ المبادرة في مواجهة الهجوم واستطاع في خلال القرن الرابع عشر أن يكشف زيف التغريب والاستشراق والغزو الثقافي وأن يؤكد أن منهجه أعظم المناهج ، وأعلن أننا أمة واعية فطنة غير خادعة ولا مخدوعة ، تستفيد من تجارب الآخرين ، وتصهرها في بوتقة فكرها ولا تخرجها عن جوهر أصالتها وأمانتها تجربة العلمانية التي ابتدعها الغرب في مجتمعه وقد فسدت وفشلت وحطمت السكبان النفسى الإنسانى للفرد والمجتمع ، والفكر القومى وقد توهم بعد أن أجمعت إمكاناته بعد أن استهلك ، وبأن عواره ، وتكشف فساد نظرية الوحدة البشرية .

وتبين أن لكل أمة خصائص خاصة غير خصائصها العامة تستمد منها منهجها

وأشواقها الروحية وتختلف بها عن الأمة الأخرى ، وتميز بها وفي مقدمتها العقيدة وأن خصائص الأمة الإسلامية تختلف عن الأمة والنظرية المادية في مسألة التوحيد والعلاقة بين الرجل والمرأة والتعامل الاقتصادي ، وفي الأساس :

ليست الديمقراطية الغربية هي الشورى الإسلامية .

وليست الاشتراكية هي العدل الاجتماعي .

ولا بد من تحديد مصطلحات كثيرة :

(أولاً) : الأمة الإسلامية : حيث يفرد الإسلام بمفهوم أصيل للأمة الإسلامية ، حيث يركز مفهوم الأمة في الحضارات المختلفة على أسس جغرافية ومنها الأسس القومية ، وفي كل الأحوال يركز مفهوم الأمة في الحضارات الأوروبية على فكرة المولد كما يفهم من استقامة كبة (نين) بمفهوم الأمة في الحضارات الأخرى يدور حول المنبت أو الأصل البيولوجي أو الأمومة والولادة .

أما مفهوم الأمة في الإسلام فهو مفهوم فكري حقل وجداني عقائدي ، أى أن الأمة الإسلامية يدور كيانها حول الهيكل الفكري والعقائدي للإسلام وينأسس ذلك النظام ، فالتبليغ أو الدعوة الإسلامية هو وسيلة تكوين الأمة الإسلامية فلا بد من إقامة الإعلام الإسلامى على أسس عقائدية وحضارية .

وفي ثلاث أمور يجب أن تقوم الأمة الإسلامية :

١ - النظام الإسلامى الاقتصادى والسياسى .

٢ - النظام الإسلامى فى التعليم والتربية .

٣ - النظام الإسلامى فى العلاقات الاجتماعية ومنها مسئولية المرأة فى بناء الأسرة والطفل .

فقد تشوهت مفاهيم المجتمعات الإسلامية في هذه القضايا الثلاث باستيراد
النظم الأجنبية ، مما كان له أثره في تأخر النهضة ومما قام عقبة في وجهها .

(ثانياً) الاصاله : إن مصطلح الاصاله يقتضى المفهوم الصحيح الاسلام
ورسالته الشاملة للحياة وإحياء الروح الإسلامية الحقيقية في النفوس وحملها
على استكشاف ذاتها وتعلقها بالاصول وترويضها على رفض كل سيطرة أجنبية
تفرض سلطتها بالقوة أو ثقافتها عن طريق الخيلة والاستدراج حيث إن مبادئ
الإسلام لا ترضى للمؤمن أن يكون ذليلاً لغيره في إفكاره وسلوكه فمعرفة
الذات وفهم الواقع هما واجب الفكر الإسلامي المعاصر .

(ثالثاً) : مصطلح الحرية : والحرية في المجتمع الإسلامي هي حرية مضبوطة ،
لا تنحل حراماً ولا تحرم حلالاً ، والحرية في المجتمع المسلم تضمن للفرد عدم
الاعتداء على ماله وجسمه ونفسه وعرضه ، وإقامة الضوابط التي تحفظ هذه
الحریات وهي تتمثل في التمسك بالقيم والاخلاق التي أقامها الإسلام وخوف
الله (تبارك وتعالى) وبقرائه وأقامة الحدود .

والإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو مالك الكون والانسان وإن للإسلام
مسئولية فردية والتزاماً أخلاقياً (وإن هذا صراطى مستقيماً فانبهوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

(رابعاً) : الإيمان الصادق بأن للإسلام مقاييسه الخاصة ومعاييره
والتزاماته فهو صالح لذاته وليس صالحاً لانه — موافق للديمقراطية أو
للانتماء أو للرأسمالية أو لان فيه حرية فردية أو لان فيه مصلحة
الإنماء ، أو لان فيه كذا وكذا إلى غير ذلك من المفاهيم المتشابهة مع
مذاهب أخرى ، أن للإسلام مقاييسه في الخير والشر والحق والباطل ،
وهي مقاييس مستمدة من مصدر رباني إلهي أعظم ، فوق كل المصادر ؛ ومن هنا
فقد تميزت بالخلود والمرونة والقدرة على العطاء في مختلف البيئات والعصور ،
وهي التي أعتصم بها المسلمون في مختلف مراحل حياتهم وتاريخهم ، وعادوا

إليها في الأزمات والملمات ففتحت لهم أبواب النصر والتمكين ، ونحن اليوم لا نجد غيرها منطلقاً لامتنا بعد تجربة مع الأيدولوجيات البشرية التي استمرت أكثر من مائة عام أو تزيد .

(خامساً) : إن واقع المسلمين اليوم ليس حجة على الإسلام ذلك إن واقع المسلمين اليوم هو حصاد الاستعباد والاستعمار وما مر على الأمة الإسلامية من دعوات مسمومة ، فالاستعمار لم يترك المسلمين يعيشون واقعهم الحقيقي بل ضرب وحدتهم الكبرى وقسمهم إلى قوميات وطوائف وأحزاب بينهم العنصرية والشعوبية وزين لهم الرجوع إلى حضارات ما قبل الإسلام أمعانا في أبقائهم عميقين ومتخلفين وصرفا لهم عن الدخول في تجمع إسلامي فالإسلام في الحقيقة اليوم محجوب بالمسلمين وإن إصدار أى على الإسلام من خلال واقع المسلمين ليس سائما والواقع أن هناك منهج الإسلام الأصيل وهناك التطبيق ، أما منهج الإسلام فهو الذى لا يأنه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أما واقع المسلمين خلال التاريخ فهو بين التجربة والخطأ وهو ليس حجة على الإسلام ولا كنه حجة على المسلمين .

(سادساً) : كان لا ستشراء المفاهيم المادية والماركسية أنو بعيد في بروز ظاهرة التسابق المادى والطموح إلى إقتناص المال من أى طريق دون اعتبار لأى مقومات أخلاقية أو دينية وبرز ذلك التنافس حول الولاء والنفاق لذوى النفوذ لا نهاب أكبر قدر من المطامح المادية وغلبه مظهرية الترف والإسراف واختفاء طوابع القناعة والاقتناء والاستعفاف عن الحرام وإن الصدقات للفقراء والمعوذين .

سابعا : هناك أسلوبان لمواجهة الغزو الفكرى :

الأسلوب القومى ، أو الادبى أو الوطنى وهو أسلوب قاصر ضيق

المنطلق لأنه تقف عند جانب واحد ، أما الأسلوب الإسلامى فهو الأسلوب الجامع الحقيقى القادر على المواجهة الصحيحة من منطلق النظرة الجامعة للمادة والروح ، والعقل والقلب ، والعلم والدين والدنيا والآخرة وهو المرتبط بالزمن تاريخاً وبالبيئات عرضاً وبمختلف الظروف وحسبيلة التجربة التاريخية الإسلامية فى مواجهة الغزو الفسكرى والنفوذ الاجنبى فى مجال التاريخ والمجتمع والحضارة .

* * *

إننا اليوم حين نستعرض موقف أمتنا من التحديات الخطيرة التى فرضها علينا النفوذ الاستعمارى خلال هذه المرحلة من الحملة الفرنسية إلى النكسة نجد خطأ واحداً : ذلك هو إصرار القوى الاجنبية على تأخير وصول المسلمين إلى امتلاك إرادتهم وإقامة مجتمعهم واستئناف حضارتهم وأداء دورهم الإنسانى الربانى فى تبليغ الإسلام للبشرية التى هى الآن فى أشد حالات الحاجة إلى هذا المنهج بعد أن اضطربت مسيرتها وفشلت الايدولوجيات الوضعية التى فرضت عليها ، ولقد استطاعت الدعوة الإسلامية أن تدق طريقها رغم كل هذه المصاعب وأن توجد لها مكاناً حقيقياً وأن تقدم منهاجها وأن تدافع عنه وأن تكشف وجهة نظر الإسلام فى كل ماطرح فى ساحتها من مذاهب ودهوات ، بل إنها قد أعلنت بكل الوضوح بعد تجارب الاختواء التى فرضت عليها أن كلا المذهبين الغربيين (الرأسمالية والماركسية) لا يتناسبان معها ، وإن لها مذهبها الاصيل (الإسلام) الذى تشكل عليه وجودها والذى هو قائم فى أعماق وجدانها بالرغم من كل المحاولات التى جرت فى القرن الماضى لاقصائها عنه .

لقد استطاعت هذه الامة أن تكشف نفسها وكانت نكسة ١٩٦٧

منطلقاً حقيقياً لا نفاهاً من مرحلة البقطة إلى مرحلة النهضة ، ومن ثم فإن
« الصحو الإسلامية ، التي يعيشها المسلمون اليوم هي حقيقة واقعية .

ولقد شهد الأعداء بهذه الحقيقة ومن أمثلة ذلك ما كتبه المفكر الغربي
« جيمس بيسكاتوري تحت عنوان :

« الظاهرة الإسلامية وجدت لتبقى وعلى الغرب أن يتعامل معها على
هذا الأساس . »

يقول : إن الفكر الغربي خاضع لما ورثه من عهود الحروب الصليبية
إن المحللين رأوا استحالة نهوض المسلمين ولحاقهم بالمصر الحديث دون
تبنيهم العلمانية (اللادينية) .

لقد ربطوا بين التحديث والعلمانية ربطاً لا فكاك فيه ، كذلك فإن
التفكير الغربي (النطلي) قد قاد الغربيين إلى النظر إلى الإسلام في إطار
الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية وليس في إطار تعاون محتمل
يرتكز إلى قيم مشتركة بينها ، إن على الغربيين أن يتعلموا التعامل مع
(الظاهرة الإسلامية) على أنها وجدت لتبقى ، إن الإسلام موجود الآن
في صفوف الحكم والمعارضة سواء ذلك إيماناً به أو تظاهراً أمام الجماهير
المؤمنة به ، كذلك فقد أصبح الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وأوروبا
الغربية تربة خصبة لتفريخ الحركات الإسلامية وعادة ما يرجع هؤلاء
الطلاب الذين يتلقون علوماً متقدمة في الغرب ليتسلموا مراكز قيادة في
بلدانهم وهذا يتيح لهم نشر أفكارهم الإسلامية ،

ويرى كثيرون أن الصحف الإسلامية ومظاهر البحث الإسلامي هي
في جوهرها وفاء عاجل للوعد الإلهي بحفظ دينه والتمسك به لا ماله ونصبي

للمستضعفين في الأرض (وهد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض) .

كما أن الصحوة ثمرة للجهود الصادقة المؤمنة التي بذلتها حركة اليقظة
الاسلامية ليس طمعا في مال ولا جاه وإنما هي دعوة مخلصه لتكسين دين
الله في الأرض وإن هذه الصحوة تدل دلالة جلية على فشل الاتجاهات الوافدة
التي سادت المنطقة الاسلامية وإن اقتناع الجماهير المسلمة وتعاطفها مع
اليقظة بالعودة إلى الاصالة يرجع إلى رفضها الكامل لكل عوامل تزيف
هوية الامة باستيراد المفاهيم والقيم من خارج الحدود ، وإن اليقظة عبارة
عن حركة إيمان ورسالة لا نقاد العالم من برائن الحضارة المادية التي دمرت
العالم المعاصر .

إن الامة الاسلامية اليوم في مطالع القرن الخامس عشر تشق بثقة تامة
بأن النظام الاسلامي قادر على أن يقدم للمسلم - بل للبشرية كلها - الحلول
الكريمة لكل أزمانه ومشاكله سواء في مجال بناء الفرد أو بناء الأسرة
أو بناء المجتمع وفيه كل ما يتوقى به الطغيان السياسي وسوء توزيع الثروة
والفساد الاجتماعي . إن الجماهير المسلمة تؤمن بأن الاسلام قادر على أن يقدم
الحلول لمشاكلها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وإن الإسلام فعل ذلك
في الماضي وأشاع روح الأمن والكرامة والسماحة على العالم الذي أظله
الظلمة كأمه وإنه قادر على استئناف التجربة مرة أخرى ، وإسعاد البشرية
كلها وإخراجها من ظلمات ذلك الليل الذي أحاط بها واليوم يتنادى فلاسفة
الغرب يتطلعون إلى الاسلام موقنين بأنه دين المستقبل ، وإنه يمكن بيوتهم
وإن الاسلام قادر أن يقدم اليوم منهجه بلغة العصر ومن نقطة الواقع المعاش
في دعوة واضحة حريجة أن تعدل المجتمعات نفسها لتلائم مع نظام الله
في أصوله الثابتة التي لا تتحول ولا تتغير .

فالإسلام حاكم ومهيمن على المجتمعات وعلى المجتمعات أن تتحرر من الوثنيات
والماديات لتسلم وجهها لرب العالمين وتعترف بأنه هو مصدر كل شيء وتحطم
بأيديها تلك الأوثان التي صنعتها مما يسمى الطبيعة والحتمية والجبرية وأن
تؤمن بالخالق الأعظم وتقبل منهجه في الحياة والمجتمع والحضارة .

ولن يتحقق ، هذا إلا إذا استمسك المسلمون بالذاتية الإسلامية الخاصة
التي لا يقبل الانصهار أو الاحتواء أو الذوبان في حضارات الأمم أو مناهجها
وأيديولوجياتها . وإنا نتطلع إلى اليوم الذي يصل فيه المسلمون إلى إمتلاك
الارادة لكسر هذه القيود التي تكبلهم في عبودية قاسية للقوى الخارجية
في مجال الاقتصاد والقانون والتربية ، ولن يكون ذلك إلا باجتماع الأمة
الإسلامية في وحدة حقيقية حول منهج الله الحق والله من وراء القصد .

الباب الأول

من التبعية إلى اليقظة

- الفصل الأول : نفوذ التغريب بعد مرور مائة عام على الاحتلال
- الفصل الثاني : أهداف الحملة الفرنسية
- الفصل الثالث : محمد علي : تغريب النظم والقوانين
- الفصل الرابع : إسماعيل قنطرة إلى الاحتلال
- الفصل الخامس : جمال الدين وإسماعيل
- الفصل السادس : مواجهة الاحتلال البريطاني
- الفصل السابع : سعد زغلول : رائد التحول نحو التغريب
- الفصل الثامن : التبعية بعد الحرب العالمية الأولى
- الفصل التاسع : الخروج من التبعية

الفصل الأول

١٨٨٢ - ١٩٨٢

نفوذ التعريب بعد مرور مائة عام على الاحتلال البريطاني لمصر

ثلاث موجات مر بها العالم الإسلامي في العصر الحديث تحت أسماء الاستعمار الغربي الزاحف على بلاد المسلمين .

بدأ هذا الاستعمار بالزحف الأسباني البرتغالي الذي كان يطمح في الانتقام من العالم الإسلامي على أثر سقوط الأندلس وما أطلق عليه معركة الاسترجاع . وقد تواصل الزحف الأسباني البرتغالي على شاطئ شرق أفريقيا انتقاماً من الوجود الإسلامي في الأندلس .

وكانت حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وأسبانيا (١٥٣٠ - ١٨٣٠) تقريباً وعلى أثرها بدأت مرحلة الغزو الفرنسي والبريطاني الذي توزع على العالم الإسلامي فتقدمت فرنسا في شمال أفريقيا (تونس والجزائر ومراكش) والشام بعد الحرب العالمية الأولى .

كما تقدمت الدول الأوروبية في قلب أفريقيا (١٨٨٠ تقريباً) لاحتلال بلادها وتلك معركة طويلة .

وفي المشرق كانت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ مقدمة للنفوذ الغربي وكان مصدر دخول التعريب والغزو الثقافي الذي حرصت فرنسا على إذاعته عن طريق معاهدها وإرسالياتها في مصر وفي لبنان وإستانبول في هذه الفترة .

هذه هي المرحلة الأولى التي تلتها مرحلة حكم اسماعيل والديون وتغلغل

النفوذ الاجنبى وتصارع النفوذين الفرنسى والبريطانى ثم جاء الاحتلال
فسيطر وحول الاتجاه الثقافى والسياسى والاجتماعى إلى الألمانية .

كانت مصر هى القاعدة التى طالما فمكر النفوذ الغربى الاستعمارى فى العصر
الحديث فى الاستيلاء عليها ، كانت تدور حولها أحلام الحروب الصليبية
ورسائل الفلاسفة إلى الملوك بوصفها المركز الاستراتيجى الضخم الواقع بين
القارات الثلاث ، وفى العصر الحديث تصارعت حولها القوتان اللتان كانتا
تملكان النفوذ والسلطان .

ولذلك فإن نابليون عندما لمع سلطانه فى فرنسا كانت خطوة الاولى
هى توجيه الحملة الفرنسية إلى مصر لاختراجها من الدولة العثمانية تمهيدا لتزيق
هذه الدولة التى تحمل لواء الخلافة ، والداعية إلى الوحدة بين المسلمين خارج
الخلافة ؛ والتى تمثل تلك القوة التى ظلت تزعج الغرب كله ثلاثة قرون كاملة .

ولقد كان الغرب منذ امتلك القوة العسكرية الحربية حريصا على تزيق
هذه الامبراطورية والسيطرة على وحداتها وإخضاعها له وإذلالها ونهب
ثرواتها وقد انطلقت اقوات الغربية للانتقام من المسلمين بعد سقوط
طائطله ١٤٠٢ ، انطلقت قوى الاسبان والبرتغال لمحاصرة شواطى المغرب
وتحطيم المراكب التى تحمل المسلمين الفارين بدينهم من جحيم حاكم
التفتيش وبعد أن تراجع العثمانيون عن أسوار فيينا ١٦٨٣ . انطلقت قوى الغرب
لمهاجمة عالم الإسلام وتشديد الحصار عليه .

يقول ارسكين تشايلدرز فى كتابه (الطريق إلى السويس) تعود هلاقتنا
بالعرب إلى نحو ألف ومائتى عام .

فقد اعتبر الزحف التوسعى العربى الإسلامى على الابواب الشرقية للعالم
المسيحى فى القسطنطينيه عام ٧١٧ وعلى قلب فرنسا ٧٣٣ وهى ظاهر طبيعىة
مربوبة وخيفة تركت جذورها فى ثقافتها ، وقد امتزجت هذه الظاهرة مع المولد
الحقيقى للعصر المسيحى المتوسط ومطلع النظام الاوروبى ، ولم يخلف أى

تغلغل أجنبي مثل هذا الأثر الذي خلفه التغلغل العربي في تراثنا السياسي والثقافي والأدبي ، ولو تفحص أي غربي زوايا عقلة الباطن بحثاً عن أي فكرة تتصل بالعرب تعلقت به في غضون الآلاف عام الماضية لاستمع إلى الأصداة الخافقة التي خلفتها معركة تور - يوانية (بلاط الشهداء) ٧٣٢ م على نهر اللوار .

وقد أوضح جيبون هذا الأثر قبل نحو مائتي عام إذ قال :

لقد امتد خط الزحف الظافر أكثر من ألف ميل من صخرة جبل طارق ، حتى شواطئ الوار ولو تكرّر هذا الزحف مساحة أخرى مماثلة لحمل العرب إلى حدود بولندة وجبال اسكوتلندة وللا وصل الأسطول العربي إلى مصب التايمز بجزراً كما يشاء دون أن يشتبك في أي معركة حربية ولربما كان من المحتمل أيضاً أن يدرس القرآن في أكسفورد ولقد ظلت هذه الأصداة منذ أيام تور عن العرب متأصلة في عقول الأوروبيين يعرّضها الصراع المستمد مع العرب عند المداخل الجنوبية ، أه

وفي ضوء هذه الصورة نرى تلك الجولة التي تدافعت تحت إسم الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين تحمل في أعماقها ذلك الحقد والانتقام الشديد وتخفيه هذا في قفاز من حرير يتمثل في كلمات على لسان نابليون بأنه مسلم وإنه يقدر الإسلام بينما كان يحمل في أعماقه أحقاد الصليبية كلها حين اقتحم الأزهر ، ويحمل الولاء الصهيوني حين دعا اليهود إلى التقدم نحو الشرق لإقامة دولة لهم ولقد كانت الحملة الفرنسية هذه بالرغم من سرعة تفصيلها بعيدة المدى فقد فتحت الباب واسعاً أمام النفوذ الأجنبي وكانت ركيزته بل إن التجربة الفرنسية لم تتوقف بعد انسحاب الحملة الفرنسية ولكنها توالى واستمرت في أهاب حكم محمد علي وفي الارساليات ونفوذ اللغة الفرنسية وفي التبشير والاستشراق الفرنسي ، وفي نفوذ قناة السويس التي كانت دولة داخل الدولة .

وظلت تواصل عملها حتى اشتركت في الحملة المشتركة على مصر مع بريطانيا عام ١٩٥٦ .

كانت هذه الجولة بعيدة المدى إلى الحد الذي صورته الشيخ الجبرتي حين قدم الفرنسيون ومعه تلك الهيئة العلمية التي أخذت تدرس وتجمع المعلومات وتقدم تلك البالونات المثيرة التي خطفت أبصار المشايخ فبهرتهم ، ومن ثم بدأت مرحلة الانبهار بالحضارة الغربية حتى جاء رفاة الطمطاوى معجبا بحضارة فرنسا التي ترجم الدستور الفرنسي ونشيد المارسيليز ويدعو إلى تمزيق تلك الوحدة الإسلامية ، بدعوته إلى الإقليمية المصرية لإرضاء لمحمد علي الذي كان يطمح في تمزيق الدولة العثمانية وإقامة كيان خاص له تحت اسم عربي أو مصري ، وليس عثمانيا أو إسلاميا :

كانت الحملة الفرنسية رمزا على خطة الغزو المرتبه : وهو ليس غزوا عسكريا لحسب ولكنه غزو فكري ، ومن ثم فقد كان على الأزر : ذلك الطور الفاسخ أن يواجه الحملتين : غزوة السلاح وغزوة الفكر .

إن رفاة الطمطاوى حين بهره فكر الغرب وحضارة الغرب لم يكن يعرف بعد لإبعاد هذه المؤامرة الخطيرة التي صنعها لويس والتي ترمى إلى القضاء على النفوذ الخاص والذاتية الخاصة للإسلام ، ولم يكن يعرف مؤامرة الغرب في احتواء الفكر الإسلامي وصهره في بوتقة العالمية والامية حتى يضيع طابعه المميز وذاتيته المفردة ، ومن ثم ينصهر المسلمون في حضارة الغرب حتى يصبحوا جزءا من القطيع العام ، وماتزال محاولة صهر المسلمين في البوتقة الغربية مستمرة منذ ذلك اليوم ١٧٩٨ إلى اليوم ١٩٨٢ بعد قرن كامل ماتزال تعقد مؤتمرات تستقطب بعض الشعوبيين الخداع المسلمين وقهرهم على أن يقبلوا أسلوب الميلش الغربي وأن ينصهروا في بوتقة التكنولوجيا والحضارة الغربية ليصبحوا ذبيلا للغرب من أمثال هذا المؤتمر الذي عقد في روما سنة ١٩٨٢ .

فالخطة التي رسمها النفوذ الأجنبي لاحتواء الإسلام والفكر الإسلامي والمسلمين ماتزال مستمرة وماتزال تبحث لها عن مخرج ومدخل بالخداع وكلها

مد المسلمون بابا ففتح عليهم التعريب أبوابا في محاولة لخداع مجموعة من الشباب المسلم الذي تعلم في معاهد الرسائل والذي لا يفهم الإسلام فهما صحيحا والذين ماتزال تبهرهم أضواء الحضارة الغربية الفاربة .

ومهما كتب كتاب اليقظة يكشفون عن فساد مفهوم الغرب في تصوير الإسلام ديناً روحياً (وليس دين ودولة - منهج حياة ونظام مجتمع) فإن هناك من تخدمهم الشعوبية وأولياء التعريب والشيوعية عن هذا .

ومهما قيل عن دخول الحضارة الغربية عصر المحاق والسقوط بعد أن فشلت في تقديم المنهج الذي يجمع بين أشواق الروح وعطاء المادة فإن خداع الحضارة مازال يهر بأضوائها المادية الخادعة مازال يفعل فعله في كثير من النفوس التي لم يتحقق لها قدر من الرصيد الإسلامى والروحى والعطاء القرآنى الصحيح الذى يمكنها من الحكم على الأمور .

ومن ثم فإن المعركة ماتزال دائرة بين النفوذ الاجنبى وبين عالم الإسلام منذ ذلك الوقت إلى اليوم ممثلا فى الحملة الفرنسية ؛ ثم الاستعمار البريطانى ثم النفوذ الصهيونى ثم نفوذ الماركسية والشيوعية الزاحف على عالم الإسلام منذ ١٩٦٢ ثم بقاء النفوذ الغربى ممثلا فى بلاد الإسلام بعد انسحاب الجيوش من البلاد المحتلة ممثلا فى المصالح الاقتصادية والتبادل الثقافى والخبراء والقروض والتعامل الذى تسيطر فيه القوى المالية الكبرى بمصارفها ومنتجاتها وقدرتها على طرح هذا القدر الضخم من الأدوات الاستهلاكية عن طريق مصكوك شهرية تستترف الموارد وعن طريق القوائد تحت تأثير النظام الربوى اليهودى العالمى .

أما أبرز ما كشفت هذه دراسات الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) (١) المقاومة العامة والشاملة خلال هذه الفترة بما أطلق عليه حرب الألف يوم وقد قاد هذه المقاومة الأزهر الذى حمل قيادة الأمة حتى لم يبت جيش الاحتلال ليلة واحدة هادئة طوال ثلاث سنوات ، وكان رفض الوجود الغربى على أراضيها رفضا عاما وشاملا وهنيئا .

(٢) لما رأى قادة الحملة الفرنسية أن الأزهر هو الذى يقود المعركة كان لابد من الانتقام الشديد منه وبذلك دخلت الخيل الفرنسية الأزهر ، وعمل الجيش الفرنسى السيف فى طلبته وشيوخه ونهبت الكتب ومزقت مخطوطات عمرها عدة قرون ، القتها أرضاً ووطئتها بسنابل الخيل ونهبت بعضها اليهرد الذى كانوا فى خدمة جيش الاحتلال وأتخذ الجنود من المسجد الجامع اسطبلًا للخيل حتى توجه الشيخ الجوهري إلى نابليون طالباً خروج الخيل من الأزهر وفى هذه الغزوة التي القبض على عدد من الشيوخ وقطعت رءوسهم فى سجون القلعة وكانت هذه هي المرة الأولى فى تاريخ مصر التي يمتحن فيها الأزهر على هذا النحو ، وذلك لأن أول مرة يحتل فيها مستعمر أجنبي مصر منذ أن كان الأزهر وكان ذلك انتقاماً من موقف الأزهر ودوره فى المقاومة التي قادها شيوخه داخل مجالس نابليون وداخل التشكيلات الإدارية إلى المقاومة الوطنية العنيفة وتنظيم الحركات السرية .

ومن ذلك موقف أحد علماء الأزهر الذى وضع نابليون على كتفه العبادة المطرزة فأخذها وألقاها على الأرض وداسها بقدمه أمامه .

(٣) كان هذا فى نظر النفوذ الغربى انتقاماً من الأزهر ومنطلقاً لتحجيم الأزهر والقضاء على نفوذه ، هذا الاتجاه الذى قام فيه محمد على بدور كبير ثم جاء الاحتلال البريطانى فتوسع فيه وكان من أخطر عوامل المقاومة قيام نظام تعليمى جديد منفصل عنه يسمى وزارة المعارف على أساس النظام العلمانى على النمو الذى رسمه وقادة دنلوب فى عهد كرومر والذى ظل مسيطراً على التعليم حتى اليوم .

يقول جلال كاشك فى كتابه (ودخلت الخيل الأزهر) : كان رفض الوجود الغربى على أراضيها رفضاً عاماً وشاملاً وعنيفاً وكان لابد أن تصفى قيادة الأزهر ، لاهن طريق احتلاله بالخيل ولا يتسمير أبوابه ، بل بتسمير باب قيادته الفكرية الأمة بتغريب المجتمع من حوله حتى تقطع جذوره أو تذوى ويصبح رمزاً للتخلف ومشار السخرية والتندر ، وهذه هي المهمة

التي تولاهما بنجاح رجل الغرب وممثل مصالحه محمد علي باشا الكلاوي بالكبير
مؤسس مصر الحديثة وباعث نهضتها ومصلحتها فربسة عاجزة إلى الاستعمار
الغربي ، وبعد ثمانين عاما من تحضير وتمدين وتغريب أسرة محمد علي
لمصر انتقلت القيادة نهائيا من الازهر وأصبحت هذه المرة في الجيش
فلما سقط الجيش في معركة التل الكبير ، سقطت مصر ونعم الإنجليز
بهذو ربيع قرن (١٨٨٢ - ١٩١٧) لأن الأمة كانت بلا قيادة
لأن قيادتها الضعيفة كانت قد نحت وضعت لأن عملية التغريب كانت
قد تمت بنجاح ،

وإذ ذلك أن استطاع كرومر إخراج زعيم علماني يفتح الطريق
أمام التغريب ويحطم كل مقومات الحركة الوطنية الإسلامية ويهبط بالأمة
إلى عهد طويل لقبول النموذج الديمقراطي الغربي الزائف ، هو سعيد زعلول
خريج الازهر الشريف ومسلم الحركة الوطنية إلى الولاء الغربي وقبول
الاحتواء الغربي وأن يخرج التغريب من الازهر عالما آخر هو الذي حمل لواء
القول الزائف بأن الإسلام دين روحاني وليس دين حكم ولا نظام مجتمع
وهو على عبد الرازق كما أخرج آخر حمل لواء الشك الفلسفي وانكار
وجود إبراهيم وإسماعيل وطه حسين :

يقول جلال كاشك : كان الإسلام هو السد الوطني الذي تنكسر عنده
أمواج الغزو الغربي لأن الإسلام هو الرفض الحضاري للغزو الغربي وكان
الإسلام يمثل في المقاومة الأكيدة من جانب الجماهير للغزاة الأجانب الذين
يهددون وجودنا الحضاري ومستقبلنا ومصالحنا وكان يتمثل أيضاً في القيادة
المتفقة لسلامة (شيوخها وتجارها وأعيانها) .

كان على الغزوة الاستعمارية الغربية أن تفتت مقاومة أمتنا بتعريضها
من الإسلام وقد جربت أوروبا إبادة الإسلام بقتل المسلمين في الحروب الصليبية
ولسكنها اكتشفت فشل هذا الأسلوب ثم جربت أن تخرج المسلمين من

الإسلام بمحملات التبشير ولكن (التبشير) لم ينجح فكان (التغريب) أى دفع المسلمين والمسيحيين إلى استبعاد الدين من حياتهم وتفكيرهم وعزل القيادات المثقفة لتصفية دورها في المجتمع .

(٤) واجه المسلمون عاصفة التغريب مواجهة قوية ، وكان موقفا مختلفا عن الشعوب التى احتواها التغريب وهى الدول التى لم تسكن قلوبها حضارة قادرة على المقاومة :

فقد كان للمسلمين تراث حضارى ومؤسسة حضارية تشكل رغم تخلفها عنصر رفض ومقاومة للوجود الغربى .

« هذه الشعوب عندما فوجئت بتفوق الغرب الذى طاش قرونا على احتقار شأنه إلى أن روغتها مدفعية نابليون فى عشية القرن ١٨ فى الطرف الغربى من آسيا فكان السؤال كيف نواجه مدفعية الغرب » .

الفصل الثاني

أهداف الحملة الفرنسية

كانت أبرز أهداف الحملة الفرنسية القيام بدور عسكري حاسم في مؤامرة الغرب التي ترمى إلى تمزيق الدولة العثمانية والتي قال الوزير الإيطالي (دوجمار) أن هناك مائة خطة وضعت لهذا الغرض :

وكل دعوى تسمى تحضير مصر والعالم الإسلامي فإنها عبارة مزورة ، وكاذبة فإن سمعة الثورة الفرنسية لم تكن قد تكشفت عن مخطط يهودي وأن نابليون كان جزءاً من هذا المخطط فإذا ذهبنا نتابع دور اليهودية العالمية في المؤامرة على العالم الاسلامي لوجدنا نقاطاً خطيرة جذيرة بالبحث والمتابعة .

(أولاً) كان لليهود دور كبير في تقليص دولة الاسلام في الأندلس ، ففي مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين أخبار كثيره عن دورهم ذاك فيبيل العهد المرابطي ثم كان لهم دور في إنهاء دولة غرناطة وخروج المسلمين من الأندلس نهائياً .

(ثامناً) أثبتت الوثائق المسيحية كما جاء في كتاب الاميرال (كي) أن الحروب الصليبية لم تكن حروباً مسيحية وإنما كان تدبيراً يهودياً لوضع العالمين المسيحي والاسلامي في حروب عامة مدمرة دامت أكثر من عشرين تمهيداً للوصول إلى فلسطين .

(ثالثاً) تجول لورنس في الشرق الأوسط عام ١٩١٤ باسم التنقيب عن الآثار في فرقيش ثم تحول إلى سيناء ورسم خريطة مساحية عسكرية لسيناء من العقبة حتى العريش وقام باستطلاع رأي قادة العرب في توطين اليهود في

فلسطين والتمرد لوعد بلفور وأغرق أجهزة الأمن المصرية في مشاكل الأمن
لصرف الأنظار عن النشاط الصهيوني الذي كان قد وصل إلى ذروته إلى مصر
وتلك دعوى باطلة لما عاصر النهضة بدأ عام ١٧٩٨ عندما جاء نابليون وحطم
ذلك السور العثماني العظيم الذي حال دون اتصال مصر بأوروبا ثلاثة قرون
كاملة، فهل كانت مهمة نابليون حضارية وماهى بذور النهضة التى زرعها فى مصر
أثناء احتلاله؟ يجيب عن هذا السكولونيل عبد الله التل فيتحدث عن قصة تسخير
الصهيونية لنابليون (كتابة الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام) .

استمر استغلال اليهود للثورة الفرنسية بعد أن حطموا أسس الدولة من
نواحيها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية ، وغدوا القوة الحقيقية
التي ترهب الشعب الفرنسى تحت ستار شعار المزيف : للحرية والمساواة
والإخاء .

وحين انتهت السلطة العليا فى فرنسا إلى نابليون انتهر اليهود هذه الفرصة
وشرعوا فى الاتصال به والإيمان إليه عن طريق مستشاريه من اليهود وخاصة
رجال الدين منهم ثم تقدموا له بمذكرة عن فتح مصر ومساعدة نابليون فى تثبيت
هذه المستعمرة لفرنسا ومدى الفوائد التى سيجنيها نابليون من استغلاله
لأموال اليهود وخبرتهم فى التجسس والتغريب ثم يتطرق إلى بليت القصيد فيقول :
فعلى فرنسا إذن أن تمنحهم الأرض التى سيقسمون عايتها وطنهم وجمهوريتهم
ومصر هى لفرنسا ومصر على وجه التحديد هى التى اتجهت إليها آمال أبنائهم
لأنهم لكون أرض عودتهم بعد تيهيم الثانى ، إن مصالحنا ورفائنا يتفق ومصالحكم
ورغباتكم وإنه ليق وسعنا أن نساعدكم فأتجهوا بأنظاركم إلى مصر ، تلك الأرض
الجميلة بعد خلاصها من العثمانيين ، وبلغوا اقتراحاتنا إلى إخوانكم التائهين فى الأرض
وعرفوهم عن قيمة الفرصة التى تقدمها لكم ، وليجمعوا الأموال فيبتاعوا ذلك
الرابع من مصر الذى يجاوز برزخ السويس والبحر الأحمر .

أما الثمن الذى يقدمونه لنابليون — بعد الأموال — فهو أن يكونوا
أنى داة تخريب واضطرب د فإذا استطاعوا عن هذا الطريق الدخول

إلى عقر آسيا فإنهم يحملون معهم الصناعة والفنون والعلوم الأوروبية ، هذا وأنهم يقدمون إليك -نصرا استعماريًا متينًا ثابت الأركان قد يكون ضروريًا فيما يقوم في آسيا مقام الامبراطورية الآخذة في الانحلال : امبراطورية العثمانيين ويقدم لهم أهم الضمانات لبث الفوضى وإشعال الفتن وإحلال الأزمات للقضاء على الاتراك جملة واحدة .

وعندما رفع (باراراس) المشروع إلى نابليون استصوب الفكرة واستعان بعلماء اليهود وخائنانهم على صياغة النداء ، وقد جاء فيه : « إن الأمة التي ينظر أعداؤها إلى موطنهم الوراثة كغنيمة تقاسم وفق أهوائهم بضربة قلم في دواثرها شتمعلها حربا لاهوادة فيها ولا مثيل لها في التاريخ للدفاع عن كيائها فتأثر للذل الذي لحق بهم منذ ألف عام تقريبًا فإن هذه الأمة (أى الفرنسية) تقدم لاسكم الآن وعلى الرغم من جميع العقبات مهدد إسرائيل ياورثة فلسطين الشرعيين إن فرنسا تناديكم الآن للعمل على إعادة احتلال وطنكم واسترجاع ما فقدتكم ، أسرعوا فإن هذه اللحظة لن تعوض قبل آلاف السنين للمطالبة باسترجاع حقوقكم المدنية بين شعوب العالم . »

الأهداف إذن مشتركة والخدمات متبادلة يمنحهم نابليون قسما من مصر يتخذونه قاعدة للوثوب على فلسطين والمقابل هو المال ، وأن يكونوا في يده أداة فوضى وتخريب وتثبيت للاستعمار الفرنسي .

هذه هي مهمة الإمبراطور العظيم حامل لواء الثورة الفرنسية وشعاراتها الإنسانية وبذور الحضارة إلى الشرق وموقفه من نومه الثقيل والى تفتح المهمة وينطلي الحداع فلا بد من القناع ، كان نابليون يعلم علم اليقين أن العدو اللدود والخضم العنيد الذي سيواجهه ، ليس جنود الممالك وإنما هو الإسلام : ذلك الطود الراسخ والجبل الأشم الشامخ الذى تكمرت عليه موجات الصليبيين وبقي الشرق شرقا ، لذلك رأى من الحكمة أن يتفادى مواجهه هذا الخضم الذى لا يقهر والعدو الذى لا يدخر ، ولذلك فعندما قرر نابليون استثمار مصر كنقطة إنطلاق لبناء امبراطورية الشرق بدأ بدواسة الإسلام

وطلب الإسلام وصنفه تحت قائمة الكتب السياسية ، وكلما دنا من الساحل الإفريق استغرق في دراسة الإسلام ووصل به الأمر إلى حد ادعاء الإسلام وذلك في محاولة منه لخلق عواطف المسلمين وتوهم الشعور الديني فقد أصدر إلى المصريين منشوراً جاء فيه : لا إله إلا الله لا ولد ولا شريك له (في ملكه) أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، أيها المشايخ والقضاة والأتمة وأعيان البلد قولوا لامتكم أن الفرنساوية أيضا مسلمون مخلصون .

ثبتت جيوش الممالك ساعات ثم انهزمت وأصبح نابليون وجها لوجه أمام الإسلام المتجسد في الأزهر فتحمل شيوخه مسئولياتهم وقاموا بتنظيم الثورة التي اقضت مضاجع جيش الاحتلال واستعمل نابليون كل وسائل الترغيب والترهيب لجر شيوخ الأزهر واستعملهم أداة لكبح جماح الجماهير ولما لم تفلح محاولاته ثار غضبه فأمر مدفعية القلعة المعززة بمدافع الهاويرز والمورتار بأن تسدد المدافع إلى الجامع الأزهر وما حوله من أحياء هي مركز الثورة . وأخيرا دخلت حيله الأزهر مركز القيادة المصرية ورمز بنيادتها ، وهذه هي الحضارة .

هذا الجيش الذي فتح لنا نافذة على العصر الحديث كيف عامل النساء واستخدم الوسائل الوثنية في اغتصاب الأموال وابتزازها وانتهاك الحرمات والإعدام بالجملة بدون محاكمات وكيف أن نابليون كان يصدر الأوامر بالافتصاد في الرصاص واستعمال السكاكين وأسنة البنادق والإغراق في النيل إلى غير ذلك مما يندى له الجين ويعتبر وصمة عار في تاريخ الاستعمار .

وعندما تقدم إلى يافا أرسل الله إليه الطاعون الذي فتك بحيشه فتكا ذريعاً فأرغمه على الانسحاب .

ولما عاد نابليون إلى فرنسا وانكشفت له خطط اليهود الماكرة قال

إن الدنيا تسامت من قبل جمعية سرية فلا يجوز لنا أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا ولقد صدق نابليون ، فإن هذه الجمعية لما تحققت من فشله تخلت عنه وتركته يلقى مصيره المحتوم في بعد معركة (واترلو) التي لعب فيها المال اليهودي لعبته المزدوجة ، أما الجمعية المشار إليها فهي الماسونية وقد أكد الجنرال لودندروف ذلك عندما قال : إن الماسونية هي التي قفت على نابليون .

لقد فشل نابليون وكان الإسلام هو العامل الأساسي في فشله .

قال مؤرخ عربي : لقد كان الإسلام بالطبع هو الحائل الأكبر دون هذا الجو المنشود من الثقة المتبادلة .

وتعلم الإنجليز الدرس فعملوا على تدمير القواعد وبنو وجودهم .

* * *

الفصل الثالث

محمد علي : تغريب التعليم والقانون

كان النفوذ الغربي يرمى إلى السيطرة على المنطقة الإسلامية بالقضاء على مفهوم الجهاد الذي يحمل السلاح في سبيل مقاومته وتغريب الفكر حتى يفرغه من الإيمان بهذه القوة .

ومن ثم كان يهدف إلى تدمير تلك القوة التي تحمل لواء الجهاد وتحمل لواء المقاومة الفكرية : هذه القوة هي : الأزهر الذي قاوم الحملة الفرنسية مقاومة شديدة والذي قاوم محمد علي عندما تولى نبأ بين علماء الأزهر ثم عمد إلى التصرف الفردي الاستبدادي ومن ثم وأتى العلماء بمقاومته استبداده بقيادة عمر مكرم فكان من أكبر أهدافه القضاء على القوتين اللتان تمثلان مصر في هذا الوقت : قوة الأزهر وقوة المماليك .

ومن ثم سعى إلى التفرقة بين العلماء وطبقات الخلفاء بينهم حتى استطاع أن يعزل السيد عمر مكرم وينفيه ويقيم ولاء جديدا من علماء اصططنعهم بالمال والرشوة حتى تم له ما أراد .

ومن ثم أحس بنفس إحساس النفوذ الأجنبي وهو أن الأزهر حجر عثرة أمام مطامعه ومن ثم بدأت خطة هدم الأزهر بتجميده وإنشاء ما أطلق عليه نظارة المعارف التي جمدت الأزهر وأنشأت التعليم العلماني وجعلته في حضانة الفرنسيين عن طريق البعثات .

ففي عصر محمد علي بدأت ظاهرة الازدواج أي بقاء القديم في حله تقريبا وإنشاء جديد من مصدر مغاير إلى جانبه .

(تغريب التعليم في عهد محمد علي وتغريب القانون في عهد إسماعيل)

لم يتصرف الاهتمام إلى تجديد القديم أو تحريكه ، وإنما انصرف إلى تشكيل مجال آخر يتبى فيه الجديد الوافد ، استخدمت دواوين قضائية بجوار ديوان القضاء والتزمت تلك المجالس بما يصدره الوالى من قوانين ولم تلتزم بالشريعة الإسلامية ، وما لبثت الناس إن رفعوا منازعاتهم إلى تلك المجالس الجديدة التى اتسع نطاق نشاطها بالتدرج اضطراراً مع زيادة ما يصدره الوالى من قوانين وتشريعات .

والمعروف أن الفرنسيين خرجوا من مصر بمجاد القوى الإسلامية وعلماء الأزهر ، الذين قاوموا استبداد محمد على من بعد فأتلف محمد على وفرنسا على مقاومة نفوذ الأزهر والقضاء عليه . وقد أعاد محمد على نفوذ الفرنسيين على نحو لم يكونوا يحلموا به أبان الحملة الفرنسية ويمكن لهم من النفوذ فى مختلف الميادين وخاصة فى مجال الثقافة .

ومضى معهم شوطاً طويلاً حتى عرف بأنه دبر من أجلهم مؤامرة فى المغرب أما فى مصر فقد بذل لهم بذور الارساليات التبشيرية والثقافية الفرنسية ومنذ ذلك الوقت كانت الهجمة الفرنسية الغربية الأوروبية ضاربة لم ينحصر خطرهما فى الجانب الاقتصادى والعسكرى ولكنه امتد إلى مجال التعليم والقانون وجرت محاولة لتنظيم المحاكم الشرعية :

وفى السنوات اللاحقة ١٨٧٥ تلقى تطبيق الشريعة الإسلامية أعنف وجهتها له فأنشئت المحاكم المختلفة لنظر قضايا الأجانب ووضعت لها مقننات أخذت من القانون الفرنسى باختصار غل وبدأ تفكير الدولة فى إنشاء قضاء وطنى على هذا القرار فشكل محمد قدرى باشا لجنة لوضع هذا النظام ١٨٨٠ وصدرت لائحة المحاكم الأهلية الجديدة ١٨٨١ وجرى وضع التقنينات الرئيسية الستة التى تطبقها هذه المحاكم :

(المدنى والمرافعات والتجارى والبحرى والعقوبات وتحقيق الجنايات) وضعت كلها باللغة الفرنسية ثم ترجمت ، وقد أوفقت الثورة العرابية هذه الحركة ثم عاودت المسير بعد الاخلال الانجليزى وافتتحت المحاكم الجديدة فى أول يناير

١٨٨٤ وعرف ذلك بحركة الإصلاح القضائي ومن ثم انحسرت المحاكم الشرعية إلى مجال جد محدود كالأحوال الشخصية وهذا النظام الجديد أعد قبل الاحتلال البريطاني وهو مأخوذ من نظام القانون اللاتيني الفرنسي لا النظام الانجليزي السكسوني وقد واجه الفقه الإسلامي تلك الضربة بأنباء روح التحديد فيه ولكن يلاحظ ببطء حركة التجديد فيه عن حركة المجتمع .

أما بالنسبة للتعليم فقد تغرب تماما وتحول إلى تعليم علماني وبعثات إلى فرنسا وهذا هو الهدف الحقيقي للتبشير والاستشراق انطلاقا من نصيحة لويس التاسع الذي دعا الغرب إلى ترك السيف وحمل لواء الكلمة لتعبير الإسلام والقضاء على مفهومه بوصفه ديناً ودولة ونظام مجتمع ومنهج حياة .

وقد كان محمد علي يطمح في هذا لتثبيت أركان حكمه فقد طالب العلماء بالعدل ولم يكن هو متقبلاً له .

فأول ما فعل هو أنه جمع جميع عقود النكاح للأراضي المصرية وحرقها فأصبح هو المالك الأوحد لجميع الأراضي الزراعية ثم بدأ أبنائه يوزعونها من جديد ويعطونها لليهود والأجانب الذين استعانوا بهم على اقروض وخاصة في عصر إسماعيل ثم جاء الاستعمار البريطاني فاستولى على أراضي الدائرة السنية (نصف مليون فدان) فوزعها على أوليائه في مختلف أنحاء القطر المصري وخطى منها اتباع التبشير والمؤامرة والمتعاونين معه على أكبر قدر منها وقد قام بهذا المهندس ويلسكو كس .

كذلك فقد مضى محمد علي في السيطرة على الأوقاف وهي خطة تواصلت في عهد إسماعيل وتوفيق وعباس (وكانت موضع الخلاف والخصومة بين الشيخ محمد عبده وعباس) ، وعهد محمد علي بعد القضاء على نفوذ علماء الأزهر إلى القضاء على القوة المصرية التي تملك صفة الإمارة والوزارة وهي الممالك فأوقع بهم في تلك المذبحة المعروفة .

ويقول العلامة أحمد رمزي (السفير والعالم المسلم) إن من وراء هذه المذبحة عقلاً أوربياً جباراً هو (دوفيني) قنصل فرنسا بالقاهرة فهو الذي دبرها

وخطط لها وأشار بها بل مولها من ماله ، ففي مذكرات (بوركات) المكتشف والمستشرق السويسري إشارة إلى مال كان يحتفظ به في خزانة القنصلية الفرنسية وإن (ددوفيتي) استأذنه في أن يقرضه هذا المال لأن المتأمرين من ضباط الألبان كانوا مترددين حتى بعد أن قبضوا ثمن خيانتهم ، فهذا المذهب قد استعمل لتنفيذ أغراض (ددوفيتي) فنصل فونسا ، ولم يكن محمد علي إذن سوى آلة نفذت أغراض السياسة الفرنسية التي كانت ترمى إلى القضاء على المالك ثم إلى افناء الألبان في حروب خارج مصر . وبالنسبة للسيطرة على أوقاف علماء الإسلام ، تقول أحمد رمزي :

كان علماء الإسلام عبر العصور قوة لا يستهان بها لجاء تحطيم هذه القوة تكمة لتحطيم القوة العسكرية المعارضة وهذا تخطيط أوربي . وإن بونابرت خرب وهدم ١١٨ أثرًا إسلامياً لبناء حصونه وقلاع في مدينة القاهرة وحدها ، أما الأوقاف فنما ما أوقفه السلطان حسن على جامعته المعروف وهو كثير خصص على تعليم أبناء مصر من المذاهب الأربعة وكانت تصرف لهم الكساوى والأطعمة . وكانت أوقاف (جامع عمرو) لاحتصر لها . وكان للمسلمين أوقاف على الناس والمساجد والأربطة وبعضها لحماية الحيوان وفقا للتصرف على الاتباع وصغار الكادحين ؛ إذا كسرت منهم آنية أو خرف فلا يتعرضون لإهانة محمد ومبهم . وجاء عهد صلاح الدين فلم يغير منها شيئاً بل زاد عليها وجاء السلطان العثماني سليم الأول ، ولم يجرؤ على إلغائها ، بل حينما حمل لقب (خادم الحرمين الشريفين) وهو من القاب سلاطين مصر من دولتي الممالك أوقف على الحرمين بمكة والمدينة — مايجبى من خراج مديرتي قنا وجرجا ، وهذا المبلغ بقى يرسل إليها ولم يمسه محمد علي وهذا ما كان يسمى «بالصرة» .

أما سلاطين الممالك فقد شملت أوقافهم الحرمين وبيت المقدس ومقام إبراهيم الجليل ولا تزال أثارهم باقية في كل مكان بالحجاز وفلسطين وسوريا إلى اليوم : فلماذا أقدم محمد علي على إلغاء بعض الأوقاف والاستيلاء عليها ، هذا السؤال بطرحه المؤرخ المصري ، ليشير ، بأن القوة المعارضة لمحمد علي الباقية بقصد مذبة الممالك والتخلص من الأناؤود — أى الألبان — هي قوة العلماء

ويجب تقليم "أطافر هؤلاء وقد كان ، ومرة أخرى كانت فرنسا قد احتلت أجزاء من قطر عربي هو الجزائر وكانت تطمح في الاستيلاء على الأراضى المنزوعة على الشاطئ وهى حصنة تصلح لإنشاء المستعمرات الاستيطانية ، ولسكنها وجدت أن ثلاثة أخماس هذه الأراضى هى من أملاك الجبوس (أى الأوقاف) التى خصصت لأعمال البر وصيانة المساجد والجهاد فى سبيل الله تعالى فإذا تفهل وقد تعهدت لسكان البلاد بعدم التدخل فى شؤون الدين الإسلامى ؟

طوقت الجزائر من مصر حيث لجأت إلى محمد على بواسطة ممثلها ونصحته بأن يحرر بعض الأوقاف وأشار عليه بالحصول على فتوى بإمكان ذلك ، لمضى الوقت وغيره من المبررات والمسوغات السياسية ونفذ هذا محمد على . هذه الفتوى استغلتها السلطات الفرنسية بالجزائر فنزعت أملاك الأوقاف وتعهدت بأن تصرف على المساجد والأئمة من خزائنها . دفعت من الخزانة الفرنسية ما يكفى لصيانة هذه المساجد بادىء الأمر ولسكنها استتت سنة لغيرها من الحكومات الاستعمارية الغاشمة فى مختلف الاصقاع الإسلامية ، فقد انقضت عدة الأئمة ومرتبات العلماء وأنزلت عدد المساجد حتى أنه لم يبق بمدينة الجزائر أكثر من ثمانية عشر مسجداً وهى نفس الخطة التى تكررت تنفيذها فى فلسطين بعد أكثر من قرن ، وكان محمد على بشهادة المؤرخين دمية فى يد المصالح الغربية وقبض لهيب دوره المرسوم فلما حاول أن يتخطاه أعيد بعنف إلى الدائرة المخصصة له وكذلك كل زعيم من بعد ومضى محمد على فى توسيد الأرض للنفوذ الاجنبى والخروج من دائرة الإسلام ومضى كبير كتابه (رفاعة الطمطاوى) فى الدعوة إلى الاقليمية المصرية وقبول الحضارة الغربية دون تحفظات مع أن كتابات علماء فرنسا فى كتاب (وصف مصر) تشهد بأن مصر كانت تحكم بكتاب الله قبل الحملة الفرنسية وأن مجتمعها كان مجتمعاً مسلماً ملتزماً قائماً على الشريعة ، وهو الهدف الذى أضيف عليه عمل القوى القادمة والمستشارين الذين استقدمهم محمد على من فرنسا من جماعة الماركسيين واليساريين (سان سيمون وغيرهم) الذين حملوا معهم وباء الإلحاد والإباحة معا .

وإن تطاول بعض الكتاب مدعياً أنهم هم الذين قدموا العصرية والنقدية :

كانت خطوات محمد علي في سبيل إقامة نظام سياسي مستقل عن الدولة العثمانية قد دفعه إلى التحرر من الوجهة الإسلامية بصفة عامة والالتجاء إلى الأسلوب الغربي ومن ثم فقد وقع في أخطاء الاستبداد والتخبط في القانون وخالف الشريعة الإسلامية بالظلم الذي ارتكبه بالاستيلاء على أملاك المسلمين وما وقع من أعمال السخرة والارهاق وكان لمعارضته لأسلوب الإسلام في الحكم على النحو الذي عرضه عمر مكرم باحتواء بعض العلماء الطامعين في متاع الدنيا الزائل والقليل مع الاحتقار لهم ، وقد أطلق هذا يده فأضاف إلى الاستبداد ، الاحتكار : احتكار الزراعة والتجارة والصناعة الذي أساء إلى الشعب إساءة كبرى - على حد تعبير عبد الرحمن الرافعي (عصر محمد علي) - لأنه ضرب على حجابا من الفقر والجود ، فضلا عن أنه تجنب وتجاهل وأغضى عن أي نظام للشورى يعود باشتراك الشعب في الحكم فإذا أضيف إلى ذلك ولأته لفرنسا وعمله على تحطيم القوة الإسلامية الناشئة في الجزيرة العربية وهي قوة مرتجاء للدعوة إلى التوحيد والإصلاح الاسلامي وفق مفهوم السلف .

كما قضى محمد علي على نفوذ علماء الأزهر الذين كانوا موثلا للشعب يفرغ إليهم عند وقوع الازمات وقد قاموا بدور ضخم في مواجهة الحكام المماليك وفي مواجهة الحملة الفرنسية ووقفوا في وجه استبداد محمد علي ، فعمد بالانفاق مع النفوذ الاجنبي على عزل الأزهر عن الحركة الثقافية والتعليمية ونقل مركزها إلى المدارس والمعاهد والبعثات) .

أما الطبقة الجديدة التي تخرجت من المدارس الحرة أو المعلمين أو الهندسة فقد كانت فئة علمانية لم تدرس أصول الإسلام ولم تعرف الوجهة الصحيحة لبناء المجتمع الإسلامي ، ولم تمتد يد الإصلاح طوال هذا العصر إلى الأزهر بل تركه محمد علي كما كان على نظامه القديم ، وكان محمد علي مع هذا منفسجا مع وجهته الاستبدادية ومع وجهة النفوذ الاجنبي المتعاضم الذي كان يرى أن نفوذ الاسلام سيقف حتما أمام دخول أنظمة الربا والاحتكار والنظام القضائي الغربي الذي استقدمه محمد علي .

لقد عمل محمد على على تحقيق غايات محددة :

أولاً — القضاء على نفوذ الأزهر وتحطيم جهة العلماء القادرة التي تحمل راية الجهاد في سبيل الله والتي قاومت الفرنسيين ألف يوم وهزمتهم وحطمت وجودهم وقاومت عطرسته واستبداده عندما انفرد بالحكم .

ثانياً — التوسع في الولاء للغرب وتدمير نظام التعلم والتربية والثقافة الإسلامية ونظام الشريعة الإسلامية المطبق في المجتمع :

ثالثاً — محاولة خدمة أهداف الغرب بالتفريب .

رابعاً — محاولة خدمة أهداف النفوذ الإسلامي بتحطيم الدولة السعودية التي تحمل لواء تحرير الفكر الإسلامي من قيد التقليد والدعوة إلى التوحيد الخالص خامساً : القضاء على المماليك : تلك القوة الوطنية الموجودة في قلب البلاد .

الفصل الرابع

إسماعيل قنطرة إلى الاحتلال

دخل إسماعيل مرحلة الاحتواء الغربى الذى كان يمد للسيطرة على مصر ، وذهب بعيداً فى الترف والبذخ والاستدانة فقد عرف إسماعيل بالإسراف وعدم تقدير العواقب وضعفه أمام المذات والشهوات وقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى التبذير فى أموال الخزانة العامة فلم تكفه الملايين التى كان يجمعها من الضرائب بل عمد إلى البيوت المالية والمرابين الأجانب يستدين منهم القروض الجسيمة ، هذه القروض كانت الوسيلة التى تدرعت بها الدول للتدخل فى شئون مصر ووضع الرقابة المالية عليها ، ولقد كانت الديون من الوسائل الفعالة لتدخل الدول الأوروبية فى شئون الأمم الشرقية ، ولم يكن إسماعيل فى حاجة إلى من يبصرة بمطامع إنجلترا والدول الأوروبية فى مصر . كذلك فقد كان ركونه الشديد إلى الأوروبيين والدول الأجنبية واعتماده عليهم ونقته بهم ثقة لا حد لها كانت من عوامل تورطه فى القروض الأجنبية ومن مظاهر هذه الثقة أن عهد إلى الأجانب من رعايا الدول الاستعمارية بمهمات خطيرة من شئون الدولة وأطلعهم على أسرارها ، ومكن لهم من مرافقتها ، وفى عهده تمددت البيوت المالية والشركات الأجنبية التى تغفلت فى البلاد وعهد إلى الأجانب بمناصب كبرى (بتعيين صمويل بيكر حاكماً لمديرية خط الاستواء وغردون حاكماً لها بعده) وفرنجر محافظاً لسواحل البحر الأحمر ، ولستون رئيساً لأركان حرب الجيش المصرى (١) وقد أدى هذا أن نالت الدول الأجنبية حقوقاً ومزايا تشل سلطان الحكومة ، وهذه المزايا أشبه ما تكون بالوصاية على مصر ، ظهرت هذه الوصاية بمظاهر مختلفة : من إنشاء صندوق الدين ، إلى فرض الرقابة الثنائية على مالية مصر ، إلى تعيين وزيرين أجنيين فى الوزارة المصرية لهما حق النقض أى وقف كل عمل تشريعى وتنفيذى للحكومة .

(١) عبد الرحمن الرافعى (عصر إسماعيل) .

كما جمع إسماعيل حوالي مليون فدان بنزع قطع الأرض من صغار الفلاحين وهي ماسى بالدائرة السنية فلما قدم الإنجليز بصفة دائنين ثم مستعمرين وزهوا أراضي إسماعيل على أعوانهم الذين مكثوا لهم من تشييت أقدامهم فى استعمار مصر وبذلك نشأ الاقطاع فى هذه البلاد واستمر سبعين عاما .

وهكذا كان إسماعيل قنطرة إلى احتلال مصر الذى تم بعد ذلك فى عهد توفيق بعد أن تأمرت بريطانيا على أسهم مصر فى قناة السويس وعلى جيشها بقيادة عرابى فإن هزيمة مصر فى الثورة العربية كانت بعامل الخيانة على النحو الذى قام به الإنجليز بالتآمر مع بعض المصريين الخونة أمثال سلطان باشا الذى دلهم على مواقع جيش عرابى .

وبذلك سقطت مصر فى براثن النفوذ الإنجليزى الذى سيطر عليها أكثر من سبعين عاما (١٨٨٢ - ١٩٥٤) وكانت هناك محاولة أخرى بعد خروجه عام ١٩٥٦ مما يسمى حرب السويس .

يقول الشيخ محمد عبده : إن إسماعيل أفسد الإدارة وأفسد الاخلاق فلما وجدنا ربح الحرية وأردنا أن ننهض بالإصلاح كان فساد الاخلاق هو الذى عاقبنا لإفساد الإدارة ، ولولا ذلك لكانت هذه المدة التى اتيج لنا منها ما نشاء من التربية والكتابة والخطابة كافيه لأن نرتقى فيها ونكون أمة .

وقد كان لإسماعيل باشا دور رئيسى فى فرض القانون الفرنسى وإنشاء المحاكم المختلطة ومحاربة وتشويه كل من يتصدى له من العلماء فكان يقول : لا يمكن أن يعمل فى هذا القرن بما وضع للعرب منذ نحو ثلاثة عشر قرنا ؛ فى هذه المرحلة العصبية ومطامع النفوذ الغرب ، تتسع ، كانت كل القوى تعمل على تغريب مصر ، كان نوبار باشا يعد القوانين للمحاكم المختلفة ؛ وكان الخديو إسماعيل يناور حين دعا رفاعة الطهطاوى ليطالب إلى الأزهريين عمل قانون إسلامى حتى لا يضطرم بالغريبيين الذين يريدون أن يفرضوا قانونهم بديلا للشريعة الإسلامية .

وتلك مرحلة من أدق المراحل فى تاريخ حركة التغريب :

فقد قدم القانون الوضعي الذي يحجب الشريعة الإسلامية وجاء معه الربا والتعامل الربوي في ميدان الاقتصاد وجاء معه التعليم العلماني .

يروى المستشار عبد الحليم الجندي : أن محمد علي فسكر في أن يضع قانوناً إسلامياً في مصر من جميع المذاهب وعهد بذلك إلى فضيلة الشيخ الجزائري ، أما إسماعيل فقد سبق سوفا إلى إنشاء المحاكم المختلطة وكان هذا عملاً رآه في وقته عظيماً وكان يسود أوروبا في ذلك الوقت القانون الفرنسي ، وكان - كما أن يستورد لها القانون ، الفرنسي ، وانشئت المحاكم المختلطة قانوناً للأجانب فلما قامت الثورة الغربية ١٨٨١ جاءت وزارة شريف باشا رأت إصدار قانون مدني وجنائي مستمد من الشريعة الإسلامية وعهد في وضعه إلى قدرى باشا وزير الحقانية .

ثم جاء الغزو البريطاني ١٨٨٢ فتألفت وزارة رياض باشا وكان منها شريف باشا وقرر هذا المجلس العدول عن وضع قانون من الشريعة وترجمة القوانين المستعملة في المحاكم المختلطة فترجمها مجموعة من تلاميذ رفاة بك ، أما رفاة بك فترجم القانون الفرنسي بينما ترجم من دساتير فرنسية والنظم الفرنسية ، وأصدر الشيخ العدوي كتاباً وقال أن في قانون نابليون مواقف من مذهب مالك ومذهب أبي حنيفة .

كما نقلت من القانون الفرنسي نظرية الفائدة .

وهذه هي نقطة تحول خطيرة في تاريخ مصر الإسلامية ، فقد انفصلت مصر تماماً بهذا العمل منذ ذلك اليوم عن الشريعة الإسلامية في مجال السياسية والاقتصاد والاجتماع .

* * *

في هذه المرحلة دوت كلمات جمال الدين الأفغاني التي كانت تدعو إلى ثلاث غايات :

١ - التماس مفهوم القرآن . ٢ - الوحدة الإسلامية .

٣ - تقييد سلطة المستبدين من الحكام .

الفصل الخامس

جمال الدين وإسماعيل

طرح جمال الدين خلال عصر إسماعيل مفهوم الإسلام واسما قويا جديراً من خلال تلك الصفرة التي انفتحت حوله . كان مفهومه امتداداً لمفهوم دعوة التوحيد التي حملها لوأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وجاريا مع ما دعا إليه عمر مكرم وعلماء الأزهر الذين حرروا إرادة الأمة ازاء مظالم المماليك واستبداد محمد علي وغيره من الولاة .

كانت القضية الاولى عند محمد بن عبد الوهاب تحرير العقيدة ، وكانت عند عمر مكرم تحرير إرادة الأمة فلما جاء جمال الدين قدم مفهومه إسلاميا واسعا يمثل قاعدة أساسية لحركة اليقظة الإسلامية ، وإن كان قد اعتمد على أمرين تحررت منها الدعوة الإسلامية من بعد (١) منطلق الفلسفة .

(٢) منطلق الحماسة السياسية ، فقد عادت الدعوة الإسلامية بعد مرحلة من مفهوم الكلام والفلسفة إلى التماس منهج القرآن بدلا من منطلق الفلسفة وأسلوب التربية الإسلامية بدلا من منطلق الحماسة السياسية .

(١) أن أبرز مادعا إليه جمال الدين هو تجمع المسلمين في وحدة جامعة ، وكان منطلقه ذلك الخطر الزاحف الذي رأى بواذره في إيران والهند وأحس بأن النفوذ البريطاني يكشف جهوده للسيطرة على الأمة الإسلامية وقد كشف عن مفهومه هذا بوضوح حين قال : هذه الأمم الإسلامية وإن اختلفت بهم البلدان وتباينت البقاع والميكان وتنوعت الأجناس وافتרכת اللسان فقد وجدت في وحدة الإسلام وجمعتهم جامعة الدين ، وهي جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى وتلقى الفروق فيكون جميع المسلمين بها إخوانا ، حكومة إسلامية تأثم بالإسلام وتعاليمه . إمامها القرآن وأساسها العدل والشورى واختيار خير الناس لتولى أمورها .

ولست أعني أن يكون لهم إمام واحد فإن هذا ربما كان مقصداً وإنما أعني أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك في ملكه يسعى بجهد له حفظ الآخرين ما استطاع فإن حياته بحياتهم وبقائه ببقائهم .

(٢) حرر جمال الدين العقيدة في مواجهة جبرية الصوفية السائدة وأنكر دعوى خصوم الإسلام القائلين بأن سبب ضعف المسلمين يعود إلى اعتقادهم بالقضاء والقدر ، وقال أنهم قالوا ذلك نتيجة ما رأوا في المسلمين من فقر وفاقة وضعف واستكانة إلى الذل ، مع أن العقيدة فيما لو علموا براء بما ينسبونه إليهم وأن عقيدة القضاء والقدر في الإسلام تحمل معتقدها على التحلي بأكمل الصفات من جرأة وإقدام والتخلق بخلق البسالة والشجاعة واقتحام المهالك واحتمال المكاره والجود والسخاء واحتمار الموت في سبيل الحق وطلب المجد .

(٣) كشف عن جوهر الإسلام من منطلق مفهوم عميق أصيل حين قال :

إن دين الإسلام فتح أبواب الشرف في وجوه الانفس وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق في أى فضيلة ، فإذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة ، أعني الاقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر ، في مجالات الفضائل وتمادت بها المجازاة إلى محاسن الاعمال .

وإن الدين الإسلامى يكاد يكون منفرداً من بين الأديان بتقريب المعتدين بغير دليل وتوبيخ المتبعين للظنون ، هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم وكلما خاطب العقل وكلما حاكم إلى العقل .

(٤) رد على الدهريين أصحاب المذهب المادى (الطبيعيين) وأسماء الدهريين الذين نشروا هذا المذهب في الهند وقال إن هذا المذهب (النيشريه) سيفرق المسلمين هناك إلى طائفتين ، طائفة أصحاب الطاعة والولاء للحاكم المستعمر والطائفة الأخرى المناوئة لنفوذه وولايته ، ودعا إلى مقاومة الإلحاد الدينى بصفة عامة وتوضيح ضرورة الدين للمجتمع الإنسانى .

وأعلن أن أسلوب الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية يمتدّ صوراً مختلفة
للقضاء على الشخصية الإسلامية التي مصدرها القرآن والتي تجمع بين المسلمين
في رباط واحد وإن أخطر صورته من ذلك ، هي الصورة التي تسعى لإفساد
عقيدة المسلم ، إما بتشكيكه ، إما بمحاولة صرفه عنها ، ولذلك عد المذهب
الطبيعي وهو ماسماه بمذهب الدهريين سلاحاً خطراً ضد المسلمين . قال : لقد
وجد الإنجليز أن الإسلام يطلب من أتباعه أن يكونوا أصحاب الشوكة
والسلطان في أوطانهم ، ولاحظوا أن ذلك طبيعة الإسلام التي لا يمكن
انسلاخه عنها ولا انتزاعها من فطرة أبنائه ففكروا في أمر يضعف هذه العقيدة
فأروا أن أقرب طريقة هي نشر التعطيل بين المسلمين وأن الدعوة إليه أنفذ
إلى قلوبهم من التثليث أو التعطيل الذي هو الإلحاد يسمى بالإنجليزية ينتشر
فتفتحوا مدرسة عظمى لنشر تعاليم البشرية وبث مبادئها في نفوس الناس
المسلم ، من أجل هذا ألف رسالة الرد على الدهريين : وقال أن الإنجليز سعوا
في جعل المسلمين دهرين ولم يسعوا في جعلهم مسيحيين لأنهم رأوا أن دعوة
التبشير لم تنجح .

وليس المهم في هذا الكتاب الرد على دارون ، وإنما إثبات قيمة الدين
وضروته للإنسانية وأثره في تربيته وأثر الإلحاد في انحطاطه .

وخلاصة رأيه أن الدين على العموم اكتسب عقول البشر ثلاث عقائد :
وأودع في نفوسهم ثلاث خصال كل منها ركن لوجود الأمم وعماد لبناء
الهبة الاجتماعية .

(العقيدة الأولى) : التصديق بأن الإنسان ملك أرضي وأنه أشرف
المخلوقات .

(العقيدة الثانية) : تعين كل فرد أن أمته أشرف الأمم وكل مخالف
له فعلى ضلال وباطل .

(العقيدة الثالثة) : جزمه بأن الإنسان ورد هذه الدنيا لتحصيل كمال
تهيئته للمروج إلى عالم أرفع وأوسع من العالم الدنيوي .

أما الخصال الثلاث فهي الحياء والأمانة والصدق .

هذه الأسس التي أتت بها الأديان هي العمران وعليها تتوقف سعادة الإنسان وأن الماديين والدهريين والنشريين تؤدي تعاليمهم إلى إنكار هذه الأسس فتنزّل الإنسان منزلة الحيوان وتفقده الوازع على الخير وتعدّه حياة جامدة ضيقة حافة لأقلب لها ولا سمو فيها وفي هذا انتكاس لخلقّه وهدم لحياته ، وفي الإسلام مزايا على سائر الأديان .

(أولها) صقل العقل بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الأوهام فمن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله منفرد بتصرف الأكوان متوحد في خلق الأفعال وأن من الواجب طرح كل ظن في إنسان أو جماد يكون له في السكون أثر من نفع أو ضرر ، أو عطاء أو منع ، أو إعراز أو إزال .

(ثانيا) إن الإسلام فتح أبواب الشرف للأنفس كلها .

(٥) دعوته إلى إعادة التنظيم السياسي في العالم الإسلامي على أساس الإخوة الإسلامية (بين السنة والشيعة) .

القرآن

(٦) ركز جمال الدين الأفغاني دوائمه دعوته على تفهيم القرآن والتعمق في معانيه ومقاصده ، وقال أن من يفهم القرآن فهما صحيحا ويعرف صحيح الحديث يستطيع أن يجد في القرآن عصما للأمم الإسلامية من الفرق والجور والضعف ومصدرا للمرة والمنعة والشجاعة ، كما دعا الناس إلى التماس عقيدة الرعيل الأول من السلف الصالح . تلك العقيدة الصافية التي لم تشبها اختلاط للفروق الناشئة بعد الصدر الأول للإسلام ، التي توزعت أصوله وأخطأت فهمها واتبع ما يبيّنه الزنادقة ، الباطنيون من البدع وما وضعه النافخون على الإسلام من الأحاديث الكاذبة التي حورته تحويرا شديدا وأبعدته عن أصوله ففرقت شمل هذه الأمة وأضعفت كيانتها فتضعفت أركانها بالتواكل الذي جاءها من أهل الحلول والتصوف وأهل الزهد والاباحة = الدين والدولة أحدهما

يكمل الآخر فالدين عنصر هام من عناصر مقومات المجتمع والدولة ولن يتم لها مجتمع لادين له .

(٧) كشف عن زيف دعوى إغلاق باب الاجتهاد : قال مامعنى باب الإجهاد مسدود وبأى نص سد أو أى إمام قال لا يصح لمن بعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ويمتدى بهدى القرآن وصحيح الحديث والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم المصرية وحاجات الزمان وأحكامه . أن الفحول من الائتمة اجتهدوا وأحسنوا ولكن لا يصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن ذلك أن اجتهداهم بما حواه القرآن ليس إلا قنطرة من بحر .

(٨) الإسلام والعلم :

إن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية فإن كان ظاهره المخالفة وجب تأويله وقد عم الجهل ونفشى الجمود فى كثير من المرتدين برداء العلماء حتى أنهم القرآن بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة ، والقرآن برىء مما يقولون والقرآن يجب أن لا يحمل عن مخالفة العلم الحقيقى وخصوصا فى المكليات .

(٩) تغيير المجتمع .

كانت دعوته إلى تغيير المجتمع الإسلامى قائمة على أسس واضحة ودعامتها (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فقد دعا المسلمين إلى أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم وحث على العمل ونهى عن التكامل وقاوم النظرية الصوفية السلبية فى العزلة عن المجتمع وقال :

فناء الصوفى فى الله وفنائى فى خلق الله :

ودعا إلى اشرباب النفوس عقيدة الأمل فى النجاح وإزالة ما حل بها من اليأس والتسك بالاصول التى كان عليها الآباء والاسلاف وإبطال زعم الزاعمين من القول بأن المسلمين لا يتقدمون فى المدينة ماداموا متمسكين بأصول دينهم

ودعا إلى تأمين الألفة بين الأمم الإسلامية وتحذير الشرق عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الأجانب عليهم والإفساد في بلادهم ، وبيان المظالم التي تعانيها الأفطار الخاصة للاستعمار والاضطهاد الذي تقاسيه الأفطار الخاضعة للحكم الاستبدادي والأمراء الافطاعيين .

وقوله : إن التفات بين الشعوب ، واستعمار دولة لأخرى ليس قانوناً أزلياً لا يمكن تبديله ، بل هو حادث وقتي يزول بزوال مسبباته كغيره من الحوادث التاريخية والاجتماعية الخاضعة لناموس التطور . وإن القضاء أجل الاستعمار إنما يتم : بزوال الأسباب التي مكنت أهله من التسلط وأكرهت الشعوب على الخضوع لها متى تعلمت واتحدت وتيقظت وقويت وبدأت بالتردد على الغاصب الدخيل ، ولما كان لحياة الأمم والدول أدوار وآجال ولحدوثها وتكونها وتعاليمها ثم ضعفها وانحطاطها أسباب وعوامل فقد وجب أن يكون الاستعمار خاضعاً لتلك النواميس السكونية بمعنى أنه يصل إلى حد محدود وأجل معلوم .

١٠ - أعلن جمال الدين أن إصلاح السلطة الزمنية يستدعي قيام حكم الشورى وإن إصلاح السلطة الدينية يستدعي الاهتمام بالتعليم :
وحياة الشرقيين بالعلم الصحيح موت لحكم الغرب فيهم وفك الحجر عنهم والعكس بالعكس .

دعا إلى الرجوع إلى القرآن والبعده عن تفسيرات المفسرين التي دعت إلى الاختلاف والفلك .

وأعلن أن الدين من المقومات الأساسية للبشر الذين لا غنى لهم عن سلطتين زمنية وروحية وكلتا السلطتين ترمى إلى غاية في الجوهر والاصل .

١١ - يرى أن ضعف المسلمين بدأ حقيقة منذ ظهور الباطنية والعقائد الطبقية والذهورية وليست الحروب الصليبية هي بداية هذا الضعف وإمارته ، بل كانت إحدى نتائج هذا الضعف ذلك أن هذه العقائد هي التي مهدت لهذه الحروب الصليبية وكذا لحروب التتار . وهاجم الخلط واللباس الذي قام به

البعض فانتشرت قواعد الجبر ، ومن ذلك ما أدخله الزنادقة فيما بين القرنين الثالث والرابع ، وما أحدثه السفسطانيون الذين أنكروا مظاهر الوجود وما وصفه كذبه النقل في الأحاديث ينسبونها إلى صاحب الشرع ﷺ وفيها السم القاتل لروح العزة .

ويقول : مادام القرآن يتلى بين المسلمين وهو كتابهم المنزل وأمامهم الحق ، وهو القائم عليهم يأمرهم بحماية حوزتهم والدفاع عن ولايتهم ومغالبة المعتدين وطلب المنفعة من كل سبيل ، فإننا لا نرتاب إلى عودتهم إلى مثل نشأتهم ونهوضهم إلى مقاضاة الزمان ما سلب منهم فيقدمون على من سواهم ، أن الأصول الدينية الحق المبرأة من محدثات البدع تنشئ الأمم قوة الاتحاد وانتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة . إن القرآن حتى لا يموت ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ؛ كتاب الله لم ينسخ فأرجعوا إليه وحكموه في أحوالكم وطبائعكم ، الاهتمام بقلع ما رسخ في عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها ثم حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم أن يتحركوا إلى طلب مجد أو تخلص من ذل .

القرآن وحده سبب الهداية والعمرة في الدعاية وماتراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم .

(١٢) الأمور التي يتم بها سعادة الأمم أربعة :

أولا : صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الاوهام ، والإسلام يقتضي ذلك لأن أول ركن بني عليه صقل القلوب بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الاوهام وخلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه يظهر للناس بالبشر أو أن تلك الذات المقدسة نالت في بعض أطوارها شديد الإيلام وآليم الاسقام لمصلحة أحد من الخلق .

ثانياً : أن تكون نفوس الأمم مستقبلة وجهة الشرف طامحة إلى بلوغ الغاية منه بأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق لآية مرتبة من مراتب

السكّال الإنسانى ماعدا رتبة النبوة فإنها بمنزل عن المطمع ، فإذا أخذت نفوس الناس حفظها من هذه الصفة ، أعنى الاقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر فى مجالات الفضائل وتمادت به المجاراة إلى محاسن الأعمال .

ثالثا : أن يكون عقائد الامة وهى أول رقم ينقش فى ألواح نفوسها مبنية على البراهين القويمة والأدلة الصحيحة وإن نتحاشى عقولهم مطالعة الظنون فى عقائدها ونترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها والاسلام يكاد يكون منفردا بتقريب المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون ،

رابعا : أن يكون فى كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الامة وطائفة أخرى على النفوس تتولى تهذيبها وتثقيف أودها ، لاتفى الأولى عن مكافأة الجهل وتنوير العقول بالمعارف الحققة وتدأب الثانية على الكشف عن الأوصاف الفاصلة وحدودها فإن الشهوات النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ولا لرغائب الأنفس غاية تنقطع عندها فإن فقد الإنسان مقوم النفوس ومعدل الأخلاق طغى سلطان الشهوة واندفع إلى الحيف والاجحاف ، ومن أهم الأركان الإسلامية نصب المعلم وإقامة المؤدب الأمر بالمعروف .

(٢)

لم يبدأ جمال الدين من فراغ فالحقيقة أن هذا العمل الذى اختار له جمال الدين الأفغانى مصر بالذات كان مستمداً من الصوت الذى علا فى قلب الجزيرة العربية : صوت الشيخ محمد عبدالوهاب إلى تحرير العقيدة الإسلامية : عقيدة التوحيد الخالص من الجبرية الصوفية التى كانت قد اتسع نطاقها فى الدولة العثمانية ، واستطاعت أن تصل إلى كثير من عواصم الإسلام والى قام محمد على بالهجوم على حكومتها فى نجد والقضاء عليها إلى حين ؛ ومن ثم فإن كل دعوات الإصلاح التى ظهرت من بعد كانت تحمل فكرها ومفاهيمها وإن كانت لا تعلن عن صلتها بالدعوة الأم ، ولقد كان الأزهر فى هذه المرحلة قد غرق فى التقليد والجبرية الصوفية وإن كانت هناك أصوات ظلت تردد دعوة تحرير العقيدة ، مثل ذلك

الواعظ التركي الذي تحدث عنه الجبرتي ، غير أن جمال الدين ومدرسته التي كونها من رجال الأزهر ومن المثقفين المدنيين خريجي مدرسة الحقوق وغيرها ومن المعلمين كان نواة اليقظة ، وكان جمال الدين قد جاء يحمل معه ذلك التحدي الخطير الزاحف الذي كان قد وصل إلى الهند وفارس ، وكانت مصر تتلوى تحت ضرباته التي كانت تعد للفريسة للاقتناص في عصر إسماعيل بالديون والتغريب والقانون الوضعي ، كان جمال الدين قد واجه المطامع الغربية وخاصة البريطانية ومن هنا كان تحركه نحو مصر وتركيا وأوروبا في محاولة لما أسماه بحق (تنكيس أعلام بريطانيا في المشرق) ومن الأسف أنه بعد أن غادر مصر بقليل سقطت مصر في براثن النفوذ البريطاني ، ولا ريب أن الحديث الذي أجراه عبد القادر المغربي مع جمال الدين في هذا الوقت الباكر في الاستانة (١٨٨٩) يكشف بوضوح وجهه اليقظة الإسلامية تماما في مواجهة النفوذ الغربي والتغريب والغزو الثقافي فقد رفض جمال الدين فكرة أخذ الحضارة الغربية ومدنية أوروبا أساسا لبناء الحضارة الإسلامية الجديدة وقال أن هذا الطريق لا يؤدي وهذه هي صيغة الاصاله الأولى :

وهذه عبارته : إننا معشر المسلمين إذا لم نؤسس نهوضنا وتمدنا على قواعد ديننا وقرأنا فلا خير فيه ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا من هذا الطريق ، أن مانراه اليوم من حالة حسنة فينا هو دين التقهر والانحطاط ، لاننا في تمدنا هذا مقلدون الأمم الأوروبية وهو يعلم تحيزنا إلى الإعجاب بالأجانب والاستكانة لهم والرضى بسلطتهم علينا وبذلك تتحول صيغة الإسلام التي من شأنها رفع راية السلطة والتغلب إلى صيغة خمول وضعية واعتشاس بالحكم الأجنبي : لابد من حركة دينية : أن الحركة الدينية الصحيحة المبرأة من الزيف هي الأساس الذي تقوم عليه النهضة فالحركة الدينية بما يقوم عليه من تصحيح الاتجاه النفسي ورده إلى الأصول الأولى للدين ، هي الأساس الحق للنهضة بصفة عامة أو لتحقيق التمدن الصحيح .

إن حركتنا الدينية هي كناية عن الاهتمام بقاع مارسخ في عقول العوام ومنعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير

وجهاً مثل حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم ألا يتحركوا في طلب مجد أو تخلص من ذل .

ومثل فهمهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان أو قرب نهايته فهما تثبط همهم إلى السعي وراء الإصلاح والنجاح في نظير ذلك بما لاهدد للسلف الصالح به فلا بد إذن من بعث القرآن وبث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهاً الثابت من حيث يأخذ بهم إلى ما فيه سعادتهم دنيا وأخرى ، ولا بد من تهذيب علوهم وتفقيح مكتبتنا ووضع مصنفات فريدة المأخذ سهل الفهم فذستعين بتلك الكتب والعلوم التي تضمنها إلى الوصول إلى الرقي والنجاح ، فلا بد إذن من الحركة الدينية وهكذا لخص جمال الدين رأيه بأن الحركة الدينية هي أساس النهضة والتدرج الصحيح ورسم منهاج هذه الحركة في عدة عناصر واضحة :

أولاً : تنقية الإسلام مما علق به من الشوائب .

ثانياً : تأليف حكومة إسلامية رائدها التعاليم الإسلامية الحققة والعدل والشورى واختيار خير الناس لتولى الأمور والجامعة الإسلامية لا تنافي مشاعر ومصالح أهل الديانات الأخرى .

ثالثاً : مناهضة الاحتلال وتحرير الوطن الإسلامي من الاستعمار والاعتماد على استرجاع قوة المسلمين في تكتلهم وناخيتهم مناهضة الاستغلال بكل قوة والتأليب عليه من غير هوادة .

رابعاً : اطرح ما طرأ على الإسلام من عادات غريبة في السلوك والرجوع إلى موقف المسلمين الأول من القرآن واستلهاهم التوجيه منه مباشرة لطبع تصرفاتهم بالطابع الإسلامي .

خامساً : محاربة الاتجاه الاستعماري في التفكير بالوقوف في وجه الشبه التي تثار والتخريجات المغرضة لنصوص مصدرى الإسلام : القرآن والسنة الصحيحة الصحيحة وبيان زيفها بالاسلوب العلمي والتاريخي .

سادساً : تقريب مبادئ الإسلام من العقلية الإسلامية الحديثة والتنبؤ
بالمثقفين الذين يصطنعون أساليب الغرب (عن علم أو من غير علم) أداة لتمكين
المحتل ، ٥١ .

* * *

ولا ريب أن طرح هذه المنظومة الضخمة في أفق الفكر الإسلامى فى هذه
المرحلة الدقيقة من حياة مصر والأمة الإسلامية ، فى فترة ارهاصات الاحتلال
وتكثيف الديون والضغط للقضاء على حرية مصر واحتوائها عسكريا وسياسيا
كان من أكبر القوى النفسية والاجتماعية والعقلية التى قادت سفينة الدعوة
الإسلامية إلى طريق النجاة وكان إيذاها بما جاء بعده من محاولات لتزوير
قوى الاصاله الإسلامية فى وجه الحرب التعريبيه التى أعلنت فى قوة .

الفصل السادس

مواجهة الاحتلال البريطاني

سقطت مصر في بواثن الاحتلال البريطاني وهزم عراي بالحياة وسيطرت قوى الاحتلال على الاقتصاد والحكم والقانون والتعليم وأنشبت أظفارها فيه بقوة ، فالنظام الربوي الذي يقوم على سيطرة الاستعمار على كل مقدرات البلاد قد مضى في قوة يحصد المزارعين المصريين ويحملهم الديون ويجعلهم صبيداً وخولا للاجنبي وأرض الدائرة السنينة يقوم ولكوكس بتوزيعها على ذوى الولاء من الأسر للاستعمار ويخص به عناصر معينة بأ كبر قدر منها لأنه يريد استقطابها ، والقانون الذي قامت على المحاكم المختلطة يتحول إلى التطبيق على المصريين عن طريق المحاكم الأهلية ، ودنلوب يعمل في مجال التعليم لتفريب الفكر الإسلامى كله وحجب كل مقومات الإسلام واللغة والتاريخ الإسلامى عنه في محاولة جريئة ، وكرومر من وراء ذلك كله يدعو إلى تكوين جيل جديد من المتفرنجين المصريين ذوى الولاء للغرب ولبريطانيا ليسلمهم زمام الحكم في البلاد ، وخلال ربيع قرن كامل مضى كرومر يقاوم الحركة الوطنية ويقاوم الجامعة الإسلامية ويقاوم تعليم عموم الأمة ، ويفرس ذلك الولاء الاجنبى الذى أثمر في مجموعة من الأفراد ولاهم أمور البلاد : سعد زغلول في مجال التعلم ولطفى السيد في مجال الصحافة ، بل أن حركة التحول تمثلت في جماعة من المثقفين يتكوكبون حول صالون الأميرة نازلى فاضل تحت نفوذ اللورد كرومر ومن هؤلاء أنشأ حرب الأمة التى قاد حركته الفكرية لطفى السيد وكان سعد زغلول — على حد تغير الحديبو عباس حلمى الثانى في مذكراته — هو الرأس المفكرة وراء هذا الحزب وتلك الجريدة فى مستهل عهدها . فى هذا الصالون : ظهر سعد زغلول وقاسم أمين وكثيرون . عن طريق هذا الصالون وعن طريق حزب الأمة عورضت الحركة الوطنية التى قادها مصطفى

مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويز وغيرهم ، وكانوا يديرون الحركة الوطنية من خلال مفهوم الجامعة الإسلامية .

كان هدف بريطانيا إحتواء مصر في دائرة الفسكرك الغربى وصهرها وإخراجها من مفاهيم الإسلام ، عن طريق ذلك التحول الذى أحدثته (ذلولوب) فى مناهج الدراسة بتقديم اللغة الانجليزية فى التعليم على اللغة العربية وتاريخ الغرب وبطولاته وكان سعد زغلول يرمى بتقديم اللغة الانجليزية على اللغة العربية بإعلاء شأن التحول الغربى ، وكان لطافى السيد يرمى إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان وحدهم وكانت الدعوة إلى إحلال العامة فى السكتابة من أخطر الدعوات التى حمل لوائها الاستعمار البريطانى وكان أشد من ذلك خطراً تلك الدعوة الملحة على أن الإسلام دين عبادة ومسجد وأنه لاصلة له مطلقاً بالمجتمع أو قضاياة ، وذلك بهدف تركيز القانون الوضعى وحجب الشريعة الإسلامية التى توقفت فى عهد النفوذ الأجنبى لأول مرة منذ أربع عشر قرناً عن التطبيق . وكان العمل دائماً على تعميق الإقليمية المصرية وفصل المصريين عن العرب والمسلمين من ناحية وفصلهم عن مفهوم الإسلام الاصيل أيضاً وذلك بإعلاء شأن النظام السياسى الغربى الذى حاولوا تطبيقه تحت اسم الديمقراطية الغربية ونشأت فى أحضان الاستعمار مدرسة سعد زغلول التى آمنت بالتفاهم مع الانجليز وموالاتهم وقبول التعاون معهم وبذلك حولت القوى الفكرية الاستعمارية الممثلة فى مدرسة لطفى السيد وسعد زغلول إلى قطع الصلة والروابط مع الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية وإعلاء شأن التاريخ السابق للإسلام وذلك ببعث الفرعونية ودعوى عريضة بأن لها لغة وتاريخ وثقافة .

وأم هذه الأهداف هى فصل الدين عن السياسة ، وتحويل العاطفة الدينية إلى عاطفة إقليمية مرتبطة بالعنصر والدم والجنس ، وذلك حتى يفرق العالم الإسلامى فى صراع القوميات .

ومن هنا كانت حملة لروكر على المبادئ الإسلامية ووصفها بأنها مبادئ صحراوية لا تصلح للتطبيق فى هذا العصر ، وإنها تحول دون النجاح والتقدم ،

ولا ريب كان النفوذ الاستعماري يخشى فكرة الوحدة الاسلامية ويحاربها حربا عنيفة ، وكان ذلك يرمى إلى التمهيد لتزريق الدولة العثمانية وتوزيع أسلحتها وهو ما حدث فعلا بعد الحرب العالمية الاولى ، ومن هنا فقد عمد إلى تحويل الحركة الوطنية إلى الصراع الحزبي الذي يقتصر عمله على مواجهة الخلاف بين الاحزاب نفسها وينشغل بها عن القضية الاساسية ويدور في ذلك النفوذ الغربي أساسا .

ومن هنا كانت محاولة النفوذ الاستعماري البريطاني القضاء على الحركة الوطنية التي قامت في مواجهته وتصفيته وإبدالها بحركة أخرى تتحرك من داخل دائرة نفوذه ، وهي الحركة التي قادها سعد زغلول وجماعة حزب الأمة والتي تفرعت منها الاحزاب السياسية جميعا بعد الحرب العالمية الاولى بعد أن صفت الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويز والتي كانت تدعو إلى مفهوم صريح واضح هو مقاومة النفوذ الاستعماري الاجنبي .

ولقد اتجهت هذه المحاولة السياسية الحزبية وجمعة الولاء الاجنبي والإيمان بالتفاهم والتعاون والولاء للنفوذ الاستعماري ، وقبوله والتعامل معه وهذه هي الحركة التي ظلت سائدة في مصر منذ ثورة ١٩١٩ حتى نهاية عهد الحكم الملكي .

ولقد عمد كرومر إلى الوقوف في وجه الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل ومحمد فريد بأمرين :

١ - الاول : الاتفاق مع الخديو توفيق وإطلاق يده في بعض الامور في مقابل أن يدير ظهره للحركة الوطنية ،

٢ - الثاني : التفاهم مع فرنسا وعقد الاتفاق الودي معها عام ١٩٠٤ حيث كانت فرنسا هي منطلق الدعوة لمعارضة احتلال بريطانيا لمصر .

وفي أبان العمل الذي قام به كرومر (١٨٩٢ - ١٩٠٧) استطاعت بريطانيا أن تسيطر على التعليم والثقافة وأن تزيج النفوذ في الفرنسي هذا

المجال وفي مجالات أخرى وأن تقيم ركائز لها من أعيان المصريين في البلاد ومن المثقفين في السيطرة على التعليم والثقافة والصحافة .

وكان دنلوب أخطر العاملين في هذا المجال فقد استطاع أقصاء مسيو لامبير رئيس مدرسة الحقوق الفرنسية الجنسية ، كما عمل على إدخال رجال الارشاليات البروستانية وغيرهم للتبشير في مصر .

وقد قاومت هذا النفوذ البريطاني طلائع من المؤمنين بأمتهم ودينهم ووقفوا في وجه النفوذ الغربي وكشفوا عن زيفه وإخطاره ولم يترددوا يوماً في هذه المواجهة بالرغم من كل محاولات النفوذ البريطاني لتثبيت نفسه وتأكيده وجوده

لقد حرص النفوذ الغربي (البريطاني) على القضاء على الرعيل الأول الذي واجه الاستعمار وقاومه ورفض التعامل معه في خط عمل ماكر خبيث دءوب أراد به تثبيت قواعد القانون الوضعي والربا والتعليم العلماني وفصل الدين عن الدولة وعمد إلى تخريج أجيال مبهورة بالغرب مؤمنة بالتعاون مع الإنجليز ثقافياً وإن كان هناك خلاف من وجهة النظر السياسية الظاهرة ، وكان الهدف هو فصل مصر عن الأمة الإسلامية والخلافة والوحدة الجامعة من ناحية وفصل مصر عن الفكرة الإسلامية التي تقوم على الشريعة الإسلامية والقيم الإسلامية في المجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية .

(٢)

وجاءت مقاومة الاحتلال البريطاني من منبعين :

النبع الأول : النبع الاسلامي الروحي الأزهرى الذى بدأ ينتعش ويتحرر ويخرج من القوقعة ، ويفسك في تحرير العقيدة وإحياء اللغة العربية وأداء الدور الصحيح لبناء الثقافة الإسلامية ، وقد قاد هذا العمل جمال الدين . ومحمد هبده وتلاميذهم في الأزهر وخارجه وحسن الطويل وأبراهيم إبراهيم الثقافى وشكيب إرسلان وعبد القادر المغربى ورشيد رضا والمراغى وعبد السلام المويلحى وعبد الكريم سليمان وحسن عاصم وأبو خطوة وإبراهيم المويلحى .

النبع الثاني : النبع الوطني ، وهو نبع ملتزم بالوحدة الإسلامية الجامعة بهدف إلى مقاومة الاستعمار والنفوذ الأجنبي وخاصة استعمار بريطانيا ويعارضها معارضة ضخمة واسعة ، وفي مقدمة هذا التيار مصطفى كامل وعبد فريد وعبد العزيز جاورش وأحمد وفيق وأمين الرافعي .

وقد كان هذا التيار أشد على الاستعمار من التيار الأول في المعارضة ، بينما كان هدف التيار الأول بناء الانسان المسلم بعيداً عن مجال السياسة وتكوينه ثقافياً وتربوياً وهذا هو العمل الذي توفر عليه الشيخ محمد عبده الذي كان يرى أن أسلوب التربية هو الطريق الوحيد لتحرير هذه الأمة وإنهاء غدها وكان هدف الاستعمار القضاء على ثلاثة أمور .

١ - الوحدة الإسلامية : وقد اصطنع لذلك فكرة الجامعة العربية (على يوسف والسكواكي) وفكرة الجامعة المصرية (لطفى السيد) .

٢ - اللغة العربية : وقد اصطنع لذلك وللكوكس ودعوته إلى العامية وولاء لطفى السيد وقاسم أمين لها ودعوتهما إليها .

٣ - التعليم العلماني المفرع من الاسلام : وقد اصطنع لذلك سعد زغول على خط دنلوب (مع بعض الظواهر الخادعة) .

٤ - الشريعة الإسلامية : وقد ركز في ذلك على نظام المحاكم الأهلية والقانون الوضعي :

(٣)

محمد عبده وبناء المسلم تربويا

كانت دعوة محمد عبده ، عملية ، بناء على الواقع الذي عاشته مصر بعد الاحتلال فهي ترمى في الاساس إلى .

(١) تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف هذه الامة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه من يتابعها الاولى وهي الكتاب والسنة وفتح باب الاجتهاد .

(٢) إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرر سواء في الخطابات الرسمية والمراسلات بين الناس وتحديد شباب الفصحى والعناية بأمرها .

(٣) محاربة الخرافات والباطل التي نسبت ظلما وزورا إلى الدين وتحريك رجال الدين من رقادهم لانهم مصاييح الظلام .

(٤) الاتحاد العام أمام العدو الخارجي ونسيان الحزازات والخلافات الداخلية أثناء الخطر .

(٥) الاعتماد في نهضة المسلمين على النهوض بالآزهر لانه حصن الدين ومقل اللغة .

(٦) اعتبار الدين صديقا للعالم لا موضع لتضادهما ، إذ لكل منهما وظيفة التي يؤديها وهي حاجات البشر لاغنى لإحداهما عن الاخرى .

(٧) أن القرآن يجب أن يكون أصلا تحمل عليه المذاهب .

(٨) العناية بتربية الامة تربية خاصة وأنها مقدمة على العمل السياسي .

الفصل السابع

سعد زغلول : رائد التحول نحو التغريب

خرجت مدرسة الاستعمار البريطاني نموذجاً من القادة والسياسيين والحكام يختلف اختلافًا واضحاً وعميقاً عن نماذج القادة والسياسيين والمفكرين الذين عرفتهم الأمة الإسلامية إيماناً بالله وتقديراً للدفاع عن كلمة الله ودفاعاً عن العرض والأرض يتمثل في هؤلاء الذين حاربوه في مجال الجهاد الحربي أو السكفاح الوطني الإسلامي ، والمعروف أن هذه المدرسة التي قاومت النفوذ الاستعماري في مصر عند دخوله عام ١٨٨٢ قد قاومها الإنجليز وحاربوها أشنع الحرب حتى قضوا عليها من أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وأحمد وفيق وأمين الرافعي وحلي الغاياتي ومن قبل قاوم الاستبداد عمر مكرم ومحمد السادات وعبد الله الشرفاوي وحسن العدوي وأبو العلا الخلفاوي ومحمد الإمبافي. لئذ كان الاستعمار حريصاً على صنع طبقة خاصة من المثقفين عمل كرومر على إعدادها ووعداً بأن تتسلم قيادة الأمة بعد خروج الإنجليز ووفى لها وكان أبرزها: لطفي السيد الذي قاد عن طريق الصحافة حركة الاقليمية المصرية المنفصلة عن العروبة وعن الوحدة الإسلامية وسعد زغلول الذي قاد حركة التعليم ومكن لغة الإنجليزية ومن قبل عمل على مدامتياز قناة السويس ، وهادن الاستعمار وتعلم على كرومر كما تشهد بذلك مذكراته وكتابات المؤرخين المثقفين .

إن شخصية سعد زغلول تكشف عن مدى التحول في مفهوم البطولة والجهاد والسكفاح الوطني بالنسبة لأولئك الأبرار الذين قدموا نبض قلوبهم وعصارة أرواحهم في سبيل تحرير الوطن وتصحيح الفكر والتماس الاصاله وإعادة بناء الأمة على طريق الإسلام والحق أن الحركة الوطنية المصرية قد بدأت في أول الامر في إطار الجهاد الإسلامي ومن خلال مفهوم وحدة الأمة الإسلامية التي ربطها القرآن وجمعها الإسلام تحت زعامة رسول الله ﷺ .

منذ بدأت محاولة النفوذ الأجنبي للسيطرة على هذه الأمة فإن صيحتها
بالمقاومة كانت تحت راية الإسلام ولواء الجهاد باعتبار أن الأمة الإسلامية
أمة واحدة وأن كل أرض هي أرضها .

ولكن هذا الأسلوب الجديد الذى طرحه النفوذ الاستعماري للزعامة هو
الذى حمل معه مفاهيم التجزئة الوطنية أو القومية أو الإقليمية التى دخلت مع
الزعامات التى صنعها الاستثمار ، فقد واجه الاستثمار أمة مؤمنة وزعامات تكافح
فى سبيل تحرير أرضها ووطنها وإيكنها تؤمن بالوحدة الإسلامية والارتباط
العميق بين الأرض وبين منبج الله .

ولذلك فقد وجد الاستثمار من أمره عسراً فى المرحلة الأولى فقد واجهه
قوم من القادة الغير الذين يتحركون فى جهادهم من داخل إطار المفهوم الإسلامى
الجامع : وجد فى مصر أحمد عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد ووجد فى تونس
عبد العزيز الثعالبى ووجد فى ليبيا السنوسى وعمر المختار ووجد فى المغرب
عبد الكريم الخطاطى ووجد فى الجزائر عبد القادر الجزائرى ووجد فى الهند
أحمد عرفان ووجد فى القوقاز الشيخ شامل ووجد فى كل قطر عربى وإسلامى
تلك الصفوة من المجاهدين الصادقين الذين يؤمنون بتكامل الدعوة إلى تحرير
الوطن وإلى تحرير المجتمع ، ويرون أن المنهج الإسلامى هو وحدة الكفيل
بإعادة بناء الأمة من جديد .

ولما كان النفوذ الاستعماري يريد تثبيت إقامته وتركيز دعائمه فقد عجز عن
التفاهم مع هؤلاء المؤمنين الصادقين بربهم ودينهم وأوطانهم وقاومهم شر مقاومة
وعمل على تحطيمهم وتدميرهم ، إما بالسجن أو النفي أو الإبادة وأخذ فى نفس
الوقت فى بناء زعامات جديدة داخل نطاق دائرة نفوذه ، زعامات تؤمن به
وتستجيب له وتلتقى به فى منتصف الطريق وتتحرك فى إطار مفاهيمه أساساً ،
ولا بأس أن تختلف معه خلافاً ظاهراً ، مادامت هذه الزعامات تؤمن بوجوده
وتتعامل معه ، وتقبل سلطانه وتقر بتنفيذ قانونه الوضعى ونظامه السياسى
وتخضع لمدوبيه وتنفذ نصابه باعتبارها أوامر ، هذه النبتة المسمومة التى
صنعها النفوذ الاستعماري فى أرض الإسلام ، إنما كان بعدها لتحكم هذه الأقطار

طويلا ، ولذلك فقد اختارها بعناية وكونها ورباها ومنحها القدرة على أن تسكسب إعجاب الجماهير بالخلاف الفرعى معه ، وليكنها كانت في مجموعها من صنع يده وصاحبة ولاه أكيد له ، ونحن حين ندرس تاريخ الحركة الوطنية في العالم الإسلامى نجد هذه البدائل واضحة وقائمة وقد مهد لها الاستعمار واجلى من طريقها رجال الوطنية الإسلامية الحققة ، بالنفى والسجن والتشريد وفي مصر نرى كيف استطاع الاستعمار من دخوله البلاد ١٨٨٢ إلى أوائل الحرب العالمية ١٩١٦ أن يتخلص من هذه الجماعة المسلمة الوطنية الصادقة الإيمان بالعمل عن طريق الجهاد والمقاومة وفق أسلوب الاسلام ، لأنها أخطر عليه وأخطر على بقائه ، وهى حائل دون نشر مفاسده وسوءاته وسمومه وغزوة الفكرى ولذلك فسرعان ما حاصر هذه الجماعة وقضى عليها واستطاع كرومر في خلال خمسة عشر عاما أن يخرج جيلا جديدا من المتفرنجين أولياء النفوذ الاستعماري القابلين بالوجود البريطانى الذين يؤمنون بأسلوب المناورة والمفاوضة والتفاهم مع الاستعمار مع التقبل والإعجاب والتقدير لأسلوب اللبيرالية الرأسمالية الديمقراطية الغربية ، والنقل من نظامها السياسى والاجتماعى والاقتصادى أى بمعنى أوضح الخضوع لأسلوب العيش الغربى ، : الأسلوب الرئوى فى الاقتصاد واللبيرالى فى السياسية والعلمانى فى الاجتماع والتربية ومن خلال هذا المخطط خرج لطفى السيد وسعد زغول وعبد العزيز فهمى فى هذا الجو الذى غام على مصر بالاحتلال وفى مواجهة الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل ومحمد فريد صنع الاستعمار اتباعه ورجاله ، وكان تعيين سعد زغول ناظرا للمعارف هو إيدان بنجاح خطة كرومر فى تسليم القيادات الفكرية والتعليمية إلى أولياء النفوذ الأجنبى ولقد حارب سعد زغول الحركة الوطنية منذ يوم أن تولى الوزارة وقدم زعيم الأمة (محمد فريد) وهو وزير للحقانية إلى المحاكمة وانسحب من مشروع الجامعة ، وبتوغ جعل التعليم باللغة الانجليزية ورفض طلب الجمعية العمومية باستبداله بالعربية وقال : إننا إذا جعلنا التعليم باللغة العربية أسأنا إلى بلادنا إساءة كبرى ، وكانت هذه أولى خطوات إندماجه فى صفوف الاحتلال ، وقال مصطفى كامل : إن الناس قد فهموا الآن بأوضح عما كانوا يفهمونه لماذا اختار كرومر لوزارة المعارف صهر رئيس الوزراء مصطفى فهمى

الامين على وحيه الخادم لسياسته وفهموا لماذا قامت الصحافة الانجليزية والصحف
المتحيزة للانجليز وذرت الدماء في العيون : قائلة أن الوزير الجديد من الحزب
الوطني في حين أن كل شيء من أحواله وشئونهِ يدل على شدة ميله إلى
السلطة .

ولقد كان إبراز سعد (في المعارف) ولطفي السيد (في الصحافة) على
هذا النحو كبتا وحجبا لأولياء الحركة الوطنية الأصلاء الذين كانوا يزعجون
الانجليز في المطالبة بالجلاء وينكرون المفاوضة معهم ، ولقد قدموا هذا الجيل
وسمحو له بالظهور بعد ثورة ١٩١٩ فكان سعد زغول وأعوانه الذين آمنوا
بالتفاهم والصدقة الانجليزية هم الخصوم الشرفاء المعقولون ، وكان سعد
الذي حارب الحركة الوطنية أيام محمد فريد بتقديم فريد للمحاكمة وإعادة قانون
المطبوعات القديم بعقوباته الشديدة على كتاب الوطنيهِ هو زعيم هذه الأمة .

ومن هنا ظهرت فكرة (الوفد) من أولئك الذين ذهبوا لمقابلة
المعتمد البريطاني (سعد زغول - عيد العزيز فهمي - علي شعراوي)
في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ .

لقد كانت تصريحات هؤلاء الزعماء هي جواز المرور لهم إلى الحياة
السياسية فقد أعلنوا ولائهم الكامل لبريطانيا وأعلنوا نبؤهم من الحزب
الوطني وأكدوا أنهم من جماعة حزب الأمة الذين قبلوا الصداقة مع الانجليز
ولقد كان تصريح سعد زغول هو أشد هذه التصريحات ولاه وخصوصا
للانجليز : وتقديم قناة السويس ضمانا كاملا للانجليز لما حق احتلالها .

وبذلك نجح سعد زغول في امتحان الزعامة والقيادة وقدم مضر
للانجليز لقمة سائفة تحت اسم الاستقلال ، وهو الاسم البراق الخادع الذي
استعمل بدلا لسكة الجلاء ، التي كان يستعملها الحزب الوطني والواقع أن كل
عاقبة سعد زغول إلى السادة الانجليز ، لم توكله الأمة فيه . وما كان الأمة
أن تطلب هذا مطلقا ، ولو طالبت هذا لتمكن تحقيقه بأسهل الأساليب
وبدون ملوأة للدهاء وتضحية الشباب ، ومعنى هذا أن سعد زغول قد

قتل روح النهضة التي أنشأها الرعيل الأول من المجاهدين سواء في المجال الوطني .
أو في المجال الاجتماعي وحمل إثمًا خطيرًا فهو أول من حول مفهوم الوطنية في العالم
الإسلامي من صيغته الإسلامية متمثلة بالجهاد الذي دعا إليه الإسلام إلى المفهوم
الغربي الوافد القائم على المفاوضات والفهام وقبول الأمر الواقع والخنوع
والذلة للمستعمر وبذلك كان وليا لخصوم الإسلام ومؤازراً للنفوذ الاجنبي
وحامياً للمحاذير والمخاطر التي وقع فيها الوطن الإسلامي بتعطيل شريعته
وغلبه المصارف الربوية والقانون الوضعي وأسلوب التربية العلماني والتعليم
الغربي عليه .

لقد كان سعد زغلول هو الذي كسر منهج المجاهدين المسلمين في مقاومة
الاستعمار وحطم خطة المجابهة والمواجهة والاستعصاء بمنهج الإسلام في
الجهاد والحكم وبناء المجتمع ، فجاء هو - وهو الذي درس في الأزهر -
لينحو بالبلاد (نحو التغريب والتفرنح وقبول الأمر الواقع والانسلام
مع المحتل والتعاون معه والانهار بالفسكر الغربي ورفض مفهوم الإسلام في
الوحدة الجامعة وتطبيق الشريعة وبناء المجتمع على أساس الحدود الإسلامية ،
وبذلك فقد سن هذا الاتجاه الخطير الذي قام عليه الحكم السياسي في مصر
حتى نهاية عصر الملكية .

إن سعد زغلول يحمل إثم أول من حول الوطنية في العالم الإسلامي
من مفهوم الإسلام إلى المفهوم الغربي الوافد وأنه كان وليا لخصوم الإسلام
ولاعلاء الدين وأنه آزر النفوذ الاجنبي ولاء وصدافه وإعجابا .

سعد زغلول وطه حسين

مقدمتان للماركسية والعلمانية والمذهب المادى

كانت المدرسة السياسية التى قادها سعد زغلول قد حطمت مفهوم الوحدة الجامعة بين الإسلام والوطنية وانبعاث العمل الوطنى من الإيمان بالإسلام ومن خلال مفاهيمه الجامعة وإحلال مفهوم جديد غربى يقوم على أساس تضيق دائرة الوطنية وفصلها عن الإسلام نهائيا وقيامها على أسلوب الصراع والهجاء والمناورة مع استغفار النفس أمام الغاصب والإعجاب به والتسليم له ، والخضوع لوجهة نظره .

ثم فتحت هذه المدرسة السياسية ، الباب أمام المدرسة الفكرية الخاضعة لأسلوب الغرب فى الثقافة والتعليم والتربية والإدماج بأسلوب حضارته وقيام المدرسة على أساس علمانى تفرع من الدين جملة ومن مفهوم الإسلام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى .

وهو التيار الذى حمل لوائه لطفى السيد وجماعة جريدة السياسة (هيكل وطه حسين وعمود عزمى وعلى عبد الرازق) ومعهم سلامة موسى والمقاد وهى هاتسمى المدرسة الليبرالية فى الفكر ، والمعتمدة بعد ذلك فى لويس هوفمان ومصطفى أمين وهم دعاة الديمقراطية .

وفد وضع دعاة مدرسة التفريب هذه القواعد التى خرجت بالفكر الإسلامى عن أصوله ومنهجه الواضح وطريقه الاصيل بحيث استطاع الفكر الغربى أن يفتح نفرة فى جدار الفكر الإسلامى تسرب منها فيما بعد الفكر الصهيونى والفكر الماركسى ونشأت المدرسة المادية الاشتراكية والوجودية والفرويدية وهى نتاج النظرية المادية أساسا وهى التى التى أفسح لها عهد الناصر وجودا قويا مدعما فى الصحافة والاعلام خلال مدة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ .

وفد قاطع دعايم المدرسة التفريبية فى الفكر على الاسس الآتية :

أولاً : الدعوى الباطلة بين الإسلام دين روحى لاصلة له بالمناهج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأنه قاصر على العبادة والمسجد والصلاة والصيام ، أما أنظمة المجتمع فإنها تؤخذ من الغرب ومن الفكر الغربي بدعوى أن الإسلام ليس له علوم سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وفي تنكر بالغ بالمناهج الإسلامية التي عرفها العرب .

ثانياً : انكار دور الاسلام في بناء الحضارة العالمية وتقديم المنهج العلمي التجريبي بدعوى أن المسلمين أخذوا منهج اليونان وفلسفتهم وأقاموا عليها حضارتهم وهي دعوى مبطلّة كاذبة ، كشف زيعها علماء منصفون من الغرب نفسه .

ثالثاً : الفصل بين الادب العربي وبين الفكر الاسلامي وإعطاء الادب حرية في الانطلاق في البعد عن الجنس والشبق والاباحيات والكشف وإعلاء هذا الجانب من شعر أبي نواس ، وإعلاء روح الشموبية بإحياء ابن المقفع وإحياء الفكر الوثنى الصوفي المتمثل في ابن عربي والحلاج .

رابعاً : الدعوى العريضة الكاذبة بأن المسلمين أقاموا الفكر الاسلامي على مناهج اليونان (أرسطو وأفلاطون) في الماضي ولذلك فلا يمنع أن يقوم الفكر الإسلامي الحديث على مناهج الغرب : دوركايم ووجست كونت وغيرهما .

خامساً : إعلاء مفهوم الغرب في الجبرية التاريخية ، وهي التي تُلغى الإرادة الفردية ، وأخلاقية الحياة ، ومحاولة الادعاء بأن الأخطاء تنسب إلى المجتمعات وليس إلى الأفراد .

سادساً : تصور أن الإنسان مجموعة من الفتوى المادية تحكمه رغبة الجنس والعيش في إطار مذهبي فرويد وماركس ، وأنه خاضع لهذه القوى وأنه يمكن محاكمته على أساس المذاهب التجريبية ، بينما أن العلوم الإنسانية لا يمكن أن تخضع لهذا المنهج المادي لأن هناك جانباً آخر لا تعترف به الحضارة الغربية وهي الروح والنفس والمعنويات .

سابعاً : إثارة روح الشك المؤدية إلى الإلحاد ، وروح الإباحة المؤدية إلى الانحراف الخلقي .

ولقد كان التركيز على هذه المعاني مقدمة لسيطرة المذهب المادي الذي حمل لوائه الماركسيون في عهد عبد الناصر ووجد طريقه تحت تأثير هذا التمهيد الذي قدمته مدرسة طه حسين .

وقد يتبين من بعد أن النظرية المادية مسيطرة على كلا الفكرين : الفكري الليبرالي الغربي والفكر الماركسي أو الاشتراكي .

ومن هنا فقد حرصت القوى السياسية في عهد عبد الناصر إلى تدريس النظرية المادية للشباب في نطاق التنظيمات السياسية : التنظيم الطلابي والمعهد الاشتراكي وغيرهما وذلك لتزكين مفهوم الماركسية في هذه النفوس والعقول ، غير أن عمق الإيمان بالإسلام كان مانعاً وحاجزاً دون تقبل العقل المسلم والنفس المسلمة لهذه المفاهيم بل ولم يلبث أن انفجر مع نكسة ١٩٦٧ تيار إسلامي قوى تحت اسم العودة إلى الله .

ولقد أدى هذا الأسلوب التخريبي الذي بدأه سعد زغلول وحققه طه حسين وطبقه عبد الناصر إلى جملة أمور :

(أولاً) إلى : إزاعة الزيف والخداع والتضليل والاستعلاء بالباطل والإعجاب بالهجاء والتلبيس على الحق وعلى ضوء الإسلام الساطع بمفاهيم زائفة خادعة .

(ثانياً) إلى : خلق جو من « السطو » على الفكر الصحيح وإعلاء أصحاب الفكر الزائف وإفساد أخلاقيات الحياة الجامعية والعقلية .

(ثالثاً) إلى : خلق روح الوصولية والشفافية والحق وسحب كلمة الحق وتدافع اليأس نحو المظالم بوسائل الخيانة والانتقام والخطف حتى فسد المجتمع فساداً عميقاً في جوانب المعاملات بين الناس ، وضمرت روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغلب أصحاب الرشوة والفساد والظلم واستبد أصحاب الخلق والدين من مفكر الحياة .

الفصل الثامن

التبعية بعد الحرب العالمية الأولى

جاءت الحرب العالمية الأولى كنقطة تحول في خطة الاستعمار والنفوذ الأجنبي، فقد كانت الفرصة قد أوفت لتزريق الدولة العثمانية التي وقفت في وجه الغرب حامية للعالم الإسلامي أربعمائه عام والتي توالى المؤامرات عليها منذ قرون طويلة بهدف تمزيقها. وقد جاءت الخطة مرتبة على أساس إقامة رأس جسر للصهيونية في البلاد العربية في فلسطين تحت اسم وعد بلفور الذي مكن لمجره شتات اليهود من أوروبا إلى فلسطين وكانت الخطة قد عرضت على السلطان عبد الحميد فوقف في وجهها بشدة وصلابة وكانت من أسباب اسقاطه، كما كانت الخطة ترمي إلى اسقاط الخلافة الإسلامية وتمزيق شمل المسلمين وإذاعة دعاوى الأقليات والقوميات لأحياء تارخ ما قبل الاسلام من الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية وإغراق المسلمين في نظم إقليمية وإحياء عنصريات قديمة تفصل بينهم.

وقد وضعت الخطة لتقسيم البلاد العربية بين فرنسا وإنجلترا.

وقد ظهرت وثائق جديدة أثبتت أن تجزئة البلاد العربية لم تكن وليدة الحرب العالمية الأولى وإنما كانت الدول العربية قد رتبها خلال سنوات من قبل ذلك وبالذات من سنة ١٩٠٦ -- ١٩١٤ أخبر بذلك رشيد الخالدي في كتابه (السياسة البريطانية في سوريا وفلسطين).

وتعود أسباب ذلك إلى ضعف الدولة العثمانية ذلك الضعف الذي دفع الدول الأوروبية الكبرى (بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا) إلى اقتطاع أجزاء من أراضيها ثم تم التفاهم بينها على مناطق النفوذ التي تحتص كل واحدة منها في الأراضي التي بقيت للدولتين في آسيا.

كذلك فإن المؤتمر الذي عقد في بريطانيا ١٩٠٧ المعروف بمؤتمر (برمان) كان قد عرض للخطر الواقع على الغرب وسقوط حضارته وبروز وادّث قوى هو الأمة التي تسكن جنوب البحر الأبيض المتوسط على قارتي إفريقيا وآسيا وقد انفقت الآراء على وضع جسم غريب بين القارتين يحول دون وحدتها ومن هنا تركز العمل على تمكين الصهيونية من فلسطين بوصفها الجنس الغريب العازل المعوق لنهضة العرب والمسلمين .

وقد حققت الحرب العالمية للنفوذ الأجنبي عدة غايات :

أولاً : القضاء على استقلال هذه الأمة وقدرتها على إمتلاك إرادتها وبذلك حجبت عن شريعتها الإسلامية أساساً .

ثانياً : القضاء على الوحدة الإسلامية النامية تحت لواء الدولة العثمانية (العرب والترك) والتي كانت تتجه إلى جمع لواء المسلمين تحت سلطان الخلافة .

ولكن الحركة الوطنية التي كانت تحمل طابع الإسلام في الدفاع عن الأرض وعن العرض والتي كانت تستمد مقوماتها من مفهوم الجهاد ومقاومة الغاصب وعدم قبول تعدى الأجنبي ورفض ولاية غير المسلم ؛ كل هذا كان هو المصدر الحقيقي للثورة المصرية ١٩١٩ التي ورثها سعد زغلول وجماعة السياسيين المخترفين الذين تولوها من بعد ، فقد كانت ثمرة مفاهيم عمر مكرم وأحمد عرابي ومضطفي كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويز في الحرية وكان الأزهر هو القائد الحقيقي لهذه الثورات الثلاث : الثورة ضد الفرنسيين وثورة عرابي وثورة ١٩١٩ فهي ثورات إسلامية وإن تلفظها النفوذ السياسي الذي أوجده الاحتلال البريطاني .

ولقد كانت تجربة النظام السياسي الديمقراطي المقتبس من الغرب والتي سبقتها مصر من خلال نظام الأحزاب والانتخابات تجربة فاسدة لم تحقق الأهداف الحقيقية . وكانت البلاد تتطلع إلى العودة إلى أصول فكرها ومنهج شريعتها وحياتها .

وكانت الضربات التي توالى عليها بالغة الخطورة :

(١) الاحتلال وسيطرة النفوذ الأجنبي والحكم عن طريق أعوانه .

(٢) سقوط الخلافة وتمزق الأمة الإسلامية إلى وحدات صغيرة .

(٣) غلبة الدعوة إلى الفرعونية والمصرية وحجب مفاهيم القرآن والتاريخ الإسلامى .

وكان التصور بعد الحرب العالمية الأولى أن تأخذ الدول حريتها وحقها في بناء مجتمعاتها ولكن النفوذ الاستعماري أضعف ظاهرياً من سلطانه ، وغير الأسماء من وصاية واحتلال إلى استقلال ذاتي ، وبقي يحكم من وراء نفوذ أولئك الزعماء المتصارعين على السلطان والخاصة النفوذ وفي أبان هذه الفترة — فترة ما بين الحربين — تحققت بعض الخطوات التي فتحت الطريق أمام الفكرة الإسلامية لتصبح عقيدة يؤمن بها من أحس بهزيمة السياسية والحزبية وفساد النهج الذي قامت عليه ، ولقد كان سقوط الخلافة عاملاً من نفوس المسلمين أزاء هذه الأمانة الغالية ، فلما تأمرت الدول الاستعمارية عن طريق التبشير وإنشاء الجمعيات التبشيرية ومدارس الاتصالات وتوسع هذه الخطة كان على المسلمين العيورين أن يواجهوا ذلك ببناء الجمعيات الإسلامية فظهرت الشبان المسلمين والهداية الإسلامية ، والرابطة الإسلامية ومكارم الأخلاق والإخوان المسلمين والانصار وشباب محمد وعشرات الجماعات التي حملت لواء التوجيه الإسلامى لمقاومة التبشير والغزو العسكري ، وكانت قد تكشف بعد عشر سنوات من ثورة ١٩١٩ فساد الوجهة التي جرت عليها الأحزاب السياسية بصراعها وتمزقها وأساليبها في الهجاء وتقسيم ولائها بين القصر وبين الاستعمار ، وتطلع الناس إلى روح جديد ، إلى مفهوم جديد ، إلى هدف جديد هو بناء جيل من الشباب المستقيمين على مفهوم الإسلام الصحيح فقد كانت دعوات جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا قاصرة على النخبة المثقفة ، وعلى مجموعة الصفوة من العلماء ولكن الأمر أصبح مهيأ لخطوة جديدة ، هذه الخطوة التي قامت بها الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة ودعمت أسسها وقواعدها على أساس

« تربية جيل ، يفهم الإسلام على أنه دين و دولة و عبادة و نظام مجتمع ، و أول ما يتطلع إليه أن تعود الأمة الإسلامية إلى العمل و الحكم و بناء مجتمعها تحت لواء الشريعة الإسلامية التي عطلها النفوذ الأجنبي و حججها و فرض القانون الوضعي و نظام الربا و التنظيم السياسي الديمقراطي الوافد و التعليم العلماني و قد نما هذا البناء و اتسع نطاقه و ضم عشرات من الشباب المثقف المسلم في ميادين دراسات القانون و التجارة و الطب و الاقتصاد و الأدب و الاجتماع حيث مضى كل منهم في طريقه يبحث عن موقف الإسلام و مفهومه ، و يرد مفهوم الفكر الوافد في محاولة للبحث عن الاصاله و الناس المنابع و دعوة الامه إلى طريق الله الحق ، حتى علا صوت الاسلام و نما و اقتحم الجامعات و نشر شعاعه إلى إفريقيا و الشام و العراق و آسيا فعلا صوت الدعوة إلى الله و حقق نتائج واسعة عميقه في بناء العقل الاسلامي الجديد و استطاع أن يقاوم حملات التشكيك و التبشير و الاستشراق و يرد على الشبهات و يدحض فكرة التغريب و يعمل عمه في تقديم ما عجزت عنه المناهج التعليمية و المدرسية و الثقافية و نشأت صحافة إسلامية جادة تحمل لواء الدفاع عن المقدسات و تحرير الوطن و تصحيح المفاهيم على نحو بالغ الاهمية و الخطورة كاشفة عن أوكار الاستعمار و الصهيونية و النفوذ الأجنبي بمجدة صفحات تاريخ الإسلام ، حتى تهيأت الأذهان إلى إيمان راسخ بأن نهاية الحرب العالمية الثانية التي أعلنت دول الغرب على أنها ستحقق حق تقرير المصير لأهلهم ، لا بد من توجهة إلى امتلاك الأمة الإسلامية لأراضيها وازاحة نفوذ المستعمر و أعوانه ، و تقديم تلك الصفوة المؤمنة لتأخذ مكانها في قيادة المسيرة :

ولكن الأمر كان على غير ما تطلع إليه المصلحون ، فقد كان سقوط الخلافة الإسلامية مقدمة لتوسع النفوذ الصهيوني الذي استطاع بالحرب العالمية الثانية أن يحقق وجوده على رأس جسر في فلسطين ، وكانت المصادمة الأولى التي كشفت عن قوة الدعوة الإسلامية على نفوذ القوى الغربية إلى المسارعة بتصفيتها و القضاء عليها .

وإذا كان النفوذ الغربي و الاستعمار قد استطاع بالحرب العالمية الأولى :

القضاء على الخلافة الإسلامية وتمزيق وحدة العالم الإسلامي فإنه استطاع
بالحرب العالمية الثانية إقامة إسرائيل والقضاء على وحدة العالم العربي ،
ففي الأولى أزاح النفوذ الاستعماري قادة اليقظة العربية الإسلامية
وقدم رجاله وفي مصر أزاح الحزب الوطني وعبد العزيز جاويش ووضع
لطفى السيد وسعد زغلول وفي الشام أزاح شكريب أرسلان ورشيد رضا
ومحب الدين الخطيب ودعاة العروبة المرتبطة بالإسلام ووضع قادة البعث
ورجال الجامعة الأمريكية (نبيه فارس وميشيل هفلق وقسطنطين رزق) .

كذلك في الحرب العالمية الثانية كانت الخطوة مرتبة لسيطرة رجال من
الجيش على الحكم في جميع أنحاء العالم الإسلامي وفي مقدمته باكستان
وسوريا ومصر والعراق .

ولم يكن هناك خطر على الأمة أبان الاحتلال فقه كانت القوى كلها مجندة
للمقاومة ولكن بعد الاستقلال جاءت مرحلة التراخي والترف والاستسلام
ومنا تضاعفت حركة العدو ؛ الذي انتقل من مرحلة الغزو السياسي
والمسكري إلى مرحلة الغزو الفكري والثقافي ، لقد كان خلال مرحلة
الاحتلال يستعد لمرحلة ما بعد الاستقلال بإعداد قواعد التي ينطلق منها :

المدرسة ، الرسائل ، الصحافة ، الثقافة ، المسرح ، السينما ، اليوم أصبحت
كل هذه القوى في يده .

والحكم الوطني بعد الاستقلال كان ولائه الفكري غريبا وإن بدا أنه
خصم للاستعمار سياسيا ولذلك فهو لم يراجع ما صنعه الاستعمار في
بلاده ولم يغير من سير الاتجاه والتوجيه منها وسلك نفس طريق الاستعمار
قبله ، في إخلاء الواقع الاجتماعي من الإسلام ، فقد أكد الطائفية في
عمل الدين عن الدولة ، فأبعد عن التعليم ، والتشريع ، واضممه
معاهده ومؤسساته وألغى المحاكم الشرعية وسوى هذا الحكم الوطني في بعض
المجتمعات الإسلامية بين الرجل والمرأة في الميراث وقلد الكشلكة في قيود
الزواج والطلاق وأتاح الفرصة للدولة في أن تبارك زواج المسلمة بغير

المسلم بينهما عند البعض الآخر إلى رفع القرآن كلية ووضع مكانه الاشتراكية
اللينينية لكارل ماركس وماوتسى تونج وهناك من مسح الأحوال الشخصية في
الإسلام ، وأعلن الكثيرين منهم تمجيد مصطفى كمال اتاتورك والسير على
خطاه ، وتقديم فهم خاص للإسلام يختلف عن مفهومه الصحيح .

لقد سار الحكم الوطنى على القواعد التى رسمها المستعمر وتشبكت بها
ولم يحاول أن يعدل من هذه الأنظمة بما يتفق مع قيم الأمة وتراثها
وهويتها وذلك لأن أغلب هؤلاء الحكام لم يكونوا مؤمنين بأن الإسلام له
نظام قادر على العطاء .

الفصل التاسع

الخروج من التبعية

بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي خلال انحسار موجة الاستعمار الغربي (الفرنسي والبريطاني) عن البلاد العربية ، واجه العرب والمسلمون : الغزوة الصهيونية وتغير نظام الحكم في أغلب البلاد العربية المواجهة لفلسطين ، وغلب عليها النظام العسكري ، نظام الحزب الواحد العسكري ، والذي حمل معه مفهوم القومية العربية المفرغة من الاسلام ، ومزيج من التبعية للعلمانية الغربية ، ثم ظهور ولاه جديد للشيوعية ، وتقاسمت العالم الاسلامي أنظمة مختلفة ، بعضها ذات ولاه غربي ، وأخرى ذات ولاه شيوعي ، وكانت المحاولة تهدف إلى مواجهة الصهيونية ، التي هزمت العرب في حربين : حرب ١٩٤٨ التي استطاعت بها أن تقيم الدولة وحرب ١٩٦٧ التي استطاعت بها أن تستولي على القدس .

وأفادت حركة التغريب من مرحلة النفوذ العسكري والثوري وانتهت أمامها الآفاق أكثر مما كانت في أيام حكم الاحتلال والحزب ، كانت الضغوط الأولى هي الرأسمالية والقانون الوضعي والتعليم العلماني والديمقراطية الليبرالية .

أما الضربات الجديدة فكانت أشد عنفاً : كانت : القومية ، ذات المفهوم العلماني والاشتراكية ذات المضمون الماركسي والحرية ذات المضمون المتحرر من قيم الأخلاق وفي ظل هذه المرحلة لم تكن هناك نافذة واحدة مفتوحة لمراجعة ما تطرحه هذه الدعوات من ماركسية ووجودية والحادية ومادية .

وكان للخلاف التي وقع بين القائمين على الدعوة الاسلامية وبين المسيطرين على الحكم أثره في حجب الكلمة الاسلامية وتخوفها وانكماشها ، وكلها ذلك انفساحاً لدعاة الماركسية وأهوائهم ومنظمتهم ، وكانت فرصة النفوذ

الغربي بالماركسية أشد من فرحة الشيوعيين بها فهي عامل مدم للأمة يمزقها فرقا جديدة أكثر مما هي موزقة .

وتفشت بعد الحرب العالمية الثانية موجة من الإلحاد والنزعات الاقليمية والقومية المفرغة من مفهوم الاسلام إلى موجات من الاشتراكية والوجودية والفرويدية .

ولكن لم تلبث تلك ١٩٩٧ أن أعادت الوحي بأن الطريقة كانت نتيجة الانحراف عن منهج الله وكشفت عن أن كلا المذهبين الغربيين الوافدين في تحرير الرأسمالية والديمقراطية بعد الحرب الاولى وتجربة الاشتراكية والماركسية بعد الحرب الثانية . وقيل كلاهما عندما أعلن الوجدان الاسلامي العربي رفضه لكلا المنهجين بعد أن اكتشف أن كل منهما هاجم عن العطاء الجامع الذي قدمه الاسلام : نظام الروح والمادة معاً ومن ثم فقد تبينت الاية في كل اجزاء العالم الاسلامي بان تحررها وقدرتها على امتلاك إرادتها يتطلب أن تصدر عن منهجها الاسلامي الاصيل وبذلك تكشف فشل التجريبتين والمذهبين .

ومن هنا فقد كان لا بد لحركة البقطة الاسلامية من أن تواجه جميع القضايا والمفاهيم والايديولوجيات المطروحة في أفق الفكر الاسلامي وأن تكشف موقف الاسلام منها وأن تدخل مرحلة جديدة هي مرحلة الرشد الفكري والاصالة والقدرة على امتلاك الإرادة من أجل بناء الحضارة الإسلامية الجديدة المتجددة على أساس قاعدة القرآن الصلبة الجامعة بين المادة والروح والقلب والعقل والدنيا والآخرة .

لقد بدأت المواجهة مع الفكر الغربي منذ وقت باكر ، بعد قليل من ابتهاج دفاة رافع الطمطاوي وخير الدين التونسي للحضارة الغربية وهو انهيار محدود متحفظ قوامه الاحساس بأن القانون الفرنسي له ملامح من المذهب المالكي والشرعية الاسلامية .

ومن هنا فقد جاءت فكرة أن الاقتباس الاسلامي من الغرب إنما يستمد من مصادر جاءت من الاسلام أساساً ولكن غاب عن هؤلاء حقيقة أساسية وهو أن الغرب حين نقل فكر الاسلام لم يقبله بمفهومه الجامع وإنما فصل فيه من الفكر والتطبيق وبين الروح والمادة ، وثانياً فقد صاغه في إطار الفكر اليوناني والروماني وبذلك زالت عنه أكبر علامات استقلالته وذاتيته الجامعة .

والمعروف أن خير الدين التونسي والطهطاوي - وهما رائداً الفكر الاسلامي إلى الغرب في هذا الوقت المبكر يدعوان إلى النهضة على أساس غربي محض ، كما هو واضح في كتاب (أقوم المسالك) الذي يدعو فيه التونسي إلى إنشاء شركات وبنوك على النمط الغربي كما يدعو إلى حياة نيابية بين هلي نمط غربي وهو في هذا شبيه برفاعة الطهطاوي .

ولكن هذه التبعية الظاهرة جاءت بسبب غيوم المؤامرة التي كانت تدبر والتي لم تكن قد تسكفت معه ، والتي ظهرت في المرحلة التالية عندما اكتشف جمال الدين الأفغاني مذهب الطبيعيين (النيشيرية) ومحاولات بريطانيا في الهند عن طريق أحمد خان ، وقد جاء في أثرهم القادياني والقاديانية .

فقد واجه جمال الدين هذا المخطط ولعله لأول مرة في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث بالرد الحاسم ، وهذا هو الخط الذي سار فيه محمد عبده في معركتين :

هما معركته مع دوق دراكور ، ومع فرح أنطون ومنهما واجه الشهابي إلى كان قد بدأ النفوذ العربي أثارتها من قبيل التشكيك في القيم والتاريخ الإسلامي فقد واجه موقف كتابي الغرب في مهاجمتهم للحضارة والتاريخ الإسلامي في الرد على داركور ومع فرح أنطون كشف عن مزية الاسلام على سائر الأديان من خلال المساجلة التي دارت حول فلسفة ابن رشد تحت عنوانه (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) .

ومنها كشف الشيخ محمد عبده عن حقائق الاسلام الأساسية :

أولاً : النظر العقلي الصحيح وسيلة للإيمان (في مواجهة الإيمان بغير المعقول .

سابعاً : تقديم العقل ظاهر الشرع عند التعارض .

ثالثاً : البعد عن التكفير ، فإذا صدر القول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان .

رابعاً : قلب السلطة الدينية والاثيان علماً من أصلها (وذلك في مواجهة ما عرضه الغرب من الحكومة الشيوعية) .

خامساً : مودة المخالفين في العقيدة (وذلك في مواجهة شبهة التفريق بين أصحاب الاديان) .

سادساً : الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة (وذلك في مواجهة فكرة ترك الدنيا) .

سابعاً : عدم الاحتجاج بحال المسلمين اليوم ، وإن حال المسلمين هذا حارض عرض لهم وطبيعة الاسلام والجهود التي تزول بالرجوع إلى كتاب الله تآمناً : الإسلام هو الذي أدخل أوروبا في الحضارة ، وأعلن التسامح مع الدين المسيحي .

ومن مستاجلات جمال الدين ومحمد عبده لشبهات الفكر العربي انفتح هذا الطريق الذي سار فيه من بعد محمد رشيد رضا وفريد وجدي ومصطفى الفلايحي وعلى يوسف في الرد على شبهات كرومر عن الاسلام وويلكوكس عن اللغة العربية وغيرهما عن التاريخ الاسلامي والرسول .

وقد قام بالدور الواسع في هذا المجال صاحب المنار (رشيد رضا) ومن بعده صاحب الفتاح (محب الدين الخطيب) فقد كانت هذه الفترة (فترة ما بين الحربين) من أخطر الفترات التي مرت على الفكر الاسلامي وحملات التبشير والاستشراق والاستعمار وقد بدأ في أول الامر أن محمد عبده يقود مدرسة في اليقظة والاصالة على وضوح الرؤيا أمامه في منهج يطلق عليه « الإصلاح » ، وبقيمه على أسلوب التربية وقد بدأ ظاهر الامران سعد زغلول ولطفى السيد هما من تلاميذ جمالي الدين ومحمد عبده ولكن الامور مالبثت أن كشفت عن تحول

واضح لى خطتهما نحو منهج التغريب الذى قاده كرومر والذى وضع الصحافة والثقافة والتعليم منهج جديد مفرغ من الاسلام وهو المنهج الذى صنع ذلك الجيل الذى دخل الجامعة وكله الآداب فى أول افتتاح الجامعة المصرية ١٩٢٥ (وقد قام بالدور الأكبر فيه الدكتور طه حسين) ومدرسة السياسة (هيكل وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى) وغيرهم .

ولا ريب أن كتابات لطفى السيد ومخططات سعد زغلول تكشف عن تجاوز كبير للنبيع الذى صدر عنه . وعن مفاهيم جمال الدين ومحمد عبده ومهما كانت كتابات كرومر عن محمد عبده وحزبه فإنه ما كان يقر هذا التحول الذى وصلا إليه الرجلان الذين أسلمتهما كرومر مقادة الصحافة (لطفى السيد) والتربية (سعد زغلول) ومفاهيمهما هى مفاهيم كرومر وخطتهما هى خطته .

وهما فى هذا يختلفان عن تلاميذ آخرين من نفس المدرسة لم ينحرف بهم الخط : أمثال : رشيد رضا ومصطفى عبد الرازق وفريد وجدى ، والمراغى وغيرهم ومن أمثلة ذلك أن طه حسين كان يدعى أنه من تلاميذ محمد عبده ، ولكنه عندما صنع فى فرنسا وعاد أعلن مخالفته لمذهب الشيخ الامام ومعارضته لسكثير من مفاهيمه وحمل لواء التغريب الذى شق العصا عن خطة الاصلاح والتجديد الذى كانت مقاليدها قد انتقلت إلى المنار .

ومن هنا فقد حمل رشيد رضا لواء المواجهة والدحض للمدرسة التغريبية الجديدة الى كاز وكرها فى جريدة السياسة ودار الهلال والاهرام والمقطم ، والى كانت تتمثل فى عديد من أمثال سلامة موسى وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى ، كذلك فقد حمل فريد وجدى لواء الدفاع عن الاسلام فى مواجهة الموجه المادية الفلسفيه التى كانت قد احتاجت البلاد العربيه والاسلامية .

وعندما ظهرت الفتح عام ١٩٢٦ وجمعيات الشبان والاخوان ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ وصحفيها (النذير والاخوان) — بالاضافة إلى المنار الذى استمر إلى عام ١٩٣٥ عملوا على مواجهة حملات التبشير المعاصرة التى اجتاحت البلاد وفى مواجهة جمعية الشبان

السيحية وإخوان الحرية ونوادى غربية تحت أسماء غربية وماركسية باكره ، وفي مواجهة كتابين خطيرين هما الشهر الجاملى اطه حسين والإسلام وأصول الحكم لعل عبد الرازق وكانت المواجهة من الفكر الغربى والغزو الثقافى والتعريب قد دخلت مرحلة خطيرة وعرفت الدعوة الإسلامية مسئوليتها الحقيقية فى بناء جيل جديد من الشباب وأفلام جديدة من كتاب الدعوة الإسلامية لمواجهة هذه التحديات التى اتصلت على جميع جهات الفكر : فى الجامعة والصحافة والأندية ، وفى مختلف المجالات ، الاقتصاد والقانون والسياسة والاجتماع والتربية والتعليم .

ووضح أن الإسلام مفهوم فى كل هذه الميادين ، وأنه ليس كما صوروه دين عبادة ومسجد ، وأن له منهجا أصيلا فى مواجهة قضايا المجتمع ، ومن ثم أخذ عبد القادر عوده ، وعيسى عبده ، وسامى النشار ، وعلى على منصور ، وتوفيق الشاوى ، ومصطفى السباعى ، وعمر بهاء الأديرى ، وأحمد بلا فريخ وعبد المنعم خلاف ، وعشرات يكتبون فى مختلف جوانب الفكر الإسلامى ويكشفون عن حقائق الإسلام ، وجاءت بعدهم موجات أخرى حملت اللواء ، ولم يقف الأمر عند مواجهة المستشرقين ولكن ما أصبح أخطر من ذلك هو مواجهة التغريبين وكائز النفوذ الأجنبى فى مواقع القيادة فى الجامعات والصحف والثقافة .

وبذلك واجهت الدعوة الإسلامية تلك الحملات المسمومة التى سافتها مدرسة التغريب من أوكارها سواء فى دار الهلال أو الأهرام أو المقتطف ، أو السياسة وجهرت صحف المنار والفتح والإخوان والشبان بكلمة الحق عالية مدوية وامتد ذلك من مصر إلى مختلف أجزاء الوطن الإسلامى وقامت دعائم حقيقية لتصبح المفاهيم لترد عن الإسلام وتاريخه وعقيدته ولعنته عادية الاتهام وسعوم الشبهات التى أثارها التبشير والاستشراق .

الباب الثاني

من النكسة إلى الأصالة

الفصل الأول : تاريخ مصر السياسي

الفصل الثاني : تغريب مصر

الفصل الثالث : النكسة والسبوح ضد التيار

الفصل الرابع : النكسة تحول حقيقي نحو الأصالة

W. H. H. H. H.

W. H. H. H. H.

W. H. H. H. H.

W. H. H. H. H.

W. H. H. H. H.

الفصل الأول

تاريخ مصر السياسي

يمثل تاريخ مصر السياسي في العصر الحديث في قضيتين .

أولاً : الدفاع عن الوطن . (ثانياً) بناء المجتمع الحديث .

وقد بدأت قصة بناء المجتمع الحديث منذ عصر محمد علي ، بالخروج من أزمة التحالف التي لحقت بالمجتمع الإسلامي كله في آخر عصر الدولة العثمانية .

وقد حملت نهضة محمد علي روح الاقلية وطابع الانفصال عن الدولة العثمانية ومن ثم علا صوت المصرية ونخفت صوت الرابطة الإسلامية .

وجرى محمد علي في الخط الذي عارضته مصر : فقد هزمت مصر الفرنسيين وقبل محمد التعامل معهم ، وبدأت النهضة المصرية من خلال التعريب ، لم تكن نهضة مستقلة الوجهة ولا منبثقة من المفهوم الإسلامي الاصيل .

وكان محمد علي قد قضى على الطبقة المثقفة المصرية التي عارضت النفوذ الاجنبي وقضت عليه لأنها كانت معارضة الاستبداد الفردي الذي كان ممة حكم محمد علي .

ومن ثم كان أبرز مظاهر هذه المرحلة :

أولاً : ازدياد نفوذ فرنسا وهو نفوذ الغرب الذي امتد بعد ذلك في حكم أبناء محمد علي وكان أبرز مظاهره انشاء قناة السويس وسيطرة الدول الأوروبية عليها وبيع مصر اسهمها فيها وتوسع مصر في القروض والاستدانة حتى سيطرت على الدول الغربية اقتصادياً وثقافياً وفرضت عليها القانون الوضحي بديلاً للشريعة الإسلامية في مجال الاقتصاد والحكم .

ثانياً : تقلص نفوذ الطبقة المنبثقة الإسلامية التي كان مبعثها الازهر

فقد قضى محمد على على عمر مكرم وجماعة علماء المسلمين الذين وقفوا أمام تسلط نابليون ونفوذ محمد على الفردى : وبذلك أفسح المجال أمام طبقة جديدة من اتباع الثقافة الغربية والولاء الأجنبى .

وكان القضاء على الأزهر هدفا مشتركا بين النفوذ الأجنبى والحاكم المستبد وقد ورثت بريطانيا بعد ذلك هذا الهدف واستطاعت أن تسيطر على أوقاف الأزهر وتحول علمائه إلى تابعين للدولة .

ثم جاءت المرحلة الثانية : وهى مرحلة الاحتلال البريطانى لمصر .

وفى هذه المرحلة تمت السيطرة الكاملة على نظام الحكم ، الاقتصاد ، القانون الاقتصاد الثقافى ، واختفى تماماً طابع الاسلام فى المجتمع نهائياً . وتنازع مصر نيارين : تيار وطنى يغلب عليه الاهتمام بالحرية والاستقلال وجلاء القوات المستعمرة من البلاد وهو تيار قوى له خلفية إسلامية وإن كانت أبعاد التنظيم الاجتماعى الإسلامى لم تكن واضحة أمامه .

وتيار علمانى أنشأه المستعمر حمل لواء مصر المصريين ويدعو إلى الانفصال عن العالم الإسلامى والبلاد الغربية ، جغرافياً وسياسياً وينفض عن الإسلام كظام اجتماعى فى التربية والمجتمع فيقبل القانون الوضعى والديمقراطية الغربية والتعليم العلمانى والاقتصاد الرأبوى .

وكانت الغلبة للتيار التغريبى لأن بريطانيا كانت وراءه ، وكان النفوذ الغربى فى خلال أكثر من ثلاثين عاماً يعمل على إعداد جيل يتولى الحكم فى مصر ، جيل من المتغربين (المتفرنجين) الذين لهم ولاء ثقافى واجتماعى للغرب وكان على قيادة هذا الجيل سعد زغلول ولطفى السيد وغيرها ثم ظهرت بعد الحرب الحرية السياسية المتصارعة ، وإلى جوارها جماعة التغريبين المسيطرين على الصحافة وهؤلاء منهم المارون (الأهرام - المقطم) أو (المصريين) (السياسة) محمود عزمى وطه حسين وسلامة موسى وعصرهم .

وفى خلال هذه الفترة التى أطلق على عصر الاستقلال تسكفت زيت

الحزبية وفسادها وظهرت دعوات كثيرة تدعو إلى تصحيح الطريق السياسى والاجتماعى وكان للدعوة الاسلامية دورها الواضح الذى نما نموا واسماً لأنه كان هو البديل الحقيقى للنظم الحزبية السياسية التى فشلت وعجزت عن تحقيق أى هدف سياسى أو اجتماعى لمصر .

فى هذه المرحلة كانت هناك ثلاث قوى تحكم مصر :

١ - الدولة المحتلة تحت اسم الحاكم الفعلى .

٢ - القصر تحت اسم الحاكم الشرعى .

٣ - الاحزاب : وكلها ذات ولاء لبريطانيا وولاء للنظام الغربى الرأسمالى ولم يكن خلافاً إلا فى نوعية الحكم ووسائله وليست فى غاياته فهى كلها تؤمن بالتعامل مع هذا النفوذ ، ولها تقدير له وهيبة لأنها من صنعه فضلاً عن ولائها للنظام الغربى الرأسمالى وخضوع تام له وفوق ذلك لها ولاء خالص للحضارة الغربية .

وفى ظل هذه المرحلة تكون جيل من النخبة يؤمن بالولاء للغرب والإعجاب به وقبول أسلوب العيش الغربى بقيادة سعد زغلول ولطفى السيد ، قامت فى ظله الحياة السياسية والاجتماعية خلال هذه المرحلة حياة قوامها الاقطاع وسيطرة السادة الاعيان والسراة الذين كانوا عملاء للمصارف الاجنبية يرهنون القطن وينفقون ثروتهم تحت أقدام الرافصات فى شارع عماد الدين ويستعملون على العمال والصناع والزراع ، فى عطرسة واستطالة ، ومن ثم عاشت مصر فى ظلمهم مقيدة بإغلال النظام الاقتصادى الربوى ، وسيطرة صناع القطن فى لانكشير ، وتصارع الاحزاب على الحكم ، فى سبيل إرضاء بمثل الدولة المحتلة أو القصر ، وأسلوب فى الصحانة ملىء بالهجو والافتداع ، وصراع الزعماء على تقاسم الولاء للنفوذ الاجنبى ، حتى نشأت أجيال جديدة ، وقد أحست بأن ثورة ١٩١٩ قد أجهضت بعد أن تولاهها سعد زغلول وزملائه بمفهوم الولاء الاجنبى (وفى الحق أن سعد زغلول لم يكن فائد الثورة ولكنها قامت وهو يهوى عن البلاد وقد دهم لقيامها أما قائدها الحقيقى فهو عبد الرحمن فهمى) .

ولقد كانت ثورة ١٩١٩ هي ثمرة الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل
ومحمد فريد على مفهوم النضال في سبيل تحرير الوطن ، ولكن الذين ركبوا
موج ثورة ١٩١٩ لم يلبشوا أن تنكروا لتلك المفاهيم واختفت تلك الثروة التي
نماها الأزهر والحزب الوطني وما خلفه عمر مكرم وعرابي وقادة الأزهر في
مواجهة استبداد محمد علي والحملة الفرنسية من قبل ، وكل هذا التراث كانت من
ثمرته ثورة ١٩١٩ .

ويقرر كثير من الباحثين المنصفين أن ثورة ١٩١٩ لم تكن الاستجابة
الحقيقية للفكر الإسلامي الذي حمل لواء اليقظة فيما بعد الاحتلال البريطاني كما أن
حركة الجيش ١٩٥٢ لم تكن الاستجابة الحقيقية للفكر الذي حمل لواء اليقظة بعد
ظهور النظام الحزبي الخاضع في التبعية للبرالية الغربية ، ذلك لأن ثورة ١٩١٩
وقعت حقيقة ولكن القوى التي سيطرت كانت قد أعدت مسبقا الطبقة التي
ستتولى القيادة وهي ليست منها بل هي المعارضة لها تماما وذات الولاء لمن قامت
الثورة في سبيل التخلص منهم ، ذلك أن الاستعمار كان قد أكد على القاعدة
الاساسية لعمله وهي تقديم البديل ضد القضاء على الاصل أما الاصل فهو
محمد فريد وجماعة الحزب الوطني أما البديل فهو سعد زغلول .

وقد استطاع النفوذ الاجنبي في خلال سنوات حكم الاحزاب بعد ثورة
١٩١٩ وصراع الاحزاب على الحكم ، استطاع وتدهت المشاعر الوطنية
الإسلامية ، وخلت محلها مشاعر السياسة الحزبية بصراعها وتمزق المجتمع
الإسلامي تحت ضربات حجب الشريعة الإسلامية وإقامة القانون الوضعي وفتح
الطريق أمام إفساد المجتمع تحت ضربات القصاص الجنسي ومفاهيم التحلل
والترف والفساد الذي غرق فيه أولئك الذين اختارهم الاستعمار ليكونوا ركائز
له في الاقاليم من أصحاب الاملاك والاطيان بعد تقسيم أراضي الدائرة
السنية عليهم.

عندئذ كانت الدعوة الإسلامية قد كشفت هذه المخاطر وحذرت من هذه
الخطاطر التي ينجرف إليها المجتمع الإسلامي بعد أن فقد هويته باحتجاب
تطبيقات الإسلام في السياسة والاقتصاد والقانون التعليم حيث تفشت في ظل

القانون الوضعي مختلف عناصر الفساد الاجتماعي من ربا وزنا وغمر وتمزق اجتماعي يهدم الاسر ويحطم كيان الامة ، ولقد مضت الدعوة الإسلامية تعمل عشرون عاما حتى بلغ صوتها كل قرية وصقع ، وأحس الشعب في جماهيره المؤمنة أنه لابد لها من العودة إلى هذا الطريق الصحيح بعد أن غدت القافلة السير في التيه ، وأنه لابد من عودة إلى الأصالة ، حتى يبدأ عصر جديد ينتهي به النفوذ الاجنبي وتمتلك الامة إرادتها فتتجه إلى بناء المجتمع الرباني والعودة بالمجتمع إلى نظام تروبي إسلامي أصيل ، وعودة إلى ضوء الشريعة الإسلامية في الاقتصاد والاجتماع غير أن مخططات الغزو الاجنبي كانت ترتب لتحول أخطر في هذا المجتمع تعمق فيه عمليات التغريب وتصل إلى التخاع بغية استئصال جذور الأصالة الإسلامية ومن ثم وقع ذلك الوضع الذي حدث بعد نهاية الحرب العالمية الثانية كان الغرب يعرف أن الثمرة أصبحت دانية القطاف ، وكان هناك إحساس شامل بأن إرادة الامة كلها تتجمع حول « العودة إلى المنابع » .

ولكن النفوذ الغربي كان يخطط لتطويق هذا التيار لصالح أمرين
خطرين : —

أولهما : سيطرة السهيونية العالمية على فلسطين وإقامة رأس جسر طامع للاستعمار الاستيطاني واحتواء اقتصاد المنطقة تحت اسم إسرائيل من النيل إلى الفرات بدعوى زائفة عن أرض الميعاد .

ثانيهما : ورائة النفوذ الأمريكي للنفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة ووضع خطط لاحتواء البلاد العربية ، على نحو يطوقها في تسمية خطيرة ثقافية واقتصادية أشد عنفا من الاستعمار العسكري والسياسي القديم .

وكان أكبر الأهداف هو القضاء على تلك القوة الراشدة التي تسكون في أحضان هذا المجتمع وتحطيمها حتى لا تسكون لها القدرة على تحقيق هدفها وإقامة المجتمع الإسلامي .

وكانت الدعوة الإسلامية تهدف إلى القضاء على النفوذ الاجنبي أساسا

وتصفية الوجود الصهيوني في فلسطين عن طريق الجهاد المقدس ، وبناء مجتمع إسلامي أصيل يقوم على أساس منح الله ، ومن ثم فإن القوة الجديدة كانت حريصة على أن تفرع الأمة من هذه الوجهة وتصفيتها تماما وذلك بتقديم بديل براق سريع له دوى كالبطل ، ليشغل به جماهير الشعب ، وتحول به مشاعر الأمة إلى الداخل بدلا من أن يتطلع إلى مواجهة القوة الصهيونية المامية والطامعة في السيطرة على فلسطين والزحف إلى ما بين النيل والفرات .

وقد رأت القوى الأجنبية والصهيونية طلائع هذا الزحف في حرب فلسطين وكيف كانت على طريقة الجهاد التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف هزت هذه الصورة القوى الأجنبية فعملت بكل ما في وسعها على إندھا وتدميرھا .

وكانت المحاولة ترمي إلى التحول من النظرة القائمة على الوحدة الإسلامية إلى الإقليمية داخل الاوطان تحت أسماء الإصلاح الزراعي والعدل الاجتماعي ، وتأميم الشركات والبنوك ، مع دعوى عريضة بالقومية العربية مفرغه من كل هدف حقيقي ، وصيحات ضد الصهيونية لا تحمل معنى الوجهة الحقيقية ، وكان الهدف هو القضاء على « القوة الإسلامية الشعبية » الجديدة التي تشكلت والتي فاقت أصالة وإيماننا وفداء القوى التي تشكلت أزاء الحملة الفرنسية وأزاء ثورة عرابي وأزاء ثورة ١٩١٩ والتي وأدھا الاستعمار أولا بأول بأيدي داخلية لها طابع وطني .

كانت هذه القوة تتمثل منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتود أن تعيد هذه الصفحة الباهرة في حطين وعين جالوت .

ولكن المحاولات الواسعة التي قامت بها القوى الداخلية للقضاء على هذا المفهوم الإسلامي الاصيل الذي يحمل لواء الدعوة إلى إعادة تطبيق الشريعة الإسلامية وعودة المجتمع الإسلامي إلى الاصاله وإلى مفاهيم الإسلام في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية لم تمت وإن كان قد قضى على الاطار الذي إقامته الدعوة الإسلامية التشكيل والسجن والتشريد ، فإن الفكرة الإسلامية التي ملأت القلوب وغمرت النفوس لم تمت ، وإن اختفت تحت ظلال حملات

الاضطهاد ولذلك فإنها سرعان ما تبدت في قوة أرباب إعداد الدستور الدائم للجمهورية ١٩٧١ فإن مشاعر الشعب قد توالى في قوة وإصرار لتعلن عن إيمانها بأن تصبح الشريعة الإسلامية مصدراً أساسياً للقانون وهي قوة في حد ذاتها مؤمنة بالله ذات عقيدة ، لا تتطلع إلى عدوان أو تطرف أو ترغب في شيء من العنف ، وإنما ترى في صدق وإصرار أن طريقها الوحيد هو الطريق الدستوري الصحيح ، بأن يتنامى عدد المؤيدين بما يحقق لهم الوصول إلى أن يكشفوا عن ضمير الأمة وروحها الأصل وإذا كان سعد زغلول قد صنع فكرة التغريب ومبدأ التبعية ، بما أدى إلى التحول عن المنهج الإسلامي فإن عبد الناصر هو الذي وسع دائرة التغريب وعمقها وكان في خطته قضاء على القاعدة التي أقامتها الأمة للأصالة والتي نمتها حركة اليقظة الإسلامية خلال أربعين عاماً كاملة ، ومن هنا كانت قسوته على الدعاة إلى الله ، وقسوته على مواجهة كل ما يقع تحت قاعدة الدعوة الإسلامية من مساجد وصحف ومناهج وكتابات ، وكان تسليط مختلف القوى الشعبية والماركسية والعلمانية وتسليحها بكل ما تملك من قوى لضرب معادل الفكر الإسلامي ، وكان للمسرح دور كبير في هذا العمل ، فقد تسلط الماركسيون على الإعلام بمختلف فروعهم وسيطروا على الصحافة والمدرسة والجامعة والثقافة ونفثوا فيها جميعاً سمومهم ، وكان للمسرح دور كبير في هذا العمل ، فقد كان الماركسيون يرون أن المسرح هو كنيسة الشيوعية وبديل المسجد .

ولقد خطا الطغاة بالتغريب خطوات واسعة في اتجاه إخراج مصر من الأصولية الإسلامية التي عاشتها أربعة عشر قرناً عن طريق ما أطلق عليه التحول الاشتراكي والنظام الطليعي ومناهج المعهد الاشتراكي وبيعت مصر مرتين ، مرة للنفوذ الغربي ومرة للنفوذ الماركسي في سبيل الاحتفاظ بالبقاء في سدة الحكم .

وبه كسب النفوذ الأجنبي أرضاً جديدة وكسبت إسرائيل ضموها في وجه القوى الإسلامية العربية التي كان تستطيع أن تزيلها إذ ذاك ،

فقد استطاعت خلال هذه الفترة أن تتقوى وتتكون وتبنى نفسها ، حتى استطاعت أن تضرب ضربتها في نكسة ١٩٦٧ فتستولى على القدس وسيناء والجولان والضفة الغربية ، وخمرت مصر ذلك الجيل من الشباب الذي خدمته دعايات القومية العربية والاشتراكية وتلك التهاويل من الدعوة إلى العدل الاجتماعي والرفاهية في نفس الوقت الذي استعدت مصر حتى أعلن إفلاسها ، وأبان هذه المرحلة نشأ جيل جديد تائه لا يعرف له هوية ولا هدفا ، لم تتح له فرصة التربية الإسلامية في البيت ولا في المدرسة ، جيل أطلق على نفسه أنه جيل بلا أسانذة ، وهو جيل بلا ورقة ميلاد فقد نشأ على أنقاض الانقطاعيين والارستقراطيين ، هذا الجيل هو جيل الطبقة الوسطى من العمال والصناع والزراع الذين واتهم فرصة العصر للاندفاع نحو العمل في الحياة دون معرفة للحلال والحرام ، وإنما للوصول إلى مطامح الحياة عن أقصر طريق ، طريق النفاق والرشوة والوصولية ، دون أن يكون لهم وازع من خلق أو دين أو عرض يمنعهم من الاندفاع نحو الحرام أو الشر ، فكان هذا الجيل مفرغا من الدين ، فلا وازع برده ولا قاعدة إسلامية عامة توجهه ، بعد أن انطوى العمل الإسلامي وأصبح الناس يخافون الذهاب إلى المساجد أو الحديث عن الإسلام حتى في أصغر أمور الصلاة والصوم ، خوفا بأن يتهموا أنهم من جماعة الدعوة الإسلامية ، من هذا الجيل نشأت الفتاة التي قالت يجب أن نهرب قبل أن نتزوج والتي قالت أين الله ، وهذا العدد من الشباب الاباحى الذى أفسد ، واللاقي سافرن للعمل بالدعارة في بلاد بعيدة ، الخ .

في خلال هذه المرحلة اتسعت الفرصة أمام الشعوبيين والعلمانيين والشيوعيين والاشتراكيين لتقديم عشرات من المفاهيم المسمومة ، وقد امتلئوا جميع وسائل الدعوة والكتابة والصحافة والتأليف والدمرج والإذاعة والتلفزيون واعتبروا عبد الناصر أبهم الروحي وما زالوا يشيدون به لأنه هو الذى فتح لهم هذا الطريق الذى مازالوا يتصدرون به مكانا في الصحف الواسعة الانبشار ويصدرون الكثير منهم إلى صحف البلاد العربية ويكسبون من وراء ذلك المال حتى يتملكون الشقق الفاخرة في لندن وباريس والأرصدة الضخمة في بنوك سويسرا ، من أموال البترول فقد كانوا يقصدون

إلى أبو ظبي أو قطر أو دبي فيجدون ترحيباً وهم الماركسيون التقدميون فيكسبون من أموال جماعات النفط وقد أمكنهم بالبحث الدائم المتصل لسكل ما من شأنه أن يقتضى على مفاهيم الإسلام تاريخاً ودعوة ولغة ، والأفعال في تحطيم كل مقومات الخلق والإيمان والروح والقيم ، إلى عوامل الإباحة والعري والكشف والانحلال تحت اسم حرية الفكر ونشأت على أقدامهم مفاهيم مضللة ترمى إلى تهوير الإسلام بأنه ليس إلا قضية الفقراء والحرىات على النحو الذى يكتبه من سموا أنفسهم اليسار الإسلامى .

(٢)

هذه الأمة المسلمة : منذ اليوم الاول كانت تتطلع إلى منهج الله . وقد أحست بفشل التنظيمات الغربية الوافدة ونفضت يدها من الأحزاب السياسية الفاشلة ، ولكن ما حدث كان مما كسا تماماً لتطلعاتها فقد كان النفوذ الأجنبي بعد الحرب العالمية الثانية خطة واسعة لاحتواء عالم الإسلام والعرب على أساس خطوط عامة :

أولاً : زرع نفوذ إسرائيل في قلب البلاد العربية وقطع صلة المسلمين في آسيا بالمسلمين في إفريقيا بحجم غريب في موضع بيت المقدس ، وفي نفس المكان الذى قامت فيه المملكة الصليبية خلال أكثر من مائتي عام قبل ثمانمائة عام .

ثانياً : قيام أنظمة عسكرية عن طريق إحداث انقلابات في البلاد العربية تكون لها تبعيتها وولائها وامتدادها للمخططات التغريبية في نظام الحكم ومفاهيم التقدم والتحديث منفصلة ومتباعدة عن روح هذه الأمة .

ومن ثم كانت التجربة الغربية التالية لتجربة الأحزاب السياسية خلال ما بين الحربين أشد خطورة وعنفاً فقد فتحت الباب واسعاً أمام :

أولاً : السيطرة الفكرية الموجهة عن طريق الحزب الواحد ونفوذ الحكم المستبد ثانياً : فتح الباب أمام الفكر الماركسى لمزاحة الفكر الغربى الليبرالى وذلك لتوسيع الشقة أمام الفكر الإسلامى الذى كان يخوض معارك واسعة مع الفكرين الغربى والماركسى في عشرات من القضايا .

ولقد كانت التجربة : تجربة الحكم العسكرى جديدة : بالمراجعة والدرس للتعرف على مدى الأخطار والتحديات التى واجهت بها حركة البقظة الإسلامية وضررها وإيقاف نفوذها والتى كانت بعيدة المدى .

فقد كانت من وراء هذه التجربة قوى ترمى في هدفها الحقيقي إلى القضاء على المد الإسلامى وتحويل وجهة نظر الدعوة الإسلامية من العمل لنحرير فلسطين إلى عمل داخلى محدود كالاصلاح الزراعى وكان ادائها فى العمل الخارجى أطروحة القومية على مفهوم الغرب مفرغة من الوحدة الإسلامية ومن قيم الإسلام نفسها فى خلال حكم الفرد: (١٩٥٢ - ١٩٧٠) حيث طرحت دعوات عديدة هالية النبوة لتطفى على الدعوة الصحيحة وعلى الاصاله التى كانت تملأ القلوب والنفوس. طرحت الدعوة القومية ، الدعوة الاشتراكية وقد فشلت الحركتان المتنابعتان وتبين أن الجسم الإسلامى العربى لا يقبل العنصر الغربى ، وكان موقفه منهما هو نفس موقفه من النظام الليبرالى الغربى (١٨٨٢ - ١٩٥٢) وهو الرفض الكامل حيث لم يكن أحد هذه الأنظمة مستجيبا لاشواق النفس العربية الإسلامية، لم تكن مصر ترضى لسياسة الامر الواقع ولكنها كانت تتطلع إلى أفق قريب من ذاتيتها وروحها وعقيدتها، وكانت ترفض باستمرار تلك الدعوة التغريبية إلى تقنين الواقع الكسح وتقبله والدعوة إلى اعتناقه على النحو الذى كان يقدمه محمد حسين هيكل ومصطفى أمين ومحمد النابعى. كان فرض الواقع المتقبل للنهوض الاجنبى بمصطلحاته وأساليبه غريب على الذاتية العربية الإسلامية مهما بدا أنها تقبله .

لقد أعطيت التجربة المريرة صورة ضخمة مجسمة بالدعاية والاعلام والبث اليومى الكاذب المضلل كأنما زيدت إلى مائة ضعف بالكذب والخداع والوهم ثم انتهت إلى لاشئ ، إلى هزيمة كاسحة ، وإلى إحتلال أكثر من ثلاثة أرباع مصر وهى صحراء سيناء ، وانتهت إلى خراب اقتصادى ، وإلى تبعية خطيرة ، وتحطمت قلوب الشباب التى تابعت وتطلعت خلال سبعة عشر عاما إلى هذا الطغيان الخطير الذى قدم رموزا وإيماءات كاذبة عن الوطنية والقومية والاشتراكية والتقريب بين الطبقات وعن مثاليات ودعاوى كاذبة لم يتحقق منها شئ ولما خزن الشبح صريحا تبين أن ما هنالك ليس إلا خراب شديد الظلمة ومناورة ضخمة لتحويل تيار الأمة إلى سراب خادع وقضاء على كل قيمها ، ومن ثم جاءت المرحلة التالية أشد خطورة فقد تكشفت فيها زخوف حكم الفرد ولكنها ما كادت تكتمل عقدا من حياتها حتى تبين أنها تحت اسم الانفتاح قد دخلت فى تيارات شديدة الخطورة من الاستهلاك والديون والفساد والانحراف كانت التبعية للشيوعية

الماركسية خدعة كبرى لم تنكشف إلا بعد أن انتهت ثم جاءت الجولة التالية في التنمية للصهيونية والارتقاء في أحضان الغرب .

(٣)

قامت في ظل هذا النظام الاستبدادي (٥٢-٧٠) محاولة فاشية للقضاء على ذلك التيار الإسلامي الذي غير الاعراف والمفاهيم والقيم ، وحاول إعادة البلاد إلى صورتها الصحيحة ، وإلى إصالتها قبل مائة عام من الاحتلال وكان هذا التيار قد استطاع وضع الأمة على الطريق الصحيح بالقضاء في عشرين عاما على جهد بذله النفوذ الاستعماري خلال قرن كامل لتحويل هذه الأمة عن مفهومها الصحيح إلى مفهوم علماني مادي قائم على تلقين الاسلام على أنه دين عبادة وصلاة ، ولذلك فقد كانت قسوة هذه الحركة بالغة في تعذيب رجال هذه الدعوة والتشكيل بهم وإبادتهم ليكونوا عبرة لغيرهم ، ولتوقف هذا التيار الدافق ، ولتقوم المنظمات التغريبية في مختلف مجالاتها في الجامعة والمدرسة والصحافة والمسرح والإذاعة والتلفزيون بتحويل الناس مرة أخرى إلى التغريب وتحييب مفاتيح الجنس والرشوة والفساد الخلق والنهب والاعجاب بالغربي وحب الحضارة المتبدلة مرة أخرى ، هذا هو تفسير قسوة الطغاة في التشكيل بدعاة الاسلام وبذلك الحرص المستمر خلال ثلاثين عاما على ألا يرتفع هذا الصوت مرة أخرى ولا يأخذ مكانه ، فلما جاءت موجة الجماعات الاسلامية وصلى مائة ألف في ميدان عابدين هبت القوى التغريبية في العالم كله لتدافع عن وجودها ولتقضي على هذا التيار مرة أخرى ، ليس في مصر وحدها ولكن في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي .

الفصل الثاني

تغريب مصر

بدأت حركة تغريب مصر منذ الحملة الفرنسية وخلال حكم محمد علي عن طريق اختيارى فلما جاءت مرحلة الاحتلال خلال (١٨٨٢ - ١٩٥٢) سبمين عاماً تحولت حركة تغريب مصر إلى طريق قسرى ، فقد فرض النفوذ الاجنبى سيطرته فى مجالات ثلاث (القانون - الاقتصاد - التعليم) غير أنه فى مرحلة حركة الجيش بدا كان خطوات التغريب قد اتسعت فقد كانت الحركة الوطنية التى تقادم النفوذ الاجنبى تقاوم أيضاً سيطرته فى هذه المجالات ، غير أن الموقف بعد حركة الجيش تغير ففى إطار السيطرة العسكرية النافذة لم يكن فى الاستطاعة مواجهة محاولات التغريب على أنها مضادة للإصالة أو الوطنية .

يقول الدكتور جلال أمين : مع ما أعلنته حركة يوليو منه أنها قامت لتحرر مصر من الاستعمار وقيادة كفاح الأمة العربية من أجل استقلالها مما يحمل معنى السيادة الوطنية وسيطرة الأمة على مقدراتها ، بل كل ما حقق من نجاح فى بعض المجالات لم تستطع قادة الحركة ومنظروها أن يتخلصوا من المفهوم الغربى للنهضة ، بل الأصح أن يقول أنهم تبنيوا هذا المفهوم تبنيًا يكاد يكون حرفياً ولم يطرح أى منهم تصوراً لما يريدون لمصر وللعرب يختلف فى أى جانب أساسى عن النموذج الغربى . وبقيت الدعوة إلى الاستقلال محصورة فى الميدانين السياسى والاقتصادى وحدهما ولم تتسع لتشمل محاولة تقديم مفهوم مستقل للنهضة بل على العكس تماماً من ذلك فقد أصاب هذه المحاولة الانتكاس على يد حركة يوليو . .

وقبل ١٩٥٣ كان دعاة الإصلاح فى مصر يفهمون الإصلاح مفهوماً واسعاً يشمل مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والخلقية وكانت قصة موقفنا

من التغريب أبعد ما يكون عن الحسم وكان الخلاف مازال محتدما بين أنصار
نبتى النموذج الغربى وأيضاً العوده إلى الأصول والتسك بالتراث مع أو بدون
تطويروه لملاءمة متطلبات العصر ، فجاءت الثورة فحسمت الأمر لصالح التغريب ،
إلا لم تذهب إلى المدى الذى بلغته ثورة أنا تورك كما أنها لم تحسم الأمر على
المستوى الفكرى ولكنها حسمته على المستوى العلمى بإلقاء كل ثقلها إلى التغريب
واتخذت كل ما فى وسعها اتخاذها من إجراءات لترجيح كفته لم يكن عبد الناصر
مهما بلغت درجة طموحه طموحاً لدرجة أن يتصور أن العرب يمكن أن يقدموا
للإنسانية نموذجاً مختلفاً للنمضة ، كان هدفه المساواة مع الغرب وليس التميز
عنه ، فمع اهتمامه ببناء المدارس ونشر التعليم لم يثر فى ذهنه تساؤلات كثيرة
عن مضمون التعليم الذى يتلقاه التلاميذ فى المدارس لا من حيث كفاءته ولكن
من حيث صلته بالتراث والتقاليد ونوع القيم التى يفرسها فى أذهانهم . كان من
المهم تخريج عدد كبير من المهندسين ولكن لم يكن من المهم لديه طراز
المعمار ومدى انفاقه مع تقاليد المعمار الإسلامى أو ظروف البيئة أو عادات
الناس وفى محو الأمية لم يكن من المهم المحافظة على قواعد اللغة العربية من خطر
الاهمال أو الابتذال وفى تمصير المدارس الأجنبية لم يكن من المهم بعد ذلك
النهوض بمستوى تدريس اللغة العربية أو الدين أو التراث العربى - المطلوب
التنمية وليس الإيداع ، المطلوب التخلص من السيطرة وليس محاولة إعادة
اكتشاف الذات .

وأوضح مثل لذلك ما فعله عبد الناصر بمؤسسة الأزهر ، كان الأزهر يحمل
دائماً وما يزال إمكانات كبيرة لابتداع نمط من التعلم يختلف جذرياً عن النمط
الغربى ، ليس فقط من حيث طريقة التعلم ولكن من حيث المضمون ومدى
انصاله بالتراث ، ولكن الحكومة اعتبرت أن أقصى ما يمكن أن يصل إليه
تطوير الأزهر وتحديثه هو أن يتحول إلى جامعة رابعة أو جامعة خامسة
تدرس الطب والزراعة والاقتصاد ، وأن يكون على رأس كل كلية جامعية
عميد يحمل الدكتوراة من جامعة غربية وإن تضاف اللغات الأجنبية إلى المقررات
التقليدية من الشريعة وأصول الدين وقواعد اللغة العربية ، وبدلاً من أن تخرج

أشخاصاً يعتزون بدينهم ويحاولون تفسيره في ضوء حاجات العصر ، أصبح يخرج أشخاصاً أو يضم تلاميذ يمانون من عقده النقص لعدم استطاعتهم الموازنة بين علوم دينية لم تنطور وعلوم عصرية لا صلة لها بالدين ومنها ما يناقضه .

والظاهرة التي تبدو غريبة لأول وهلة . وهي أن الاستقراطية المصرية فيما قبل ١٩٥٢ كانت طبقة مهيمنة في استغرابها وتنقل من الغرب أدق تفاصيل حياتها ، فإنها كانت أيضاً في بعض الميادين أحرص على التمسك بالتقاليد من الطبقات الحديثة ، التي فتحت لها حركة ١٩٥٢ الأبواب على مصراعها ، فمن بسبب اتصالها الوثيق بنفسه بالغرب كانت تعي أكثر من غيرها بعض حماقات النمط الغربي في الحياة وسخافاتة كما أنها يحكم نقمتها بنفسها المستمدة من الثراء نفسه تدرك أكثر من غيرها أن التمسك بالتقاليد لا يعنى في كل حال من الأحوال تخلفاً أو بدائية . يصر حديثو العهد أن يحيموا حفلات الأفراح في الملبى أو الشيرتون على أنغام الموسيقى الراقصة الغربية ، وكان الوزير المصري قبل ذلك تخجل من أن يلقي خطاباً بلغة عربية ركيكة بينما نجد المسئول المصري على شاشة التلفزيون اليوم يلقي بالكلمة الانجليزية وسط حديثه ثم يتظاهر بصعوبة العثور على بديل لها بالعربية .

لم يكن هجوم عبد الناصر العنيف على الغرب منبعه كراهيته لنمط الحياة الغربي ، وإنما كان منبعه مجرد كراهية للسيطرة الغربية ومن ثم نلاحظ أنه كلما وجد أنه حقق بعض التقدم في التحرر من هذه السيطرة راح يقلد النموذج الغربي بحذافيره ، وبقدر ما تسمح به ظروف المجتمع .

مفهوم عن الناصر للاشتراكية هو نفسه المفهوم الغربي لها : مزيداً من الاستهلاك بل على وجه التحديد مزيداً من استهلاك ذلك النوع من السلع والخدمات التي ينتجها الغرب .

وكان المعلقون يدركون أن وراء هذه المداوة للغرب يكمن إعجاب خفي من جانبه لنمط الحياة الغربية . وقد فطن بعضهم إلى المغزى البعيد لما فعله

عبد الناصر بالازهر كما صفقوا له وأيدوه في ضربته العنيفة للحركات الإسلامية .

على أن هذا الاتجاه نحو المزيد من التغريب الذي سار فيه نظام عبد الناصر قد ازداد حدة وشدوذاً في السبعينات ، فإذا كان عبد الناصر قد حمل إعجاباً دفيناً بالنموذج الغربي لم تسمح له معاركه السياسية بالتعبير الصريح عن ذلك ، فإن أنور السادات لم يجعل أمره سرّاً نخطاب السادات وتصريحاته بل وسلوكه اليومي لا يترك أي مجال للشك فيما كان يكتنه من إعجاب بالتكنولوجيا الغربية ونمط الحياة الغربي وخاصة الأمريكي .

وأشوأ ما يتسم به تغريب السبعينات بالمقارنة بما قبله هو أنه كان تغريباً استهلاكياً بينما كان في السابق يحمل بعض سمات التغريب الإنتاجي .

بل أن اتجاه السبعينات إلى التصالح مع إسرائيل على أنه في الأساس خطوة هامة في هذا الاتجاه نحو التغريب . فإسرائيل هي أبنة الغرب وريشته والتصالح معها هو في جوهره تصالح مع الغرب والاعتراف بتفوق ما سمي بالتكنولوجيا الإسرائيلية هو في الأساس تأكيد جديد للاعتراف بتفوق الغرب ، وتردد القول في السبعينات بتحضّر الإسرائيليين وتحالف العرب وهو تأكيد جديد على ضرورة تقليد الغرب وضرورة الانبعاث ولا شك أن الاتجاه نحو المزيد من التغريب في عهد عبد الناصر وضربته العنيفة للحركات الدينية لا بد أن يتحمل بعض المسؤولية في نمو هذه الحركات المتزايدة بعد إطلاق صراحها في السبعينات ولسكن التماذي في التغريب في السبعينات لا بد أن يتحمل أكبر قدر من المسؤولية في شدة وتطرف ، ففي الوقت الذي كان فيه الشعور الديني يزداد قوة بفعل عوامل متعددة اصطدم هذا الشعور بما يراه من تسارع الاتجاه نحو التغريب الذي يؤذي الشعور الديني ويتحداه .

لب الموضوع : أن حركة التغريب في مصر قديمة ومتصلة الحلقات منذ الحملة الفرنسية وليس ما قبلته حركة يوليو في هذا الصدد أكثر من إضافة - ملقة - جديدة إلى سلسلة طويلة .

فتغريب المجتمع المصرى فى القرن الثامن عشر كان متواضعا للغاية ، فلما جاءت الحملة الفرنسية وتجربة محمد على ثم التصنيع فى بواكير الثورة الصناعية الاوربية هبت رياح التغريب على مصر ثم ازدادت حدة فى عصر إسماعيل الذى اتسم من ناحية بارتفاع معدل النمو الاقتصادى والاجتماعى فى مصر ، وواكب من ناحية أخرى بزوغ عصر الاستعمار الجديد .

(الأهرام الاقتصادى ١٢/٤/١٩٨٢)

٢ - هذا عن التغريب فإذا عن التجربة الاشتراكية :

كتب الأستاذ أحمد حسين مؤسس مصر القناة وداعية الاشتراكية فى مصر ١٩٤٦ كتب عام ١٩٧٧ فقال : تتلخص التجربة فى أن مصر التى كانت أغنى شعوب الدنيا وقد جاءت شعوب المنطقة تلتهم القمح من مصر ، ولا عجب فى هذا فقد اختص الله مصر بنهر النيل ، مصر أصبحت اليوم أفقر دول المنطقة بلا استثناء ، وبعد أن كانت مثات وألوف من كل الشعوب العربية والاوربية تهاجر إلى مصر فى التماس لا أقول الرزق بل الغنى ، أصبح الأمر على عكس ذلك تماما فراح يهاجر من مصر من يقدر على الهجرة ، يبقى السؤال : ما الذى جعل مصر وهى أغنى دول المنطقة قد تحوالت إلى أفقرها .

أول ما يقال هو ما أسموه (الانفجار السكانى) وهى صيحة ارتفعت فى البلاد الغنية لفرعها من توقفها على النمو السكانى تقريبا فى الوقت الذى يزيد فيه سكان العالم الثالث ، وحكاية تزايد السكان هذه قد فصل فيها الزمن والتجربة ، فلما تكاثر عدد السكان فى منطقة من المناطق تزايد إنتاجها وارتفع مستواها ، والشعوب تنزوى وتحل عندما يقل عددها وقوى وتزدهر كلما تضاعف سكانها ، أن كثرة سكان مصر ليست سبب فقرها ، لم يبق إذن من غير حدث فى مصر هو فى رأى السبب فيما تعاني منه مصر إلا حكاية الاشتراكية التى كنت أول داع لها - قد بات من واجب واجبات أن أحذر العالم العربى الإسلامى منها على ضوء تجربتنا فى مصر وتجربة الدنيا كلها ، والسبب جده مفهوم وواضح فقد خلق الإنسان ليكسب فى الحياة ويبتغى ويعول أسرته

وكل من يستطيع أن يعوله بقدرته ، وجاءت الاشتراكية فألغت الحوافز الروحية وزعمت أن كل حديث عن الرحمة والشفقة وكل حديث عن الإحسان ابتغاء مرضاة الله ولينال الإنسان الجزاء عليه في الآخرة ، زعمت الاشتراكية العلمية أن ذاك كلة أفيون الشعوب وأنه يقال لتضليل الناس واستغلال الضعفاء ، أما بالنسبة للحافز المادى فقد ازهقوه كذلك رفعوا المسؤولية عن عاتق الأفراد ليلقوها على كاهل الدولة ، فالدولة هي المسئولة أن تعلم وتخطط وتوفر العمل والطعام وتتصلح الأرض وتنشئ المصانع وتبنى المساكن ، وما على الناس إلا يرضعوا أنفسهم رهن إشارتها .

وكانت النتيجة : هذا الذى انتهت إليه مصر فن دولة مصدرة للقمح منذ سبعة آلاف سنة إلى دولة تستورد القمح ، ومن أشهر دولة في العصر الحديث في تصدير القطن إلى دولة أصبحوا يتحدثون أنه من الخير لها أن تستورد قطناً من نوع ما ، والبلد الذى كان يصدر سكرًا أصبح يستورد سكرًا بل يستورد ذرة ، هذا ما انتهت إليه مصر في ظل الاشتراكية ، لبس فقط بل الاتحاد السوفيتى الذى أصبح يستورد القمح من الدول الرأسمالية ولكى تخرج الدول الاشتراكية من أخطبوط هذا النظام نادوا بما أسماه سياسية الانفتاح والى تعنى فى الدرجة الأولى دعوة رموس الأموال الأجنبية للعمل فى البلاد الاشتراكية ، وليس وراء ذلك إعلان عن إفلاس الاشتراكية وأنها كانت خرافة توهمها الناس فى فترة ما ، ثم اتضحت حقيقتها وهى لاتعدو أن تكون سرايا .

إذا صح ما تزعمه الاشتراكية من أنها تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية فقد أثبتت التجربة أنها ضاعفت تعاسة البشر عندما نزع من قلوبهم الإيمان حيث وصل الإسلام فى التطبيق إلى عدالة اجتماعية تكاد توصف إذا ذكرت اليوم لأنها خرافة ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه (وسلم ليس منا من بات شبعان وجاره جائع) .

الحقيقة أن القومية أو الاشتراكية التى دعا إليها عبد الناصر لم تسكن

في سبيل تحقيق هدف الارتفاع بمصر إلى مكانة عالمية أو تصحيح مسارها وإعما
كان في سبيل الزعامة الفردية ، أما مسألة فلسطين فكان الموقف فيها قد تحدد من
قبل أن تبدأ هذه الزعامة عملها .

قال اللواء محمد نجيب : لقد دمر عبد الناصر اقتصاد مصر مرتين : الأولى
حين أرسل الجيش لحرب اليمن والجندي المصرى لا يعرف من يقاتل وكيف يقاتل
والثانية حينما ووط الجيش في حرب ١٩٦٧ بناء على معلومات وهمية من قادة
عسكريين جاءوا بها من صالات الملاهي إلى ميدان المعركة .

لقد تابع العهد مارسمته عمود التغريب السابقة وحقق آمالها ، حقق ماطالب
به طه حسين في أمر تفريغ الأزهر من روحه الإسلامية ، حقق ماطالب به دعاه
التغريب في مجال التعليم من عزله من الدين والخلق حقق ماطالب به الشيوعيون
في المسرح من جعله بديلا لمنازل الوحي ، حقق ماطالب به التغريبيون في
ترجمة ركाम الزيف من الفكر الغربي .

ولقد صدق المؤرخون الذين أحصوا على هذا العهد أنه : —

- (١) ضرب الدعوة إلى الإسلام (٢) ألغى القضاء الشرعى
- (٣) مرق أوقاف المساجد والمعاهد الدينية ومكاتب تحفيظ القرآن بينما
- لم يضرب أوقاف غير المسلمين (٤) ضرب الأزهر في مناهجه تحت
- زعم تطويره (٥) ضرب المساجد بحيث لا تحمل كلفة النصيحة لله
- ولرسوله ولآئمة المسلمين وعامتهم .

وقد أذاع بعض ذوى الخبرة أن السوفيت حددوا ثلاث مطالب في سبيل
تمويلهم للسد العالى هي : — (١) القضاء على الأزهر (٢) القضاء على
أوقاف المسلمين (٣) إلغاء القضاء الشرعى ، ولست أدري إلى أى حد تصح
هذه المقولة ومن يراجع كيف جرى تمرير قانون تطوير الأزهر يكتشف هذه
الريبة ويرى كيف فوجيء الناس بإلغاء القضاء الشرعى ولا يلبث طه حسين أن
يصيح مطالبا بالخطوة الثانية وهي إلغاء التعليم الدينى .

(٣) وقد صدرت في هذه الفترة أطروحات ودراسات كشفت كيف

فشلت قوانين الإصلاح الزراعى فى تحقيق عدالة اجتماعية أو نماء زراعى ، وكان الهدف المعلن هو تصفية الاقطاع وتوسيع قاعدة الملاك الصغار ولكن الهدف المضمحل لم يكن إلا القضاء على أسماء وأسر حقداء وكراهية لهذه الاسماء والاسر ، نتيجة أغراض من الحقد الطبقي فى أعماق الميسيرين ولم يستطع توزيع الارض بين صغار الملاك أن يحقق نتائج فى زيادة المحصول ، وكان أكبر آثار الإصلاح الزراعى قيام مشكلة تفتيت الارض . وقد ظل القطاع العام فى الزراعة محدودا لم يزد عن ١٣ ٪ وتعرض للتصفية بعد هزيمة ١٩٦٧ بل أن هناك من يرى أنه بالرغم من تصفية الطبقات الاقطاعية فإن طبقة الملاك الرأسماليين وأغنياء الفلاحين هى التى استفادت ودعمت مواقفها الاقتصادية وسيطرتها السياسية والاجتماعية فى القرية المصرية وتحدث كثيرون عن مخاطر التغيير من أعلى وأن تجربة الحركة من أعلى والاعتماد الاساسى على أجهزة الدولة دون مشاركة جماهيرية من أسفل كان مما عرض تلك التجارب دائما لمخاطر الانتكاس والردة .

وكانت هذه هى أكبر مغامر مسمى (ثورة يوليو) ، إذ أن مفهوم الثورة يختلف تماما عن انقضاء جماعة الجيش على الحكم فى مصر والسيطرة عليه . يقول دكتور فاروق عبد السلام :

إن حركة ٢٣ يوليو يوم قامت لم تطلق على نفسها ولم يطلق عليها أحد من الناس اسم ثورة وكان أكثر الاسماء التصاقا بها يومها (حركة الجيش المباركة) وإنما كان تسميتها ثورة بما فرض بعد ذلك فرضا فى وقت لاحق . إن الذين يعتبرون ما وقع يوم ٢٣ يوليو فى مصر ثورة إنما يعتمدون فى وجهة نظرهم على معيار (التغيير) أى التغيير الجذرى الذى حدث فى عهدين مختلفين ، تماما ، كل منهما عن التقيض .

إن معيار الحكم الصادق على تصنيف الحركات إلى ثورات أو انقلابات إنما يكون بالنظر إلى طبيعة الرجال الذين قاموا بالحركة وليس بالنظر إلى التغيير الذى أحدثته الحركة ، ففى انقلاب إذا قام به رجال من موقع سلطة كرجال القوات المسلحة ، وهى ثورة إذا قام بها الشعب الأعزل ضد السلطة - كما

حدث في إيران - حين خرج على الشاه أبناء الشعب بالليل والنهار يحملون أرواحهم وأكفانهم بين أيديهم يتحدثون حاكما وقواته المسلحة . أعطوا المسميات أسماءها : جاء يوم سميت فيه الهزيمة نكسة ، والقواعد تسهيلات والاعتقال تحفظا .

(٥) وقد تحدث كثيرون عن حركة الجيش على أنها كانت (ثورة بيضاء) ولكن المتعمق في الأمور يجد أنها خاضت في سبيل تثبيت وجودها دماء كثيرة منها الحق ومنها الظاهر ، وكان أسوأ صفحاتها : صفحات التعذيب والاضطهاد لكل من اختلفت منه وكان أشد عنفها بالنسبة للجماعة الإسلامية التي كانت لها في أول الأمر صلات وثيقة ، بل أن هذه الحركة حاولت أن تكون بديلا مغائرا للدور الذي كانت الدعوة الإسلامية تعد المجتمع الإسلامي له .

(٦) لم تكن حركة الجيش أيولوجية محددة ، ولكنها كانت محاولات للاستجابة للواقع وقد تردت في انحرافات وسلبيات كثيرة مثل الإجراءات الاستثنائية والتدهور الاقتصادي وهزيمة يوليو وتمزق وحدة الصف العربي والسيطرة السوفيتية والتنظيم السري وحرب اليمن وإبعاد الكفاليات ، وغيرها من الانحرافات والسلبيات .

الفصل الثالث

النكسة والسبج ضد التيار

كانت النكسة ١٩٦٧ علامة على هزيمة السبج ضد التيار الإسلامي، الذي هو الاتجاه الطبيعي الاصيل، لهذه الامة، فقد كانت الخطوات كلها خلال هذه المراحل الثلاث معارضة للاتصال، ومضادة لطبيعة الامة، وكانت بمثابة محاولة خطيرة لتغيير الاعراف الاساسية واحتواء نفسية الامة وكيانها وعقليتها والقضاء على روحها الحقيقية المنبعث من الإسلام والممتد خلال أربع عشر قرناً .

هذه المراحل الثلاث : هي (١) مرحلة الاستعمار (٢) ومرحلة الاستقلال (٣) ومرحلة حركة ٢٣ يوليو وهي ثلاث مراحل متكاملة يسلم بعضها إلى بعض، ظهر منها تضال النفوذ الاجنبي في المرحلة الثانية واختفاؤه في الثالثة، ولكن نفوذ التمزيب والغزو الفكري كان يتنامى مرحلة بعد مرحلة فيحطم كل السدود والقيود .

ولقد برغت أضواء حركة البقطة الإسلامية في أشد فترات الظلام في تاريخ الإسلام في العصر الحديث وهي المرحلة التي أسقطت منها الخلافة الإسلامية وفرض النفوذ الاجنبي القانون الوضعي وحجبت الشريعة الإسلامية وانطلقت جحافل القوى المختلفة تجوب البلاد لتغير إعرافها ومفاهيمها عن طريق تدمير المجتمع (عن طريق إباحة الخمر والزنا بواقع القانون الوضعي) وتدمير العقل الإسلامي عن طريق إنشاء الارشاليات وتزييف مناهج التعلم في المدارس الوطنية وتفريغها من الدين والأخلاق والتاريخ والإيمان بالقيم الأساسية .

وفي نفس اللحظات التي كان يغرب فيها نجم سعد زغلول أول معظم للمفهوم الإسلامي في السياسة في العصر الحديث وداعية العلمانية والتغريب ، بزغ ضوء

الدعوة الإسلامية لأول مرة وارتفع صوتها بحمل صيحة الإصالة والعودة إلى المنابع وتنامى مع الزمن واستطاعت المراحل التي تقابلت وخاصة المرحلة الوطنية أن تفسح الطريق للدعوة إلى التماس منهج الشريعة الإسلامية بعد أن تعالت الأصوات في مجتمعات الغرب بإقرار صلاحيتها وعظمتها وتساؤلهم المستغرب عن عجز الأمة صاحبة الشريعة عن تطبيقها وتسوّلها للقوانين الوضعية المضطربة المعطوبة : وفيما تقاوم الأمة النفوذ الاستعماري لتتحرر منه وبممتلك إرادتها - كان التاريخ بعد للأمة الإسلامية مرحلة جديدة أشد خطورة وامتحاناً أشد قسوة ، ذلك هو زحف النفوذ الصهيوني على قلب العالم الإسلامي فلسطين ، تحت دعوى باطلة وزائفة ، باسم أرض الميعاد ، ليدخل المسلمون حلقة من أخطر حلقات تاريخهم كله ، في نفس الوقت الذي أخذت قوى الماركسية والشيوعية تتدفق أيضاً فإذا بالعالم الإسلامي يواجه قوى ثلاث في وقت واحد : هي النفوذ الغربي الذي كان يحاول التخفي تحت قناع اقتصادي؛ والنفوذ الصهيوني الذي احتل رأس جسر في فلسطين وأعلن صحبته من النيل إلى الفرات والنفوذ الماركسي الذي خيل لبعض القادة أنه يستطيع به أن يهزم النفوذ الصهيوني ، دون أن ينتبه للحقيقة الخطيرة التي تؤكد أن الصهيونية والماركسية وجهان لعمله واحدة .

ولقد تبين من مراجعات الباحثين (للنكسة ١٩٦٧) وأبعادها أنها كانت ثمرة حقيقية للسبب ضد التيار الإسلامي ومحاولة التماس منهج آخر غيره لبناء المجتمع الإسلامي في العصر الحديث ، وكانت المحاولة ترمى مرة إلى اتخاذ أسلوب العيش الغربي وسيلة للتقدم والنهضة ، ابتهارا بصورة الحضارة الغربية وظناً بأن الإسلام هو مصدر التأخر ومرة أخرى في التماس المنهج الماركسي سبيلاً لقيام المجتمع الإسلامي الجديد وقد مضت البلاد المرحلة تلو الأخرى تخوض تجربة ضخمة واسعة انتهت إلى تأكيد واضح بأن الجسم الإسلامي لا يتقبل العنصر الغريب ولا يمكن أن يستسلم للاحتواء أو الإذابة ، وإنه ليس في حاجة إلى أسلوب عيش جديد عليه ولا إلى أيديولوجية بشرية ؛ وهو يملك أصنى المناهج وأعظم النظم التي عرفتها البشرية وطبقها أكثر من ألف

عام ، والتي كانت مطبقة فعلا في العالم الإسلامي قبل وصول طلائع الاحتلال الغربي الحديث وتشهد كتابات علماء فرنسا في الموسوعة الضخمة التي كتبوها تحت عنوان (وصف مصر) إن مصر كانت تحكم بكتاب الله قبل الحملة الفرنسية وإن مجتمعا كان مجتمعا مسلما ملتزما ، قائما على الشريعة .

وهو الهدف الذي أجمعت على تحطيمه القوى الأجنبية والمستشارين الأجانب من عهد محمد علي إلى عبد الناصر ، ومن كان معهم من الخبراء الفرنسيين والبريطانيين والأمريكيين والسوفييت .

وقد تبين أن هناك محاولة ترمى إلى الحيلولة دون استئناف المسلمين حياتهم على أساس الإسلام ، وذلك بإثارة النعرات القومية وتركيز المفاهيم العلمانية والتشكيك في العقيدة الإسلامية وتشويه التاريخ الإسلامي وإيجاد الفارقة والنحل الهدامة ، ولا ريب كان ذلك كله عملا مرتبا منسقا يهدف إلى تفكيك عروة الأمة الإسلامية أساسا إلى كيانات عنصرية متنافرة وهناصر متعددة متباعدة حتى يمكن ضربها جميعا واحتوائها ويمكن لإسرائيل من البقاء والانساع .

(٢)

وقد توالى عمليات الهدم والتدمير جيلا من جيل عن طريق تقديم مفاهيم زائفة من خلال التعليم والثقافة والصحافة ، ترمى إلى إمتنان تاريخ المسلمين ودينهم وبطولاتهم وإعلاء شأن الغرب في حضارته وإعلامه في محاولة لإذابة القيم الأساسية التي قام عليها بناء الأمة الإسلامية والمقاييس التي قدمها لهم الإسلام في مجال الحرب والسلم وبناء المجتمع وإنشاء الحضارة ، وكان من أخطر المحاولات إخفاء الكلمة الإسلامية وإحلال الكلمة الغربية محلها فأصبحت الحضارة عربية والوطن عربي والأدب عربي والثقافة عربية ، والتاريخ عربي ، وذلك كله يرمى إلى إزالة اسم الإسلام من مقومات الفكر الإسلامي الحديث :

فإذا جامت الدراسة تنطلق من منطلق عربي وجدت الحواجو والسدود

فإذا هي تفتح الباب أمام المارون والأرمن والاكراذ وكل فئة وطائفة ، في محاولة لتزيق وحده الأمة ، وإذا مضينا كان علينا أن نراعى عوامل كثيرة فهناك الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والبربرية في المغرب .

وهكذا نجد أن ساحة الفكر الإسلامي تنقلص وهكذا فالقومية تفرق والإسلام يجمع والحقيقة أن الثقافة والفكر والتاريخ تنطلق من العقيدة التي كوّنت حضارة هذه الأمة ، والإسلام هو المسكون الحقيقي لفكر الأمة عربا وفرنسا وتركيا وهنودا جميعا انصهروا في بوتقة الإسلام ، في بوتقة لا إله إلا الله ، فصدروا عنها في هذا الفكر القائم على التوحيد والعدل والاخاء الإنساني .

وكانت تلك أولى المراتب الرامية إلى تدمير وحدة الأمة ، وتوالت المحاولات في مجال القانون الوضعي والاقتصاد الربوي والتعليم اللاديني في محاولة لإخراج المسلمين من منهج الإسلام الذي ربوا عليه وتكونوا وعاشوا أربعة عشر قرنا حتى ينصهروا في الحضارة الغربية فتضيع ذاتيتهم وينتهي كيانهم ويعجزون عن أداء رسالتهم التي وكل الله إليهم أداؤها وهي تبليغ كلمة الله للعالمين .

إن الهدف الذي سار عليه النفوذ الأجنبي هو تفريق هذه الأمة من معطياتها وقيمتها وعقائدها حتى تصبح أمة منصهرة تعتنق أسلوب الغرب وتذهب عنها ذاتيتها ، وهذه هي محاولة تلك القوى ، عهدا بعد عهد ، حتى لا تستطيع هذه الأمة امتلاك إرادتها وإقامة مجتمعاتها الإسلامية الأصيلة واستئناف حضارتها للعطاء بعد أن توقفت هذه الفترة التي سيطر عليها النفوذ الأجنبي وما تزال هذه القوى وهذه الایدولوجيات وتلك النظريات التي نبث للعقل الإسلامي وللنفس الإنسانية تعمل عملها لهدم هذا الحائط العالي الذي يحفظ للمسلمين كيانهم الاجتماعي والروحي والخلقي .

وما تزال هذه التيارات تحاول السيطرة ، وهي تتخذ في كل مرة لبوسا مختلفا ، تحت اسم التجديد أو التقدم أو الانفتاح أو العصرية ، في محاولة مسمومة تحول بين المسلمين وبين إعادة تطبيق شريعتهم ، أو تحديد مناهج التربية والتعليم والثقافة وإقامتها على أساس الإسلام ومنطلق الخطر في ذلك كله هو التعليم والصحافة :

[ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم]

[ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا]

[إن تطاعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين]

فالفكر الغربى يرمى إلى فصل الدين عن الدولة والتقوية حول القانون الوضعى فى محاولة لحجب الشريعة الإسلامية، والاقتصاد الإسلامى — والماركسية ترمى إلى ضرب التوحيد والعقيدة وفرض مفهوم الاتحاد تحت أسماء التقدمية والعلمانية .

والفكر الصهيونى يرمى إلى ضرب المروبة فى كل ما يتصل بكيانها التاريخى والثقافى وهدم مفاهيم الاخلاق وإشاعة الإباحة ولقد صنع النفوذ الأجنبى هذا التيار المناوئ للإسلام ومكزن له وأعطاه القدرات الضخمة : أعطاه النفوذ والصوت المدوى .

وهكذا وجد النفوذ الغربى فى هزيمة ١٩٦٧ (النكسة) إحساساً بأن عمله خلال العقود السابقة قد حقق شيئاً يمكن أن ينطلق منه إلى احتواء الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى ، ومن ثم بدأت خطط كثيرة ترسم ومؤتمرات كثيرة تعقد ، للقضاء على الأمة التى سقطت تحت سنايك الحيل .

ولسكنهم كانوا غافلين عن معدن هذه الأمة التى تستطيع أن تتجاوز محنتها وتعلو فوق جراحها وتسترد قوتها وتعرف عبره الحدث الكبير : حدث النكسة بعد الهزيمة والنكبة خلال سنوات أكثر من ثلاثين عاماً خدعت فيها واستسلمت للأسلوب الغربى وظنت أنه منطلقها إلى التقدم ، وخذعها دعاة التجديد بالاستسلام للتبعية وتوالى الضربات : الربا والقانون الوضعى والليبرالية من معطيات الغرب وقد عجزت جميعها عن تحقيق ماترجو أمه لها منهاجها الأمثل ومعطياتها الربانية الاصلية ثم جاءت موجة الشرق ممثلة فى القومية والماركسية والوجودية والمادية فلم تستطع أن تحقق شيئاً وفشلت أضخم تجربة للقومية والاشتراكية فقد كانت كلها أسلحة رفعت فى وجه الإسلام ولم تزد على أن فتحت الباب للشعوبية والديون والازمات وضائق دائرة الاحتواء وكادت

أن تقهر الأمة في بوتقة الماركسيين لولا صدمة النكسة التي استفادت القوى عليها لتعلن صيحة (العودة إلى الله) .

لم يكن الخطر واضحا أبان الاحتلال فقد كانت القوى كلها مجنونة للمقاومة ولكن بعد الاستقلال جاءت مرحلة التراخي والاستسلام ثم تضاعفت في عصر حركة الجيش تحت اسم الحرية والعدل الاجتماعى وكان النفوذ الاجنبى يخفى وراء مؤسسات التغريب والتبشير والاستشراق ليسمى جميع الآبار : المدرسة والصحافة والثقافة وبدا كأن أناتورك وتجربة تركيا اللادينية هى المثل الأعلى فى البلاد العربية فقد أعلن بعض القادة أنه هو المثل الأعلى لهم .

وإذا كان النفوذ الغربى والاستعمار قد استطاع بعد الحرب الأولى القضاء على الخلافة الإسلامية وتمزيق وحدة المسلمين فإنه استطاع بعد الحرب الثانية إقامة إسرائيل والقضاء على وحدة البلاد العربية ، فقد أزاح النفوذ الاستعماري قادة القفلة الإسلامية وقدم رجاله .

وقالت إسرائيل بعد النكسة : لقد انتقلت أزمة القيادة من عبد الحكيم عامر إلى عبد الحليم حافظ ، وكان معنى هذا أن المؤامرة استمرت فقد أعلن التقدميون أن سبب الهزيمة هو التراث والقديم والماضى وهم يقصدون بذلك الإسلام ، وماشهد الإسلام ، المعركة ولا كان مشتركا فى هذه الجولة : ولقد أعلن ابا اييان وزير خارجية إسرائيل قال : إننا نعتمد على ثورة المثقفين العرب الواقعيين ، هؤلاء الذين نعتمد عليهم الصهيونية فى حربها النفسية ضد الأمة العربية وفى تشكيك الجيل المعاصر من أبناء هذه الأمة فى تراثه وفى حضارته وفى لغته وفى آدابه ، ونحن نقول إن هؤلاء المثقفين سيسقطون فى النهاية تحت ضربات المعاول .

إن النصر لا يبنيه الفنانون والمهرجون وإنما ينتزعه المجاهدون الذين يضعون طاقاتهم كلها تحت حكم لا إله إلا الله والله أكبر فيحققون من المعجزات ما لا يتباهى الأحلام والنصورات .

لقد كان معنى النكسة الاسراع بالقضاء على مابقى من كيان الأمة بتسليط

الاباحيات في الافلام والمسرح عليها بحجة صرفها على الواقع المر ولكنّه كان بمفهوم الماركسين والتغريبيين القضاء على أخلاقيات الامة نهائيا .

إن نكسة ١٩٦٧ هزت الوجدان المصرى من الاعماق ووضعت الإنسان أمام الحقيقة الخالصة والعارية وهى أن وجوده مهدد ، عاش هذا الجيل منذ النكبة الاولى أسير الرؤيا حاملة ، فضاعت أحلامه ، وقد كشفت النكسة أن كل هذه المطروحات التى قدمها الشيوعيون والتقدميون لا تؤدى إلى شئ ، وأنه لا بد من حضارة عربية إسلامية تقوم على العلم والحق معا ، وإن الاستعمار العالمى والصهيونية العالمية تركّز على هدم الدين واللغة والأخلاق والتاريخ ، فإذا تحطمت أمكن السيطرة على هذه الامة سيطرة كاملة .

٢ - وكان حكم الطغاه أبرز ما حطم أجنحة هذه الامة :

يقول الدكتور حسين مؤنس : إننا لانسى أبداً أن (رجال الحركة) أضاعوا علينا فرصة الابد فيما كانوا يضيعون وقتنا فى هزليات ومسارح ومؤامرات وحروب أهلية بينما كانت إسرائيل تنشئ وتنشئ ، كانت تنشئ المزارع والطرق والمطارات تحت الأرض وتبنى مصانع السلاح ، وكانت تعلم شعبها النظام والقانون ونحن نحارب القانون ، ولم تصدر القوانين الاشتراكية عن حب للعمال أو الزراع وإنما عن حقد من كل من كان صاحب مال ونعمة ، ومصر انفقّت قرناً ونصف قرن لىكى تنشئ فى بلادها قاعدة من المثقفين والعلماء فجاء عبدالناصر ليعلن الحرب على كل مثقف وصاحب علم والذين انشأوا المصانع وفتحوا لنا أبوابا للعلم والتقدم عوقبوا ونزعت منهم مصانعهم وأعطيت لمن يخرّبها ويفسدها ، وما سمى بالمكاسب الاشتراكية أصبح نتيجة للحقد وسوء النية مصائب قومية ، والعامل الذى تهلل عندما سمع إعلان القوانين الاشتراكية وظن أنه تخلص من استبداد صاحب رأس المال وجد أنه تخلص من سيد ليجد نفسه عبداً لمائة سيد .

والنتيجة هى ماترى* : دين يصل إلى ٦ آلاف مليون دولار .

كانت الاشتراكية الناصرية عطاء بدون عمل ، عطاء يدفع الآخرون

ثمته . وعبد الناصر دخل حرب الين وهو يقول أنه لسان الحرية ، ثم يتضح بعد ذلك أنه أرسل قواتنا إلى الين لكي يعاقب رؤساء تجرأو على نقده ، هل كان في صالح شعب مصر أن تسخر قواته وموارده في خدمة طموح رجل واحد ، أو لخدمة مواطنيه والانتقام من خصومة شخصية له في العالم العربي .

هل كان من اللائق أن يقال أن مصر تدخلت في الين لنقل الشعب اليني إلى الحضارة ، وهل كان شعب مصر يتمتع إذ ذاك بالحرية والعدل حتى يذهب برسالة الهية إلى الين للنشر العدل والحرية فيه ، لقد أحس عبد الناصر وعامر أن مركزهما قد اختل في العالم العربي بعد الانفصال عن سوريا فسميا للدخول في مغامرة جديدة على حسابنا وحساب قواتنا .

ويقول الدكتور حسين مؤنس : لقد نادى عبد الناصر بالحرية في العالم العربي ثم جعلها احتكاراً لنفسه فحسب ، وطالب بحقوق الشعوب ثم انفرد وحده بكل الحقوق ، وقال أرفع رأسك يا أخى ثم عمد إلى قطع رأس كل مواطن حاول رفع رأسه ، ورد الناس بذلك إلى عصر من الذل والخوف هو أسوأ من كل مارات مصر في تاريخها .

وقال عبد الناصر : أن البلد في عهده تحكمها عصابة . فقد قصر الحرية وصنع القرار على نفسه ، وجرد الأمة كلها من كل رأى ، وأخافها وأفرعها واسكت صوتهما وتحمل وحده كل المسؤوليات فكان عليه أن يتحمل كل التبعات ولقد تحمل الشعب وحده نفقات امبراطورية عبد الناصر ، وكان بالنسبة للعرب المعلم البلدى الفبيس الذى ينفق على أصحابه في المقهى في حين أن امرأته (مصر) في البيت تضرب رأسها في الحائط .

وعبد الناصر ما كان يتوق إلى الانتصار على إسرائيل أبداً ، ورغم هزيمته وما أعقبها لم يتخل عن استبداده أبداً ولا رفع عن المصريين قيда من القيود التى قيدهم بها .

وإذا كانت حقيقة الأمة قد غابت عن عبد الناصر فقد غابت عنه

حقيقة أخرى هي أن الحرية هي القاعدة الأساسية التي لا يستطيع شعب أن ينهض بدونها وأن الحرية قوة للحاكم قبل أن تكون قوة للشعب والحاكم مهما كانت قوته المادية والعسكرية لا يستطيع أن يصل إلى النصر إذا كان شعبه مكبلاً بالأغلال . أن كل قوته لا ترجع إلى شخصيته ولكن ترجع إلى إرادة الشعب ، ولأن عبد الناصر لم يكن يؤمن بالحرية فقد عادى كل الذين يحتاجون للحرية من المواطنين لكي يعملوا أو يعلموا أو يقدوا ببلادهم وهم المفكرون والقادة والعلماء والفنانون . إن الزعيم الذى يعتمد على تصفيق الشوارع يعتمد على هواء ، لأن جماهير الشوارع طيبة ساذجة ولكن لا قيمة لها إلا إذا كانت على نور ، وقد درسه الأجانب وعرفوا مفاتيح شخصيته ، إذا أرادوا منه أن يفعل شيئاً طلبوا منه العكس فيفعل ما يريدون .

وعندما وصل عبد الناصر إلى السلطة قرب إليه رجال من الصفوف الخلفية واتجه إلى التخلص من كل شخص له شخصيته ، وما فتح الطريق أمام المستبد ليصل بالاستبداد إلى مداه إلا حاشية السوء ، وكان أبرز أعماله تصفية العائلات والتعذيب وكانت التأميمات ترمى إلى حرمان كل مصرى من أى سلطان .

(مجلة أكتوبر - ١٨٨٣)

(٣)

لقد كان من أكبر أخطاء الحكم الوطنى بعد الاستقلال أنه لم يراجع فاصنعه المستعمر فى بلاده ولم يفكر من سیر الاتجاه والتوجيه فيها وسلك نفس طريق الاستعمار قبله فى إخلاء الواقع الإسلامى من الإسلام ، أكد العلمانية فى عزل الدين عن الدولة ، فأبعده عن التعليم

وفي التشريع واطمئنة في معاهدته ومؤسسته وألغى المحاكم الشرعية ؛ وسوى
هذا الحكم الوطنى فى بعض المجتمعات الإسلامية بين الرجل والمرأة فى
الميراث فقلد الطليان فى قيود الزواج والطلاق وأتاح الفرصة للدولة فى أن
تبارك زواج المسلمة بغير المسلم بينما البعض الآخر رفع القرآن كلية ووضع
مكانه الاشتراكية اللينينية لكارل ماركس وماوتسى تونج ، ومن مسح
الأحوال الشخصية فى الإسلام من زعماء هذه المجتمعات الإسلامية أو طرد
الإسلام كلية يعلن اعتزازه بما فعل ويحدد فهمه الخاص بالإسلام أو بالإضافة
إلى فلسفة العصر وهو فى حقيقة أمره أى يرجو أن يستمر حاكماً من غير
أن يحاسبه الإسلام على عدم صلاحيته للحكم والولاية العامة . ولم يأت
حاكم وطنى بعد الاستقلال . يراجع دستور العمل والحكم فى بلده على هوى
من تعاليم الإسلام بل من يشير من الحكام الوطنيين لو أشار إلى الإسلام
فإنه يكتفى من الإسلام بأن يكون اسمياً .

* * *

الفصل الرابع

النكسة : علامة تحول حقيقي نحو الأصالة

لقد كشفت هزيمة يونيو ١٩٦٧ (النكسة) جملة حقائق لا سبيل إلى تجاوزها :

أولا : أن الخط الذي سارت فيه مصر والبلاد العربية كان مضللا ولم يحقق النتائج التي تصورها الذين ساروا فيه ودعوا إليه حين ظنوا أنه الوسيلة لإخراج العرب من الأزمة ، وتحريرهم من التخلف ، وتمكينهم من امتلاك إرادتهم ، بل أن هذه الدعاوى التي حملها دعاة التجديد والتقدم والعصرية والنهضة كانت كلها محاولات زائفة لكي يفقد المسلمون والعرب آخر ضوء يصلهم بقيمهم وعقائدهم ويخرجهم من إطار الإسلام لينصهروا في بوتقة الحضارة الغربية ، هذا ما كان يدعو إليه طه حسين بدعوته إلى التعليم الغربي مع حجب التربية الإسلامية ، وسلامة موسى من دعوته إلى العصرية وعلى عبد الرازق من فصل الدين عن الدولة وساطع الحصرى من فصل العروبة عن الإسلام ذلك أن صوت الدعاة إلى الوطنية في إطار الإسلام قد هزمته القوى الاستعمارية حين أنشأت دعاة العلمانية في مجال السياسة وكان رائدها هو سعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمي : هذه المدرسة التي أنشأها كرومر ، فاشتغلت بالولاء الغربي والإعجاب بالديمقراطية الغربية فاختفت الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية والاقتصاد الإسلامي وانهار المجتمع الإسلامي تحت ضربات عوامل الانحلال والفساد الذي جلبه الاستعمار .

ثانياً : تنامي التيار الغربي الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بعد أن انحسرت عملية الحصار الاستعماري السياسي والعسكري فقد وضع المجتمع كله تحت هذه العوامل فكان ذلك مقدمة للتيارين الخطارين الذين ظهرا في المرحلة التالية وهي التبعية للماركسية وسيطرة الفكرة الصهيونية ، وكان جولة سقوط فلسطين ١٩٤٨

إلى سقوط القدس ١٩٦٧ هي بمثابة الجولة الواسعة التي كشفت فساد هذا الاتجاه كله على أيدي سعد زغلول وطه حسين وجمال عبد الناصر .

ولقد هزم ذلك الأسلوب الغربي في أول الأمر وهزم الأسلوب الماركسي في آخر الأمر ، وكشف عن حقيقة مذهلة هو أن الطريق الذي فرض على المسلمين والعرب — والذين لم يكونوا راغبين فيه بل كانوا معارضين له — هو الذي أوصلهم إلى هذه الهزيمة الساحقة .

غير أن المحاولات بدأت تجرى على أساس التحول مرة أخرى من أحد القطبين إلى القطب الآخر ، درن القبول بما تعالت عليه الصيغة الخالدة : صيغة العودة إلى الله .

فما تزال القوى الغربية تراوغ حتى لا يحقق المسلمون والعرب إرادتهم وإقامة مجتمعهم على أساس نظامهم الأصيل ومنهجهم الخالد .

وما تزال القوى المسيطرة تثير الغبار في وجه المد الإسلامي والصحو الإسلامي ، وما تزال تثير السموم حول الشريعة الإسلامية جملة في محاولة لاحتوائها وإخضاعها للحضارة الغربية واستخدامها لتبرير الأوضاع المنحرفة والمنهارة من أجل تحقيق هدف واحد هو التبعية ، و الذابطة ، وصهر الفكر الإسلامي والامة الإسلامية كلها في بوتقة الحضارة الغربية بنظامها المتأكلين المضطربين : الرأسمالية والشيوعية .

ثالثا : أن المخططات التي قدمها الماركسيون والغربيون لاحتواء نكسة ١٩٦٧ كانت كلها محاولات باطلة وفاشلة وكاذبة ، وهي في باب (التويه) في محاولة جديدة لدفع المسلمين والعرب إلى نفس الطريق الذي ماروا فيه من قبل وعلى عيونهم عصابة ، وانقين من دعاة ماشين خدعهم عن الطريق الصحيح .

إن الحقيقة أن المسلمين لم يصابوا بالنكسة إلا من جراء ابتعادهم عن منهجهم ولو أنهم التمسوا منهجهم ما استطاعت القوى الأجنبية أن تهزمهم ولا القوى الصهيونية أن تتكون وتركز وجودها في قلب العالم الإسلامي .

إن محاولة إعلال تيار القوميات والاقليميات كان أكبر الاخطار فقد حاولت أن تقضى على الوحدة الإسلامية السياسية وكان التعليم الغربي المفرغ من روح الإسلام هو العامل الأكبر في القضاء على قوة الصمود وعدم الاستسلام للاهواء والمغريات .

ومن ناحية أخرى تراخت القوة العسكرية الإسلامية ولم تأخذ بأسباب الارتباط والاستعداد فافتحم العدو معانقها وهي غافلة .

لقد كانت هزيمة التربية الإسلامية مصدر زرع اليأس والخوف والتحلل والاسترخاء وراء اللذات والاهواء ، بحجة أن الاستعمار العسكرى قد ترك البلاد في نفس الوقت الذى استمصم العدو بالتوراة وبنى شبابه على أساس نعصب والحقد ، وكون قواه العسكرية .

لند تحرك العالم الإسلامى لمواجهة الاستعمار وجاهد في سبيل التخلص منه ثم سقط تحت سناوله فكرياً واجتماعياً بعد الاستقلال فأحيط به في غزوة جديدة ، ذلك أن المغتصب لم يترك أهل البلاد يقيمون بناتهم بل سلط عليهم عدواً جديداً ، بعد أن فرغ وجودهم النفسى وكيانهم العقلى من روح الاسلام القائم على المقاومة والارتباط في الثغور .

يقول الباحث الإسلامى ليوبولد فابس (محمد أسد) ،

« رأينا كثيراً من الدول الإسلامية المستعمرة : أصبحت مستقلة ، وربما ظن بعض الناس أن هذا الاستقلال إشارة إلى مستقبل الاسلام ، ولكن ليس كذلك ، رأينا في كثير من الدول المستقلة أن الناس يفرون من الإسلام يعدلون الاحكام الشرعية بأحكام غير شرعية أخذوها من الاجانب ويظنون أنها أفضل وأرقى من الشريعة الإسلامية ، ليس عندنا أى أحد يستطيع أن ينكر أن الاسلام أكمل عقيدة وأكمل منهج حياة (ايدلوجية) ظهرت في تاريخ الانسانية ، وأكبر من هذا أن الإسلام حقق أول مجتمع ايدلوجى في العالم ، فلماذا يفر الشباب ويتكون هذا السكال بالواقص التى يأخذونها من الاجانب .

أرى أن الجواب يكمن في نواقصنا لفهم الشريعة الإسلامية : إن الشريعة الإسلامية هي دستور حياة الأمة الإسلامية فكل شيء في المجتمع الإسلامي مؤسس على الشريعة العادلة التي يتساوى فيها كل الناس ولا فضل لعربي عن أعجمي وهذا مالا وجود له في مجتمعات غيرنا فكل حياتنا كانت من ابتدائها مؤسسة على الشريعة ، والشريعة مفتوحة فأنحة لكل فرد من أفراد المسلمين فيها قوة دافعة لحياة الإسلام ، فإذا أغلقت أبواب فهم الشريعة جفت العناصر ونقصت القوى الدافعة .

الشريعة الإسلامية هي الدستور الخالد لحياة الأمة الإسلامية ، ولا وجود للمجتمع الإسلامي بدون أن نطبق أحكام الشريعة على تكوينه الثقافي والاجتماعي .

رابعاً : يؤكد علماء الاجتماع المسلمون أنه لا بد من بناء الأجيال الجديدة المسلمة على الإيمان بالحقائق ، والوعي بالإخطار ، والتكوين النفسي القادر على مواجهة التحديات لقول مالك بن نبي : إن كل تغيير اجتماعي واقتصادي أو سياسي يكون دوماً نابهاً لتعبير أولى في (النفوس) بحيث لا يتصور أن عملية تغيير من النوع السياسي أو الاجتماعي قد تأتي في جو من الفتور والخلول حتى ولو توفرت من الناحية الفنية المجردة ما يسميه (شروط الانتقال) وربما وجدنا في هذه الاعتبار العامة ما يوضح لنا المعنى الذي يشير إليه من وجل في قوله المحكم :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

فعلى هذا الأساس يجدر بنا أن نتأمل بالنسبة للعالم الإسلامي في إيما شروط يتأتى لها انتقاله من حالته الراهنة إلى حالة أضمن لمصالحه وأبعد لحياته : الأمر يقتضى تغيير الجو النفسى الذى يعيش فيه مسلمو اليوم وهو يتصل بضميره بين كارثة وأخرى مثل كارثة فلسطين وكارثة باكستان ، هذه الكوارث التى أن عبرت عن شيء فلما تعبر عن فتور وخرول في حياة المسلم

اليوم ، هذا الغتور لا يمكن تفسيره بدوره الاعلى أن المسلم لا يجد في حياته الشخصية والجماعية المبررات الكبرى التي تهز المجتمعات في الساعات الساخنة لما يؤذن لها آذان الانتقال من حالة استسلام إلى حالة رسالة مخاطب بها نفسها أولاً والانسانية ثانياً .

القضية اليوم منحصرة في إيجاد المبررات الجديدة التي تجدد في المسلم الشعور بالطموح والرسالة ، شعوراً يجعله ينظر إلى نفسه كصاحب رسالة ، وإلى غيره كمنفذ مثلما كان أيام عمر حتى أرسل وفده إلى رستم قائد كسرى فنراه يخاطبه خطاب النداء بل أكثر : خطاب الانسان الملهم الذي أتى من أجل تخليص خصومه أنفسهم .

رابعاً : علينا أن نحول دون « ذوبان الشخصية الإسلامية في الامة . حين نقرأ أفكاراً غريباً ، ونسمع ونشاهد مسرحيات غريبة ، وتقدم لنا الصحافة وجهات نظر غيرنا على أنها القدوة والقيادة التي يجب أن نستمتع لها وأن نخضع ، حيث يقدم لنا السياسة والتاريخ والاقتصاد على أننا أتباع وفي ذيل القائمة ، مع أننا نملك الثروات والطاقة والتفوق البشرى ، ولكننا نأهرون في هذه المجالات يدار أمرنا بيد غيرنا ولا نملك إرادتنا الحقيقة في توجيه اقتصادنا أو ثرواتنا .

إن المخطط الاستعماري المعادي للإسلام والعرب يعمل على تدمير القيم الإسلامية وتفتيت الروح الإسلامية وإدخالنا في دائرة الاحتواء والتبعية .

إن هناك محاولات لإعادة تشكيل فكر الانسان المسلم للسيطرة عليه إن التفوق الآلى في الحضارة الغربية (يشقيها الرأسمالي والشيوعي) قد أعطاهما بعض الأسلحة التي تحاول بها (تدجين) المسلمين على النحو الذي يجربه الانسان على عالم الحيوان وإن أسراعنا في الإعجاب بحضارة الغرب وقبولها واعتناقنا عادات الغرب وتقليدنا قشور حضارة يسارح بنا إلى الانصهار في هويته .

إن هناك محاولة لتدمير القيم الإسلامية باقتلاعها من صدور المسلمين حتى تصبح كالمدينة المفتوحة ، هدفا لكل ناهب وغاز .

إنهم غيروا مفهومنا للحرب والسلام ، وإقامة المجتمع الإسلامي ، ووضعوا مقاييس الفسك الغربى المادى أمامنا كأسلوب لقياس الأوضاع والأحداث واختفت وراء ذلك مقاييسنا الحقيقية المستمدة من القرآن والسنة ومن تاريخنا وتجاربنا فقبلنا أسماء ورؤى ووجهات نظر تختلف مع مفهوم الإسلام تحت اسم العصرية والحداثة والتقدم والسكنة لم يودى إلا إلى هزيمتنا واندحارنا .

خامساً : لقد تأكد للقوى الغربية منذ وقت بعيد أن هذه الأمة لا يمكن أن تستسلم للاحتواء أو الانصهار فى بوتقة نفوذها ، وأن العرب ان يقنعوا فى تجربة تركيا مهما تضافرت القوى للأنام عليهم .

يقول السكائب الغربى : (جون سى . بادو) أن الدين قد أخذ ينبعث ويتبوأ مركزاً فعالاً فى الحياة فى حين كان كثير من الناس قبل الحرب العالمية الثانية يعتقدون أن انبعاث الدين بهذا الشكل أمر مستحيل ، لقد حدث فى تركيا بعد وفاة كمال أتاتورك إحياء للشعور الدينى على أن هذه النهضة لم تسكن مجرد إحياء لموروث دين ماضى ، وإنما كانت محاولة لتفسير الدين تفسيراً جديداً وقد حدث نفس الشيء فى إيران . فعند زوال رضا شاه والجماعة التى التفتت حوله عاد علماء الدين (الملالي والشيوخ) إلى احتلال مراكزهم فى المجتمع كظاهر من أهمية الحزب السياسى الذى يقوده الملا السكاشانى ، وهكذا عادت المظاهر الدينية القومية تحتل من جديد مكاناً بارزاً فى الحياة الإيرانية .

إن الدين لسبب من الأسباب قد عاد إلى مسرح الحوادث فى الشرق الأوسط منذ ١٩٣٩ وأن الاتجاه العلمانى قد خفت غلوائه وعودة الدين هذه لم تسكن بالدرجة الأولى انبعاثاً ثقافياً ، هذا الانبعاث الدينى اليوم لا يؤلف فى الدرجة الأولى انبعاثاً فكرياً وليس هو محاولة لحاق فلسفة دينية جديدة كما أنه ليس محاولة أخرى لتعيين موضع الدين بالنسبة للقوى التى تتغلغل فى المجتمع

الآن ، وإنما هو في الحقيقة عبارة عن إحياء للدين كعامل اجتماعي وكحزب سياسي وكجزء من كيان المجتمع ، وأن بروزه في الصحف وبنادير ضخمة إنما جاء بصفته قوة من القوى الاجتماعية . ذلك أن الإسلام عبارة عن قوة اجتماعية سياسية فعالة ، أن الإسلام دين وهو في الوقت نفسه دولة ، على هذا يكون من المحتم أن يستتبع كل إحياء للشعور الديني إحياء للدين بصفته قوة اجتماعية وسياسية ، تحليل هذه الظاهرة واضح فإنه بعد قيام إسرائيل كان لا بد للإسلام أن يندفع بقوة ليغطي منطقة الفراغ وليحدد الوجهة ازاء النازلة الجديدة التي أضافت إلى نازلة الاستعمار الأجنبي الذي كان قد بدأ الانسحاب من مواقعه العسكرية والسياسية الظاهرة وكان هناك تطلع واضح من جانب القوى الوطنية والإسلامية التي ظلت تعمل على أنها ستتمكن من إقامة نظام منبعث من مفاهيم الأمة ومنطلق من تراثها وقيمها بعد انسحاب الأجنبي ، غير أن قيام دولة اليهود قد ضاعف الخطر وحمل في أطوائه محاولة جديدة لضرب هذه القوة الوطنية والإسلامية التي تنامت خلال فترة الحرب وما قبلها والتي كانت مؤهلة لآداء دورها الشرعي والطبيعي بعد الحرب ولقد كان لوجود إسرائيل أثر جديد يضاف إلى الأثر الذي خلقه الاستعمار ونمائه طوال تلك الفترة ، فتضاعفت متاعب المسلمين ، وبدأ أن الأمل في تحقيق هدف المسلمين في إقامة مجتمعهم وتحقيق إرادتهم قد بدا بعيداً ، ذلك أن الصهيونية أخذت تضرب في جدار الإسلام ضربات أخرى وعمدت إلى خلق مؤامرات جديدة عن طريق تشويه الثقافة والتعليم والمفاهيم الإسلامية ، وكذلك عن طريق الاحتواء وكسب ولاء بعض الحكام فضلاً عن أن تأكيد وتدعيم الأنظمة القريبة في عالم الإسلام كان من الدعامات الأساسية للبقاء الاستعماري والصهيوني ، فضلاً عن أنها فتحت الطريق للماركسية والشيوعية سواء عن طريق إنشاء الأحزاب الشيوعية أو عن طريق موالة الروس بعض الأنظمة تحت تأثير الخروج من قسوة قيود الغرب ، حتى لقد قيل أن هناك قوى تهدف إلى الضغط على الشعوب الإسلامية حتى تلقي نفسها في أتون الشيوعية فإن ذلك جزء من مخطط عرف بمخطط الحكومة الخفية التي تحكم العالم من وراء ستار .

هذا وقد تبين بوضوح أن المسلمين لم يقبلوا المنظومات الغربية أو الايدلوجيات الوافدة ولكن القوى الغربية هي التي فرضتها عليهم وانشأت قادة يقودون أمتهم إلى الهاوية تحت اسم التقدم والعصرية ولو كانت الامور تدار على نحو من الحوار لما قيل المسلمون هذا الركام الزائف من الفكر المادى الوافد بانحرافاته في مجال الاسرة والمرأة والحلق والمعاملات ، ولكن الامور كانت ولا تزال تدار بوسائل التآمر والخداع وفرض وجهة نظر الغرب في مقابل بعض المعطيات ، ومحاولة دعوة بعض العناصر إلى اعتناق هذه الوجهة باغراء السيطرة ، أو استدامة البقاء والنفوذ ، ذلك لأن النفوذ الوافد لا يستطيع في الحقيقة أن يعيش وينمو ويسيطر دون سناد من الداخل .

ولاريب أن التبعية الاقتصادية والمالية قد فرضت السيطرة في جميع وجوه الثقافة والتعليم والاجتماع ، ودفعت العرب إلى بيع نتاج حضارته الاستهلاكية واستنزاف ثروات الامم من أجل كاليات وترف وأسباب تسلية ووسائل انحلال وعيب .

سادساً : لقد فشلت محاولة التقدميين والماركسين في اتهام الإسلام بأنه مصدر المزيمة في نكسة ١٩٦٧ وتكشف أن مخططاتهم التي سيطرت على المنطقة وكانت وليدة مخططات الرأسمالية هي المصدر الحقيقي في وصول العرب والمسلمين إلى هذا الموقف الخطير الذي هو علامة تحول حقيقية نحو الأصالة .

لقد صدرت كتابات جلال العظم ونديم البيطار وفؤاد زكريا تهاجم الإسلام وتطالب بالدولة العصرية العلمانية في مصر وهذا غش فكري مكشوف ، فمن المقرر أن الإسلام نحى عن المعركة واقصى عن الصراع بين الامة الإسلامية واليهود ، فعلى جبهات القتال قبل الحرب وأثناءها عام ١٩٦٧ لم نوزع المصاحف على الجنود وإنما وزعت صور أم كلثوم ، ولم يذكر اسم الله وإنما شنت مجلات تابعة لبعض جيوش الجبهة هجوما على

الله تبارك وتعالى وطالبت بوضع الدين في متحف ولم يمكن المؤمنون الصادقون من قتال هذوم وإنما سيقوا إلى المعتقلات والسجون فعلى أى منطق يحاسب الإسلام على أخطاء وانحرافات تمت في غيبته ، وهكذا حاولت القوى التغريبية التابعة للماركسية وللصهيونية وللغرب أن تمنح فكر الهزيمة عمرا جديدا ؛ قال نديم البيطار :

إن هدف الثوريين في الغرب هو تحرير المجتمع من الدين . وإن هذه بداية كبدية الثورة الفرنسية عندما وقف أحدهم في الجمعية العامة وأعلن أن عدونا الأول ليس الاستقرائية وليس الملك وليس الكنيسة وإنما هو أولا الدين ، لقد عانت هذه القوى سواء في كتبها في ندوة أو أزمة التطور الحضارى التى عقدت في السكويت عداوتها للإسلام وهي عداوة مشتركة بين أطراف الصراع : الماركسيون والعلمانيون والرأسماليون وكانت هذه الندوة جهدا . نظما للخلعة العقائد الإسلامية والشريعة الإسلامية ابتداء من الإيمان بالغيب وانتهاء بالمواريث . ولا ريب أن الصراع بين الأمة العربية والإسلامية وأعدائها جميعا إنما يهدف إلى التشكيك في عقائد الإسلام ، وأدواته في الفكر والثقافة والتعليم .

وقد انحصرت هذه التيارات الضالة وتبينت الأمة الإسلامية حقيقة موقفها وأخذت تنطلق إلى فكر جديد ، وأدركت الأمة أن هزيمة يونيو كانت هزيمة الأنظمة التابعة للشرق أو للغرب ، وهزيمة للإنسان المادى الذى يحارب بلا عقيدة ويدافع بغير إيمان بشئ ما ، وكان لابد للأمة أن تبحث عن عقيدتها وأن تحتط طريقا جديدا فساكن هذا الاندفاع نحو الإسلام ، حيث أصبح المسلمون جميعا على قلب رجل واحد يتطلعون إلى مجتمع إسلامى أصيل قائم على أساس الشريعة الإسلامية .

كما سجل التاريخ انحصار الفكر الغربى والشيوعى أمام المقاومة الإسلامية فكراً وتطبيقاً وفي هذه الفترة غزا الإسلام قلب الحضارة الغربية في أوروبا وأمريكا مؤكداً أن الإسلام هو دين الفطرة وأنه لا محالة عائد .

وهكذا كانت نكسة ١٩٦٧ منطلقاً جديداً كشف عن هذه الصحوه التي هزت العالم كله وألهمت أمثال موريس بوكاي وجارودي وهما من كبار فلاسفه المسيحيه والماركسيه الاتجاه إلى الإسلام حتى يقول جارودي :

إن الإسلام له دور منظر لتغيير كثير من مفاهيم البشر ونحن في أوروبا نطرح دائماً جملة (الإسلام القادم) كحل لازمات نفسيه وفكريه واقتصاديه وبنما سياسيه أيضاً .

عصر الاسلام قادم والغرب في حاجة إليه ، أنا واحد من رواد الحضاره الغربيه أقول صراحة أنها قادت لانسان بعد كل هذا التقدم المادي إلى طريق مسدود ، نعم هي حضاره تدهو إلى مزيد من الانماء والانتاج بلا حدود من أجل مزيد من الرفاهيه التي وصلت إلى حد الترف ولسكنها في نهاية المطاف ركزت على الانتاج العسكري وصنع الأسلحه بكميه رهيبه تجاوزت الملايين وما الغرض منها في نهاية المطاف إلا خراب الانسانيه .

وشتان بين معطيات الحضاره الغربيه ودورها وبين معطيات الحضاره الاسلاميه في كافة الجوانب الروحيه والخلقيه والعلميه والعملية ، التي استقى منها العالم والتي لازالت رغم معاول الهدم المستمر تعمل عملها في الأمم وفي النفوس إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً .

الباب الثالث

تزيف حقائق الإسلام

(مهمة الاستشراق والتغريب)

الفصل الأول : إزالة التميز الإسلامي الخاص والذاتية الإسلامية .

الفصل الثاني : تزيف حقائق الإسلام .

الفصل الثالث : قضايا الاستشراق .

الفصل الرابع : المدرسة والمناهج التعليمية .

الفصل الخامس : الجامعة وتبعية المناهج الجامعية .

الفصل السادس : (١) تغريب الأزهر .

(٢) قضية التطوير .

(٣) المدرسة الحديثة وانفصالها عن الأزهر .

الفصل السابع : مدرسة الترفيه والتسلية .

الفصل الثامن : (١) مدرسة الصحافة .

(٢) تجاوزات الصحافة السياسية .

(٣) كيف أفسد التغريب الصحافة .

(٤) الصحافة وكتابها التاريخ .

(مدخل)

أربع مؤسسات خطيرة استحوذ عليها النفوذ الأجنبي من أجل تغريب الفكر الإسلامى وإثارة الشبهات حوله وضرب الأمة الإسلامية في مقاتلها وتشويه خطواتها نحو تحرير وجهتها وامتلأك إرادتها تلك هى :-

(١) الاستشراق : المؤسسة الصانعة لكل السموم والشبهات .

(٢) المدرسة عن طريق التعليم .

(٣) المدرسة الموازية عن طريق وسائل الاتصال والتسليّة .

(٤) الصحافة بسمومها المبتوثة يومياً في الخبر والقصة والصورة .

* * *

وقد جرى الاستشراق طوال قرن ونصف إلى هدفه عن طريق أساليب مختلفة ووسائل متعددة ، وانتقل من التعصب إلى المكر ، ومن القسوة إلى الخداع وكون أجيالا ، وترك تراثا ضخما ، مبشوثا في شتى مجالات الفكر واللغة والعقيدة ما يزال مرجعا أساسيا في كثير من المدارس والجامعات ، ومصدرا للباحثين من الطلاب الذين يفرض عليهم أسانذتهم مراجع معينة تمثل وجهة نظر معينة فالدارسون في الولايات المتحدة تغلب على مراجعهم الاستشراقية أهواء الصهيونية وسمومها ، وفي الغرب تغلب مفاهيم فصل الدين عن الدولة وفي الاتحاد السوفيتى تغلب نظرية التفسير المادى للتاريخ والحياة والسكون ، وكلها نظريات مضادة لمفهوم الإسلام وحقائقه ، فنحن اليوم بين تيارات استشراقية صهيونية وماركسية وغربية رأسمالية بينما لا ينفصح المجال أبدا لوجهة النظر الحقيقية لهذه الأمة الممثلة في مفهوم الإسلام .

* * *

٢ - إن أكبر عوامل التزييف التى تبدو على الساحة الفكرية اليوم هى : عرض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال وجهة نظر : إما رأسمالية غربية أو اشتراكية ماركسية مع تجاهل شديد وتآمر صامت على وجهة النظر

الاصيلة لهذه الامة ، الى تتبع من قيمتها وتراثها في مسائل تتصل بمجتمعها وعتيدتها : تلك هي وجهة نظر الإسلام .

في الجامعات تدرس القضايا من خلال الرأىاية أو الماركسية . وفي مجال الاقتصاد أو علم النفس أو التاريخ أو الادب لانجد لإاهذه النظريات الوافدة ، تلك التي جاتتنا مع النفوذ الغربى والأخرى التي تسربت إليها في فترة الظلال الماركسية ، وما يجد شبابنا فرصة أو بادرة تكشف له وجها آخر لهذه القضايا غير هذين الوجهين ، فلا يعلم أن هذه القضايا في بلاده يمكن أن تدرس بأسلوب عربى إسلامى مسقمد من تاريخ يمتد خمسة عشر قرنا ومن حضارة باذخة ومن فهم إسلامى جامع قدم خبرته وتجربته في مختلف هذه المجالات ألف سنة كاملة للبشرية كلها وقامت على أساسه الحضارة الغربية المعاصرة .

٣ - ومن الظواهر الواضحة أن الكتاب الشيوعيون المتسمون الآن باليساريين سواء فيهم اليساريون الخالص أم اليساريون المتمسحون بالإسلام ينشون في كل مكان وفي كل مؤتمر ، عشرات المؤتمرات تعقد المغرب تحت اسم (التراث والفكر السياسى) وفي أماكن أخرى كثيرة يحضرها أمثال أحمد بهاء ، وكامل زهيرى ، حسن حنفى وخلف الله . الخ ، ويتحركون في حرية تامة وينشون في هذه المؤتمرات مفاهيمهم المسمومة ويتعرضون للإسلام في استهانة شديدة .

وترى أمثال محمد جابر الانصارى في مجلة الدوحة ، وأغلبهم يتحرك فكراً ماركسيا ، ومدرسة العلوم الاجتماعية ، ويتخفون تحت أسماء ورايات مختلفة وفي مؤتمر المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الذى يشرف عليه عليه الدكتور أحمد خليفة تراهم ظاهرين بشكل يدهش له القارىء ، فهل لم يعد هناك باحثون اجتماعيون في مصر غير هؤلاء ذوى الولاء المنحرف ، ومؤتمرات العروبة والمشروع العربى الحضارى في بيروت نجد أسماء كثيرة تتكلم وتتحدث وتحاول أن تضى على العروبة قداسه وإعلاء وخاصة من المتحدثين باسم البعث والناصرين وكتاباتهم ذات هوى ، ومفرغة من الايجابية ، وخالية من نهالاج

العلمي ، وهي عبارة عن إمشاح تكشف عن سخرية بكل القيم العربية والإسلامية ومحاولة دائبة تعمل على تحطيم هذه القيم والسخرية بها .

وهناك مؤتمرات ترمى إلى احتواء مصر والعالم العربي في مجال التكنولوجيا والقضاء على الهوية . .

٤ — ونجد الآن أن دراسات مصر تقدم من وجهة نظر أصحاب المطامع :
فإذاعة إسرائيل تدرس مصر من خلال كتاب صحبي وحيدة (المسألة المصرية) وتعيد كل ما جاء فيه محققا لما تريد أن تذيبه عن تاريخ مصر في مختلف العصور ، محاولة إعطاء مصر قدراً من التميز وتصوير ماتحملة في مواجهة التناثر بأنه جهد في سبيل العرب وليس ذلك صحيحا فإن مصر كانت تدافع عن المنطقة باسم الإسلام وليس لحساب العرب ولا لغيرهم واسكنها محاولة خلق المغالطة : نفس المغالطة التي يتحدث عنها أمثال محمد عمارة والماركسيين الذين يتمسحون في الإسلام .

وهكذا نجد أن محطة إذاعة لندن تقدم كتباً عن مصر والعرب والإسلام تحمل وجهة نظر رأسمالية ، كما أن محطة إذاعة موسكو تقدم كتباً من كتابات اليساريين ، وإسرائيل تقدم وجهة نظر تتفق مع مطامعها ومفهومها عن الصهيونية .

أما وجهة النظر الحقيقية : وهي مصر في مكانها الإسلامي فهذه الكتب تتجاهلها جميع محطات الإذاعة العالمية لأنها لا تقدم ما تريده أو ترغب فيه .

الفصل الأول

إزالة التمييز الإسلامي الخاص والذاتية الإسلامية

هي هدف مخططات الاحتواء والتغريب

لقد خطا الفكر الإسلامي خطوات واسعة في السنوات الأخيرة في طريق
الأصالة وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم وبناء القاعدة الأصلية لقيام المجتمع
الإسلامي وتجديد الحضارة الإسلامية على الرغم من كل المؤامرات التي تقوم بها
القوى الغازية في الغرب في ضرب الصلوة الإسلامية واحتواء المد الإسلامي ،
وتأخير انتقال المسلمين من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة .

ومع ذلك فقد استطاعت الدعوة الإسلامية أن تخترق التغريب والغزو
الثقافي بقوة لأنها على الفطرة ولأنها تدعو الناس إلى الحق وأنها تلمتص نور الله
تبارك وتعالى في هذه الوجهة ، ولقد بلغ التغريب غايته في مرحلة ما بين الحربين
حين أسقط الخلافة وأقام إسرائيل كرأس جسر في قلب العالم الإسلامي
ثم حين جاءت الدعوة الإسلامية فتنازل المد التغريبي وبدأ عصر جديد من
اليقظة ينفذ بضوئه الباهر من خلال تلك الظالمات وكانت عمليات العدوان
الضخمة التي قامت بها القوى التغريبية لتحطيم هذا البناء الجديد ومع ذلك
بدت عاجزة أن تقضي على الإيمان العميق والعمود القائم والأحرار
على الحق .

وقد تحركت الدعوة الإسلامية في ميادين الفكر في قوة وأصالة فاستطاعت
أن تكشف زيف الممارسات المسمومة التي قدمها التغريب والاستشراق ،
وتواجهها بصورة باهرة من مسطيات الإسلام .

ثم جاءت نسكسة ١٩٦٧ فكشفت للناس أن طريق التغريب والغزو الثقافي

الداغى إلى أسلوب العيش الغربى من خلال المهجرين الغربى الرأسمالى والماركسى كلاهما باطل فإن النفس المسلمة قد رفضت الجسم الدخيل وتبين أن هناك طريق واحد هو طريق الاسلام .

ففى ثلاث ميادين عمل التغريب للقضاء على الروح الاسلامية القائمة على التوحيد الخالص والعدل والرحمة والاخاء البشرى :

أولاً : تزيف حقائق الاسلام (عن طريق الاستشراق والتبشير والشعوبية).

ثانياً : تدمير المجتمع الإسلامى : وذلك بتزيف مفاهيم السياسة والاجتماع والاقتصاد والقربة .

ثالثاً : تمزيق الوحدة الاسلامية ، وتفتيت الجامعة التى تجمع المسلمين بإشاعة مفاهيم القوميات والاقليميات بمفهومها الغربى .

لقد استطاع النفوذ الغربى عن طريق التعليم العلمانى المفرغ من الاسلام وعن طريق دعوة القومية والاقليمية أن يحقق أهدافاً كثيرة :

أخطرها تعميق الفجوة بين المسلمين (عرباً وعجماً) بحيث يبدو وكأن المسلمين قد استسلموا لمفهوم القومية الغربية فى إقامة حاجز من العداء بين العناصر الاسلامية .

وثانياً : قبول الامر الواقع والرضا بالحلول الجزئية دون قيام العزيمة التى شادها الاسلام فى النفس المسلمة مع أن الخطر ان يتوقف وان يلبث أن يلحق بأهل الحيدة وذلك معناه غيبة مفهوم وحدة الأمة الاسلامية والمفهوم الاصيل فى دعوة الاسلام إلى المrapطة والمواجهة الدائمة لأى مغبة من العدو للأمة الاسلامية فى أى جزء من أجزائها .

ثالثاً : قبول موقف الغرب المؤيد لإسرائيل ضد العرب والمسلمين دون القدرة على اتخاذ موقفه النبهذ على سواء ، الذى دعا إليه الاسلام ، والاستسلام للغرب فى موقفه الذى جدد وأصر عليه من أن تكون إسرائيل هالكة للقوة

المتفوقة على القوة العربية جميعاً مع أن العرب يملكون من القوة والطاقة والثروة ما يمكنهم من تحديد موقفهم .

إن هدف النفوذ الغربي في مخططة كله خلال عراحله الثلاث : الاستعمار ، الغزو الثقافي ، التغريب — إنما يرمى إلى تأخير إمتلاك المسلمين لآرادتهم وإقامتهم مجتمعهم ، والمحاولة الأساسية التي يجرى حولها عمل الاستشراق والتبشير هو إزالة التميز الخاص والذاتية الإسلامية وذلك يهدف صهر المجتمعات الإسلامية في بوتقة الأمية واحتوائها وتغيير هويتها وذاتها ووجهتها حتى تسقط في دائره الاحتماء والخطة هي إخراج المسلمين معه منهج حياتهم ، فإذا تم هذا فقد وصل النفوذ الغربي إلى غايته .

ولكن الدعوة الإسلامية المستمدة من التوحيد الخالص والقائمة على مفهوم القرآن الحى الذائع القائم الممتد الذى لن يخفت ولن يضعف ولن يزول قادره على أمرين :

أولاً : قادره على استعادة أصالتها بعد مراحل من التبعية .

ثانياً : قادره على تقديم نماذج قيادية جديدة تحمل لواء النهضة .

وآية العقيدة الإسلامية هي القدرة على المقاومة وبقاء عامل الحفاظ على الكيان فى مجالات : العقيدة واللغة والتاريخ ، وذلك عن طريق المراقبة والاستعداد لمواجهة أى غزو خارجى ، وتصحيح المفاهيم وكشف زيفها وتقديم مفهوم الإسلام الأصيل والخروج من دائرة التبعية والاحتواء ، والارتفاع فوق أزمت الغزو ، وامتلاك الإرادة ، واستئناف العطاء الحضارى بعد توقفه .

ولما كانت الحضارة الإسلامية تقوم على التوحيد والعدل والرحمة والانخاء البشرى فإنها قد تتوقف عن العطاء ثمة ، تحت تأثير متغيرات الظروف ولكن هذا التوقف يختلف كثيراً عن الاندثار والتشتت أو عن الجحود .

ولقد استطاعت الحضارة الإسلامية أن تبقى قادرة على البث والعطاء ، بعد زوال السلطان السياسى للإسلام ، وهذه ظاهرة لا تتمتع بها حضارات كثيرة سقطت بسقوط السلطان السياسى .

وبنى العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر ضغط التغريب والغزو الثقافي في ميادين الرأسمالية والصهيونية والماركسية ضغطاً شديداً ووقع العالم الاسلامى في بعض أجزائه تحت تأثيره ولكن التجربة أثبتت فشل القدرة على الانصهار واستطاعت الأمة الإسلامية أن تقاوم وأن تعلن أن هذه الابدولوجيات والمعطيات التى وضعت في قوالب علمية زائفة أو حضارية براقية ، ليست هى ما تقبله النفس الإسلامية أو ترغب إليه ، فهى لا تنهق مع طابعها وذاتها التى بناها القرآن أربع عشر قرناً وقد استطاعت اليقظة الإسلامية أن تتحرك في إيجابية وقوة .

في مجال الثقافة : من التبعية إلى الأصالة .

في مجال المجتمع : من العلمانية إلى الإسلام .

في مجال الحضارة : من التوقف إلى العطاء من جديد .

في مجال بناء الأمة : من اليقظة إلى النهضة .

وإذا كانت هناك ظواهر انحسار جرت في القرن الرابع عشر ، ومطالع القرن الخامس عشر نتيجة حملات القوى التغريبية ، مثال الدعوة إلى تحديد النسل ، والعلمانية في الحكم ، وفساد معطيات الفنون والآداب ، وتغليب القانون الوضعي والقومية المفرغة من الإسلام والاقتصاد الربوى والتعليم العلماني فإن هناك مؤشرات قوية تدل على أن جوانب كثيرة من هذا الاظلام يقع تحت دائرة الضوء الكاشف فقد جرت تحولات كثيرة نحوفهم جديد للإسلام .

فهناك تصحيح لأفكار مفروضة تنكر دور الإسلام في النهضة الحديثة .

وهناك أفكار تكشف عن معطيات القرآن الحقيقية يدل عليها العلم الحديث ،

وهناك تزييف واضح النظرية دارون ولنظرية فرويد ولمفاهيم الماركسية وما كشف في مجال اللاهوت وما صححه الكثيرون عن معطيات التراث

الإسلامي وسقطت قلاع كثيرة : القومية ، الاشتراكية ، الرأسمالية من وجهة النظر العلمية .

وقد اتسع نطاق المعطيات الإسلامية في مجال الاقتصاد والتربية والعلوم السياسية والتاريخ وكان أكبر هذا العطاء في مجال تقنين الشريعة الإسلامية والجهود التي تبذل اليوم في مصر وبا كستان والأردن والسكويت وأبوظبي .

وكذلك في مجال أحياء التراث الإسلامي وأطروحات الجامعات والندوات الإسلامية التي عقدت في مؤتمر السنة والسيرة والملئقي الإسلامي الجزائري وندوات جامعة الإمام محمد بن مسعود ومؤتمرات الهند وبا كستان وغيرها هذا فضلا عن المؤلفات الإسلامية والمجلات الإسلامية التي أبرزت عدداً كبيراً من الأسماء الجادة المخلصة .

الفصل الثاني

تزيف حقائق الإسلام

إذا حددت مهمة الاستشراق الحقيقية فهي العمل على تزيف حقائق الإسلام وتزيفه من محتواه الحقيقي وجوهره الرفيع . وقد عمل الاستشراق في جميع الميادين على بث سمومه ، وقد مر الاستشراق بمراحل متعددة ، وحاول أن يغير جلده بعد الحملات المكثفة التي كشفت زيفه ، وتلك طريقتهم في التحول من أسلوب إلى أسلوب مع الاحتفاظ بالغاية الأساسية والهدف الأول .

ولقد حاول الاستشراق في العقود الأخيرة أن يعزز وجوده بأن أدخل في دائرته مجموعة من المبشرين المتعصبين ، الذين حاولوا في كتاباتهم الاعتدال وأبرز طابع التسامح كما أنهم أدخلوا أساليب جديدة منها : أسلوب الحوار الذي تبنته الكنيسة الكاثوليكية ، ولا ريب أن الاستشراق مرتبط بالاستعمار والنفوذ الأجنبي من ناحية وبالتعصب للفاهيم الدينية التي يعتقها المستشرقون وهو لا يستطيع أن يخرج عنها أو يكون قادراً لأن يرود افقا آخر أوسع منها ولذلك فهو لا يستطيع تفسير الإسلام إلا بالرموز التي عرفها في عقيدته ، وهو الآن يجرى مع هدف واضح هو تثبيت الغايات التي يعمل لها وهي التي توجهه فهو يكون إفسكرة مسبقة ثم يبحث لها عن أدلة ، فإذا وجد أدلة ، لا تكفي جزئياً أو انتحلها أو غلط في تفسيرها لتكون متفقة مع وجهته ، فهو يصدر عن ثلاث علامات .

(١) تبعية عقيدته الأصلية (٢) الهوى الخاص (٣) الظنون والفروض

ولقد حاولت بعض المؤسسات الاستشراقية في العصر الحديث بعد أن تعددت كشوف الزيف التي قدمتها أبحاث الاستشراق إلى محاولة فتح صفحة جديدة تحت أسماء أخرى ، واسكنها كلها محاولات ترمي إلى تغيير الأسلوب دون تغيير المضمون لاستعمار خداع جماعات أخرى .

يقول الدكتور أحمد غنيم : إن ارتباط الاستشراق بالاستعمار أمر لا يمكن إنكاره تاريخياً انكاراً تاماً بمعنى أن الدول الأوروبية التي غزت بلاد الشرق غزوات استعمارية استعانت بما لاشك فيه بعض المستشرقين وكولت جماعات تبشيرية بهدف التعرف على تراث الشرق وتاريخه تمهيداً لاحتلال شعوبه وبلادها ، ولكن كان هناك الكثير من المستشرقين الذين ظلوا بعيداً بين عن التورط في الاشتراك في تحقيق الأهداف الاستعمارية . وبذلوا جهوداً عظيمة في سبيل دراسة الفن والتاريخ والأدب العربي تحقيقاً لأهداف علمية مجردة : إن المستشرق بالنسبة لأي بلد شرقى ليس إلا رجلاً أجنبياً يسعى لتحقيق أهداف علمية مجردة ، ويجب أن يمنح قدرأ من المساعدة وحرية الحركة في إطار البحث العلمى سواء في الأدب أو الفلسفة أو التاريخ أو غيره من الدراسات .

وهذا الدفاع من الدكتور أحمد غنيم فيه نظر فإن هؤلاء المستشرقين الذين وصفهم بأنهم لم يعملوا في مجال الاستعمار عدد قليل وإذا كانت لم تصبهم التبعية السياسية فإنهم لا يخلون من التبعية العقديه لأديانهم ، وهى أديان تختلف مع الإسلام في أصول أساسية منها الإيمان بالصلب والخطيئة والتثليث وما يتبع ذلك من فلسفة هويته من شأنها أن تؤثر في فهم الأدب العربى والتاريخ الإسلامى القائم على مفهوم عقيدة أخرى قوامها التوحيد الخالص ، كذلك فإن عدم تبعيةهم السياسية لا يخلى أنفسهم من الإيمان بالاستعلاء الغربى الذى يؤمن به الجنس الأبيض ويعتقد أنه صانع الحضارة وإنه ممتاز عن الشعوب الملونة . وإن هذه الشعوب جاءت خادمة له فهو لا يخلو من هذا الإحساس في نظراته إلى المسلمين وتأتى بعد ذلك مساله أخرى لها أهميتها في البحث وهى التجرد للعلم وهذا مالا يقع للباحثين الغربين الذين يخضعون دائماً - وخاصة في الأبحاث الإسلامية - إلى الأهواء وإلى الظنون والفروض وإلى عدم القدرة البينانية التى يفهم بها العربى بلاغة النصوص الإسلامية ولهم في هذا تفسيرات مضحكة .

وهم دائماً يعلون من شأن جوانب معينة في الفكر الإسلامى

كأعلامهم للمعتزلة والفلاسفة والتصوف والفلسفي لأنهم يرون أن هؤلاء جميعا كانوا تابعين لمدارس الفكر اليوناني القديم ، وهم كذلك في البحث عن الآثار بقصدون موازنة التوراة والمكتشف عن الآثار الصليبية ، والحضارة الرومانية ، وهم في أعق أعماقهم يرون أن أي (أنصاف) للحضارة الإسلامية يكون بعيد الخطر في الغرب فهو يقرب الإسلام من أولئك الحيارى الذين سقطت المذاهب والابدولوجيات القائمة في نظرهم وعجزت عن العطاء . أنهم لا يرون تأييد أو إعلان الاعجاب بالتراث الإسلامي لأنهم يخشون انكشاف نظريات مازال الغرب يستعلي بها وهي مأخوذة من العلوم الإسلامية ، أو إعلاء شأن عظمة القوانين الإسلامية التي قدمتها الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي لأنها تكسب للإسلام في الغرب انصاراً وهناك غاية مضمرة في نفوس المستشرقين هي حجب عظمة الإسلام عن الغربيين أنفسهم ، وذلك حتى لا يزحفون نحوه ، وقد بما عارضوا العائدين من بلاد الإسلام بعد الحروب الصليبية ممن تحدثوا عن عدل المسلمين ولعل ما أورده الدكتور أدوار سعيد في كتابه الاستشراق الذي صدر قريباً في الغرب يصدق ما أوردناه : يقول أن عدد المكتب التي تعالج الشرق العربي والتي صدرت بين ١٨٠٠ - ١٩٥٠ تقدر بستين ألف كتاب وأن الاستشراق مدين كلياً بالعدوانية كاداة ثقافية - يقول أدوار سعيد : أن ما يحدث في حركة الاستشراق من تغيرات فهو ظاهري ومصطلحي لا يمس هذا الجوهر الثابت الخالد المستقل ابداً ، أن الاستشراق يخضع مدارسه واتجاهاته ودراساته وتخصصاته : حيث تلتقي بنظرة استعلاء على الشرق وترى فيه الدونية وتدعو ضمناً أو صراحة إلى ازدرائه ولا يقف الباحث عند إعطاء المستشرقين كلهم هذه الماهية التي وصفناها بل يتجاوز ذلك إلى إعطائها إلى الأوربيين كلهم فرداً فرداً دون استثناء ، فمن الصحيح إذن أن كل أوربي هو عنصرى امبريالى شوفينى بشكل عام تقريباً في كل ما يقوله حول الشرق ويرى أن محاولة الاستشراق هي احتواء الفكر الإسلامي (وهذا ما كشف عنه هاملتون جب قبل نصف قرن حين ألف كتابه وجهة الإسلام عن غخططات تفريب الإسلام) ويرى أن الطلاب الذين يدرسون في أوربا (والولايات المتحدة) هم ضحايا هذا الاستشراق الذي يسود الجامعات هناك وبما أن الاستشراق يعلمهم فيها يعلمهم أن العقل العربي يتميز بالدونية عند

مقارنته بتفوق العقل الأوربي وبسمات ثابتة جامدة متخلفة خالدة تتناقض مع الحضارة الحديثة فإن معنى هذا أن المثقف العربي يلقح بهذا المفهوم الاستشراقى ويتبلور ويصبح كالأستشراقين مقتنعا بمعجز العربي عن دخول الحضارة الحديثة واستيعابها .

ولا ريب أن هذه هى إحدى المحاولات التى يقوم بها الاستشراق فى سبيل هدفه الخفى ، وهو خلق روح اليأس من الذاتية الإسلامية على نحو يدفع أصحابها إلى القاء أنفسهم فى أحضان الولاء والتبعية الغربية . وذلك بما يؤكد أن الاستشراق فى غاياته الحقيقية يرمى إلى التشكيك فى قوة المنهج الإسلامى وإضعاف العلاقة بين المسلم وبين الإسلام كدين وكمجموعة من القيم والمبادئ العليا .

ذلك أن سياسة القوى الأجنبية كما أشار إلى ذلك عدد من الباحثين لا ترحب بقوة الإسلام فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة ولا ترحب باتجاه الشباب فى هذه المجتمعات إلى الإيمان بالإسلام والتمسك به لأن قوة الإسلام تخلق لهذه القوى فى المجتمعات الإسلامية عداوة وعنفا فى سبيل استغلال ما فيها من إمكانيات اقتصادية وطاقت بشرية ، ولذلك فهى تروج لمفهوم إسلامى يوصف بالاستنارة والمرونة بقبول الربا وتحديد الفسول والزوجة الواحدة والعنصرية الإقليمية والقومية والاستعلاء التاريخى الإقليمى حتى فى مجال الإسلام نفسه ووضع قادة الفكر الإسلامى فى مجال الأبطال الإقليميين مع أن الإسلام هو الذى صاغ فكرهم وليس وطنهم أو قومهم .

ويعتمد الاستشراق فى هذا على الواقع الخاطيء المعاش وتمعينه ، واسوأ ما فى هذا الواقع ما عاش ما قام به الاستعمار من تمزيق وحدة العالم الإسلامى إلى قوميات وطوائف متناحرة ، وزين لهم الرجوع إلى نحل ما قبل الإسلام إمعانا فى إغاثهم بمزقين ومختلفين ، وأغرى بينهم العداوة والبغضاء حتى يحال بينهم وبين الدخول فى تجمع إسلامى يمكنهم من مواجهة النفوذ الأجنبى ولم يتوقف الغرب عند تمزيق وحدة الأمة الإسلامية بل فذفها بعدد من الأيدولوجيات والفلسفات حتى لا تلتقى على رأى واحد وجعل لها ولأمرىكى وفرنسى وبريطانى وولاء ماركسى ورأسمالى . ومن مهمة الاستشراق تخدير الخلق الغربى فلا يتأثر بتشريد شعب فلسطين ولا بمظالم الحكام الطغاة ، بل ينظر إلى هذه المأسى وكأنها

نتيجة طبيعية لعملية تصنيع وتمديد الشرق والشرقيين بل يدعى مروجي المستشرق اليهودي أن منطقة الشرق الأوسط لا تشكل قوة سياسية وليس هناك ما يشير إلى أنها ستصبح قوة سياسية ذات أهمية .

هذا فضلا عما يحشو به الاستشراق لكتب التاريخ التي تدرس في الثانوية في أمريكا وأوروبا من معلومات خاطئة حيث يتعلم الطالب أن الإسلام دين وثني صحرأى . . الخ .

يقول الدكتور فؤاد سيزسكين أن الاستشراق يقوم بمهمتين خطرتين :
الاولى : الافتراء على التاريخ الاسلامي وغطط الإسلام حقه والتقليل من أهميته وفعاليته .

الثانية : إنكار فضل العرب والادعاء بأن نهضة العلوم كانت نتيجة أحدها من اليونان وهم بهذا ينكرون المنجزات العلمية العربية وينكرون تأثيرها المباشر عليهم ويقول : إن الغرب بدأ يأخذ ويتمثل العلوم العربية منذ القرن العاشر الميلادي واستمر الأخذ حتى القرن الخامس عشر الميلادي واستطاع خلال ذلك أخذ ما أنتجه العرب والمسلمون .

وتحدث الكثيرون عن خطة الاستشراق وآثارها المدمرة :

(١) القاء الشك والحيرة في نفس المسلم المثقف .

(٢) نقد جوانب معينة في الإسلام في إلحاح مرتب حتى يثبت في الأذهان مفاهيم مشوشة .

(٣) نقد مبدأ تعدد الزوجات .

(٤) قيام مدرسة فكرية ترمي إلى تبرير واقع الحضارة الغربية والمجتمع الغربي وما ينتظمه من أفكار ونظريات وذلك بمحاولة تفسير الإسلام تفسيراً عسرياً يلائم الفكر السائد وتقديم نظريات مضللة في قضايا الجهاد ، الحدود ، الربا ، التنازل ، الطلاق ، تعدد الزوجات وأخطر ما في ذلك هو إنبعاث الفكر التغريبي على لسان المسلمين أنفسهم تحت اسم (التيار الإسلامي المستنير) ليكون أكثر تأثيراً من كتابات المستشرقين .

(٥) إشاعة قصص الجنس والكشف التي يشجع على المسكرات والمخدرات والقهز والشذوذ والمراقص والتثيل الماجن وقيام الصحافة على تبرير

الفساد وتشجيع طرده وفتح الثغرات والأبواب مما يؤدي إلى كسر الحواجز النفسية وهدم الفضائل الخلقية التي كانت تمسك الناس وتشكل مظلة عامة للأدب الإسلامية .

(٦) المناهج العلمانية الدراسية التي ترمى إلى تخريج أجيال مقطوعة الصلة بدينها العظيم ، تقوم على خلق مثل أعلى غربي باعلاء شأن الأبطال الغربيين والاعتزاز بالناريخ القديم كالفرعونية والفينيقية والطورانية مع الترويج للغات الأجنبية في الهند والجزائر واندونيسيا .

(٧) الممتازون يسافرون إلى أوروبا وأمريكا للتشكيلهم وتوجيههم : ويستعمل في هذا المخطط سيل المطبوعات والكتب التي تمجد الغرب والصحافة الوافدة التي تشمل على أحاديث الجنس الفاضحة والصور العارية والنقد الجارح .

وأخطر ما في مؤامرة الاستشراق أن هناك ثلاث تيارات : غربية وماركسية وصهيونية وأن كل واحدة لها أهداف وغايات : وكل منها تعمل في مجال خاص وهي في جملة ما تعمل على إضعاف الروح المعنوية بين المسلمين وأبعادهم عن معتقداتهم وتغذية أفكارهم بالشك في دينهم وإغراء المسلمين بالمفاهيم المادية وتسريب الفلسفة المادية المنمقة إلى عقول ومفاهيم المسلمين من الجبل الجديد حتى يترافق لهم أن المفاهيم والتعاليم الإسلامية أصبحت بالية عقيمة ولا تستطيع مسايرة العصر الحاضر وإحياء تراث ما قبل الإسلام للاعتزاز به وتأيد كل الذين يكتبون للاحياء النزعات والدعوات التي قضى عليها الإسلام .

الفصل الثالث

قضايا الاستشراق

توزع المستشرقون في ميادين مختلفة بحيث صنعوا تغطية كاملة لآفاق الفكر الإسلامي وقد زرعوا الشوك في هذه الميادين جميعاً ، وترمي الشبهات الماثرة إلى ضرب هدف واضح أساسي في الفكر الاسلامي وأثارة الشبهات حوله :

ومن هنا نجد جولدزيهر يوجه شبهاته نحو القرآن الكريم والشريعة الإسلامية وهو في كتابته التي ترجمها مسلمون دون العناية بالرد على ما جاء بها :
هذه التفسير الإسلامي : والإسلام عقيدة وشريعة :

نجد عديداً من هذه الشبهات وهو في مختلف ما يعرضه من قضايا متعصب يهودي الهوية يحرف القول ويرمي القرآن بسهام مسمومة . قد حاد عن الجادة وتكذب الصراط السوي وجانبه الترفيق فيما نورط فيه من أخطاء كما أشار الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه القراءات وفي رده عليه فهو يحاول أن يصف النص القرآني بالاضطراب وعدم الثبات ولا ريب أنه ضال مضل في اقترانه هذا فإن النص القرآني لم يعثره ومحال أن يعثره اضطراب أو ينزل لساحته قلق لأن معنى الاضطراب والقلق وعدم الثبات في النص القرآني أن يقرأ النص على وجوه مختلفة وصور متعددة ويكون بين هذه الصور تناقض في المعنى وتعارض في المراد وتضارب في الهدف وهذا منفي عن القرآن قطعا فإن الروايات المختلفة والوجوه المتعددة التي تواردت على النص القرآني لا تناقض فيها ولا تعارض في معانيها ولا تضارب في المراد منها بل كلها يظاهر بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض .

ولا ريب أن ما كتبه الشيخ محمد الغزالي والدكتور بنت الشاطيء في الرد على جولدزيهر عن كتابه الذي نشره له بالعربية الدكتور طه حسين (العقيدة والشريعة) يدحض هذه السموم النافعات .

وقد ركز الاستشراق على علم أصول الفقه وعلى الفقه نفسه ، فقد تعرض هذا العالمان للمد الاستشراقي في الحاق المغيرض ، باعتبارهما الركائز الأساسية للإسلام ، وهم في هذا المجال عمدوا - كما يقول الدكتور عجيل العشمي إلى إبراز كتب الخلاف وبنوا علماً مروونه الشريعة إلى حد وصل في نهايته إلى أن أحكام الشريعة بنيت على الهوى أو يمكن أن تبنى على ذلك ، فهم :

(أولاً) قد صوروا الخلاف بين علماء الأمة على أنه خلاف في الأصول لا في الفروع .

(ثانياً) ادعوا أن الاستنباط الفقهي قد توقف لأن أحكام الإسلام كانت صالحة لفترة معينة أغلق باب الاجتهاد بعدها والغاية من هذا الادعاء المضلل الوصول إلى القول بأن على المسلمين أخذ أحكام الحوادث المستجدة وفق منظور الفقه الغربي .

كذلك فإن كتاباتهم في أصول الفقه مع قلتها تحمل من الخطورة مالا يقل عن خطوره كتاباتهم في العلوم الإسلامية الأخرى ، فإن لإرائهم المشوشة في العقيدة الفكر الإسلامية - على حد قول الدكتور عجيل العشمي - إنما بنيت على نظرتهم وتصورهم الحقيقي لمصادر التشريع الإسلامي التي تسكفها كتاباتهم في أصول الفقه وهم في هذا يصدر عن (١) سوء النية المبينة المكشوف (٢) الفصل بين الأدلة والأحكام وذلك مسلك خاطيء علمياً ، ذلك لأن علم أصول الفقه عنوان للأدلة الموصلة للإحكام أو للأحكام المبينة على الأدلة فهم في لازم الأمر وحقيقة شيء واحد ، وقد أدى مسلكهم هذا في الفصل إلى الجهل بعلاقة صلة الأحكام بالأدلة مما أوقعهم في استنتاجات خاطئة لا يقرها منطق علمي سليم ، ذلك أن الأدلة مقصودة لذاتها للتوصل إلى الأحكام الشرعية خاصة فينبغي النظر لكليهما في آن واحد .

كذلك يؤخذ عليهم تلون كتاباتهم باللون السياسي الاستعماري الحاقط وأخذت السكتابات حول واقع المجتمع الإسلامي تبرز بصورة براققة على أنها هي الإسلام والإسلام هو المشكلة .

وقد ساعدتهم على ذلك ما كان يعيشه المجتمع الإسلامي وقتها من مشاكل

كبيرة فقد كانت الاضطرابات والثورات متلاحقة في العالم الاسلامي الممزق وهي في جملتها متأثرة بالماطفة الدينية وبالسياسة وتنطلق من منطق العداء للإسلام ، وهي في أغلبها تدور على سوء الظن بالإسلام والمسلمين والتقليل من شأن الحضارة الاسلامية والتشويش المتعمد على العلوم الشرعية الاسلامية وتشكيك المسلمين في دينهم بإثارة الشبهات المختلفة عن العقيدة أو الشريعة أو الفقه أو التاريخ وعموم العلوم الاسلامية ، فقد بدأ الاستشراق في أحضان التبشير وبعد ١٨٨٠ بدأ الدس والطنن المكشوف والمعلن وتخصص لهذا كثير من المبشرين وغيرهم .

أما ما قيل عن موضوعية المستشرقين فقد انقلبت نارا حامية على الاسلام والمسلمين عند ما حى صراع الاوربيين على ما يسمى بالمسألة الشرقية مع بداية القرن التاسع عشر ويعنون بها مسألة دولة الخلافة مع استانبول ولكن لانه هدو للعلم والتقدم والحضارة فأخذوا يصفون بالاسلام بأنه رجعية وأخذت كتاباتهم تصور الاسلام في هذا الثوب الرجعي .

بالنسبة لكتابات المستشرقين عن القرآن فقد اتسمت بإبراز المتشابه منه والقراءات الشاذة وتأويل الايات وتحميلها أكثر مما تحتمل موافقة للرأى والهوى ، كما أبرزوا اختلاف وجهات النظر بين المبشرين وما إلى ذلك من منهج يرمى إلى التشكيك والتشويش في مجال الدراسات القرآنية ولم يكن حظ الحديث وعلومه بأقل من ذلك بل أن مجالهم فيه أكبر وأوسع رحابه ، الأمر الذي مكنهم من إغراق المكتبة الاستشرافية . بواقر من الكتب التي تشكك في السنة شكلا وموضوعا فطعنوا في طريق جمع السنة وفيما تحمله من تصورات تحالف ما جاء في القرآن بزعمهم .

وفي نفس الوقت جعلهم ذلك جاهلين بصفة الفقه بالاصول النقي هو الثمرة العلمية التطبيقية للأدلة ، إذ الاستنباط الفقهي وليد الأدلة التي بينها أصول الفقه ، كما بين طريقة استخدامهم للوصول إلى الاستنباطات الفقهية وأخطأهم استنتاجاتهم المبنية على عملية الفصل بين الأدلة والاحكام هذا الفصل خاطيء علمياً ومنطقياً .

(٢) وفي مجال آخر لا يقل خطورة نرى دعوى عريضة لايقاع الخلاف بين العرب والموالى اصطفاها فلوتن وآخرين وجعلوها قضية كبرى بهدف إثارة شبهات لم تكن موجودة في حقيقتها ولكن أريد بها في العصر الحديث ضرب المسلمين فرسا وتركوا وعربا بعضهم ببعض ، وقد تعالى فلوتن عن النصوص وجرى وراء أهوائه فهو يسوق رأيه في الفتوح الإسلامية وأثرها في المجتمع مؤكدا أنها كانت بالدرجة الأولى من أجل الغنائم فأدت إلى ثراء فاحش فافسدت المجتمع وأترفته وأغرت المسلمين بالمزيد من الفتوح للمزيد من الغنائم ، ويستند في هذه المعلومات إلى كتب تاريخية قديمة وقد استند في ذلك إلى نصوص مجزأة جمعها ولوى اعناق نصوصها وأوغل في فهمها وتفسيرها على نحو غريب . وهو يحاول أن يورد عبارة خاصة ليستخرج منها حكما عاما على نحو ساذج وماكر في نفس الوقت فهناك عبارة في الطبري تشير إلى حوار بين سعد بن أبي وقاص وخازن المال عبد الله بن مسعود بشأن قرض لم يتم ، فإذا به يأخذ هذه العبارة ليصور منها معنى بعيدا كل البعد عنها ، فيقول أن حالة الترف المتصاعدة الجأت بعضهم إلى الاستدانة بطريقة فذة من أجل إشباع رغباتهم . وكيف يفهم من نص الطبري أن هناك ظاهرة للاستدانة في المجتمع وأنها أصبحت وسيلة لإشباع الترف الذي شاع وأي نوع من الترف كان في مجتمع الكوفة عام ٢٦ هجرية . ونحن إذا نظرنا إلى الخبر بانصاف وجدنا فيه نغرا للإسلام إذ لا يستطيع والى الكوفة أن ينال من مال الجماعة الإسلامية إلا قرضا ثم كانت أمانة خازن بيت المال الذي لم يسعه السكوت وأن الحاجة أو الفاقة هي في الحقيقة التي الجأت سعد إلى الاستدانة .

ومعنى هذا خطير بالنسبة لفهم النصوص فهو ليس فقط يمثل المعجز عن فهم النص ، أو عدم الاحاطة بالنصوص الواردة في القصة الواحدة ، أو الخطأ في التفسير والتحليل ، ولكن هناك سوء نية وخدمة أغراض تنصيرية واستعمارية .

(٣) ويطرد الهدف الاستشراقي ويبدو واضحا : أنه يرمى إلى تشويه الإسلام دعوته ونبيه وتاريخه تحت ستار البحث العلمي واعتساف التأويل والإستنجا للوصول إلى النتيجة التي يهدفون إليها باسم البحث العلمي والعلم منها براء .

يقول جولد سير عن الرسول صلوات الله عليه وسلامه : فخذ ترك مكة
تغير الزمن ولم يعد واجبا بعد الاعراض عن المشركين أو دعوتهم بالحكمة
والموعظة الحسنة كما نزل القرآن بذلك في مكة بل حان الوقت لنتخذ سيرته لهجة
أخرى [فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم]
ويحاول بخبث منه أن يدعى أن منهج الدعوة الإسلامية تغير من اتجاه إلى اتجاه
وتناسى هذا المستشرق الخافد أن الجهاد الذي أعلنه الإسلام آنشد وأن الغزوات
التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم كانت ضرورية لبقاء الإسلام وبقاء
المسلمين ، وكان لابد بعد المعاناة من المشركين وما كابد المسلمون من المشركين
وهذا الظلم الذي أوقعه الكفار بالمسلمين ، وأن الهلاك والموت الذي كانت تحمله
قلوبهم وأيديهم يطاردون به الإسلام ، كان لابد أن يأذن الله للمسلمين بالقتال
بأنهم ظلموا في الدفاع عن عقيدتهم [أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله
على نصرهم لقدير] .

أما عن منهج الدعوة فإنه لم يختلف لحظة واحدة من الزمن ، كيف والذي
رسمه هو العالم الحكيم من فوق سبع سموات ، أن سمات المنهج الإسلامي في دعوة
الناس إلى الإسلام ثابتة لا يمكن بحال من الأحوال أن تتغير من مكان إلى مكان
ولا من زمن إلى زمن لأنها صالحة لكل زمان ومكان .

(٤) وفي ميدان آخر هو « رسائل النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى الملوك :
فقد حرص المستشرقون على ظاهرة التشكيك المتعمد لواقعه إرسال الرسول
ﷺ كتباً إلى ملوك وحكام الدول المجاورة للجزيرة العربية وقد وردت هذه
الكتب في صحيح مسلم وتاريخ الواقدي وفي سيرة ابن هشام وابن سعد في طبقاته
الكبرى وأضاف ابن القيم إلى ذلك أسماء رسل رسول الله إلى أولئك الحكام
وما حشد لهم مع من أرساوا إليهم : إلى المقوقس حاكم مصر : الصحابي حاطب بن
أبي بلثمة إلى العلاء بن الحضرمي ، إلى قيصر : دحية الكلبي ، إلى كسرى :
عبد الله بن حذافة السهمي ، إلى النجاشي : عمرو بن أمية الضمري ، كما أرسل
كتاباً إلى المنذر بن ساوى البصري إلى العلاء الحضرمي .

وقد أشار إلى تلك الرسائل المؤرخ الانجليزي ويلز واعترف ادوارد
جيبون بواقعة إرسال هذه الرسائل إلى هرقل في كتابه اضمحلال الإمبراطورية

الرومانية وبعد أكثر من ألف وأربعمائة عام شاء الله سبحانه وتعالى أن يكشف أكاذيب المستشرقين ويفصح أساليبهم الملتوية بعد أن ظنوا أن افتراءاتهم قد انطلمت على الناس فقد عثر البعض في الأردن سنة ١٩٧٧ على النسخة الأصلية للرسالة التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل قيصر الروم .

وثبت من لخص المادة التي كتبت بها الرسالة وهي رقعة من الجلد وكذلك من تحليل الخبر الذي كتبت به ومن دراسة الخط الذي استخدم في كتابة الرسالة والأقلام التي كتبت بها أنها جميعا أصلية لم يلحقها أى زيف فالرقعة من نفس النوع الذي كان مستعملا في التاريخ الذي أرسلت فيه . وقد جاءت قرية إنكار السكتب من المستشرقين التي أرسلها الرسول مقدمة لانكارهم وادعائهم بأن الإسلام ليس ديننا عالميا ودعواهم الباطلة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل للناس كافة وإن الإسلام دين محلي خاص بالعرب فقط دون غيرهم ، كذلك قال لامانس ، وكاتيانى ، وسيديو ، وجولد سيهر الذى يزعم فى كتابه (العقيدة والشريعة فى الإسلام) أن القرآن من وضع الرسول وليس كتابا منزلا ويزعم أن رسالة الإسلام قومية محلية .

(أحمد على المجذوب)

(هـ) وهناك مؤامرة المستشرقين بالنسبة للطفل حيث يقول زوير فى كتابه عن الاطفال فى الشرق : أن العرب عنوا بفروع العلوم والآداب كلها ووضعوا منها عشرات ودهات الألوف من المؤلفات واسكنهم مع وفرة ما ألقوا وترجموا ، أهملوا أطفالهم وصغارهم واحداثهم فلم يضعوا كتباً لتعليمهم أو مطالعتهم . وقد نشر كتابه ١٩١٤ ولم يجسر أحد من أدبائنا على تزيف ما قاله ولم يأتنا أحد بكتاب واحد وضع فى صور الأدب الذهبية للصبان والنبات ووضع المرسلون الأمريكيون كتباً للاحداث وأهتم بالأمر فى العصر الحديث كامل كيلانى ومحمد الهراوى مع أن الإسلام عنى بتربية الطفل على آيات القرآن وأحاديث النبى ووضع المنهج الصحيح لذلك وهو منهج يختلف اختلافا واسعا عن الصورة قدمها الغرب للطفل كما جاء فى حكايات السوبرمان وجيمس بوند والمكورة وأفلام الجنس وأفلام

الجريمة ، فإن مجلة السوبرمان بمجلة صفراء تبحث عن مسكنات مختلفة يتلقفها الأولاد فتفسد وجهتهم العربية والإسلامية حيث يقدم لهم (طرزان) الرجل الأوربي القوي الذي يعيش في محافل وغابات إفريقيا وهو بطل آلاف القصص والأفلام التي تخدم الاستعمار .

والطعم الشهى الذي يقدم جيمس بوند بخلقه عالما زائفا يبعد الناس عن واقعهم الحقيقي ، رجل مؤامرات لا يتجلى بفضيلة ما لأن الغاية عنده تبرر الوساطة ، وغرور القوة وغرور الثراء وأن من أسوأ الآثار في نفوس أطفالنا المسلمين ما أتت به مجلة سوبرمان وغيرها من مجلات .

الفصل الرابع

المدرسة والمنهاج التعليمية

كان الاستشراق هو مصنع الشبهات ، وكانت المدارس والارسابيات والمنهاج التعليمية التي فرضها النفوذ الغربي على البلاد هي الحقل الذي اختبرت فيه هذه السموم وادخلت إلى القلوب والعقول الإسلامية لافسادها وتسميمها ويشويه وجهتها من الفطرة النقية إلى المادية والوثنية والاباحية بهدف تشكيل أجيال جديدة منقطعة الصلة عن دينها وأخلاقها وتراثها ولغتها وقيمها .

هذا الخطر الذي بدأ في مرحلة الاحتلال الأجنبي مازال ممتدا في مرحلة الاستقلال وفي مراحل التبعية التي تلت بعد ، والتي كان من المفروض أنها ترمي إلى تحرير الاوطان من التبعية ، ولكن الظاهرة الخطيرة أن صيحات الزعماء كانت تجرى للتحرر من النفوذ الأجنبي السياسي والعسكري في نفس الوقت الذي تزداد التبعية للفكر الاجتماعي والاقتصادي والتربوي الغربي .

ذلك لأن الذين تصدروا القيادات كانوا قد نشأوا في إطار الأسلوب الغربي في التعليم فهم أوليائه المعجبون به .

وفي العهدين التابعين للاستعمار ظلت تبعية النظام التعليمي للغرب والفكر الوافد وبقيت فيه جميع محاذيره وخاصة ازدواجيته بين المفهوم الإلزامي للعقيدة والمفهوم المادي للعلم وفي مقدمة ذلك نظرية دارون التي تخالف مفهوم الإسلام ، ونظرية فرويد في علم النفس ونظرية دوركايم في الاجتماع ونظرية الماديين في تفسير التاريخ ونقد الأدب وتاريخه .

وقد كان حرص النفوذ الأجنبي على أن تبقى الأساليب التي وضعها فلولب لبناء عقليات ذات ولاء فكري غربي يركز على الإقليمية والوطنية وتغزو مواقف الزعماء الذين كانوا أولياء النفوذ الأجنبي من وجمال الاحزاب

السياسية الذين تصارعوا حول المطامع ، وقبلوا الاحتلال ونفوذ التفافى والاجتماعى على بلادهم .

وقد حدد الأستاذ سيد قطب أهداف هذا النظام التعليمى الغربى الذى وضع أساسا فى مدارس الارساليات التبشيرية . ثم نقل إلى المدارس الوطنية فى عدة أهداف :

الهدف الاول : تخريج أجيال مجردة من العقيدة الدينية أو مزعزة الإيمان على الأقل بالقيم الإسلامية ، وقد صاغ المواد الدراسية فى التاريخ والمطالعة بروح معادية للوجدان الدينى وبطريقة تخرج منها التلميذ والطالب وهو يعادى روح الدين وينفر من كل ما يذكره به حتى إذا طالب دعاة الدين فى الزمن الأخير تقرير دراسة الدين فى المدارس اصطدمت حصة الدين بكل رواسب الروح المعادية للدين فى المنهج كله ذلك أن روح المناهج والخطط المدرسية مازال إلى هذه اللحظة تسير على نفس الخط الذى رسمه دنلوب فى هذا الاتجاه ، لقد تخرجت أجيال كثيرة وفى أعماق مشاعرها هذا الشعور العداوى للأديان جميعا ، روح مادية مجردة من المشاعر الروحية . ولم يكن دنلوب يقدر أن الشيوعية ستزحف وأن الماية هى التربة الخصبة لبذور الشيوعية ، لقد كان الرجل مشغولا بتعطيم القوة التى يمكن أن يتماسك بها الشعب فى وجه الاحتلال الإنجليزى والتى تتماسك بها أخلاقه من مغريات الاستثمار الغربى على وجه العموم ، وقد كان طبيعيا أن الرجال الذين تتلمذوا على خطة دنلوب هم الذين يوجهون وزارة المعارف .

(الهدف الثانى) : من أهداف دنلوب وهو متصل بالهدف الاول — هو تخريج أجيال مجردة من الاعتزاز القومى ، أو مزعزة الإيمان على الأقل بالقيم المصرية والشرقية على العموم ، ومن هنا جعل كتب التاريخ ودروسه محلا لتعجيد انجلترا على وجه خاص وأوروبا بصفة عامة ، وفى الجغرافيا اهتم باغفال كل ما يذكر الطالب بوطنه أو بالشرق كله ، وتخرجت على هذه المناهج عشرات الاجيال مؤمنة بأوربا كافرة بمصر والشرق تحس بالضالة إلى جوار ذلك العملاق الضخم . — الرجل الأبيض — لقد بنى دنلوب ابرطورة الرجل الأبيض فى وجدان الآلاف وعشرات الآلاف من المصريين دون وعى وشعور وظل الشعور بهظمة بريطانيا وأوربا قائما فى وجدان الزعماء وبقية القتبى والفتاة يمجدون

انجلترا وفرنسا وأمريكا بإيمان العابد الذي يلحد في الله ولا يلحد في عظمته
هذا العملاق الموهوم الذي دسسته عنصرية دنلوب في إخلاد الألوف بعد الألوف .

(الهدف الثالث) : إقصاء كل الشخصيات التي يمكن أن تفسد عليه خطته
الرهيبية في مجال التوجيه بل في مجال التأثير في وزارة المعارف ومن هنا
حكم على جميع الذين لم يتشققوا ثقافة أوربية — أيا كان عملهم وأيا كانت
كفائتهم — أن يكونوا منبوذين من الوظائف الرسمية في الوزارة . أولا لكي
لا يكون لهم رأى في توجيه سياسة التعليم وثانيا لكي تتمن فيهم الثقافة
العربية والصفة الدينية فتظل محتقرة في مشاعر تلاميذهم فقد كان يرى
أساسا إلى تحقير الثقافة العربية الدينية وأبعاد من يمثلونها عن مراكز التوجيه

(الهدف الرابع) : تخريج أجيال مجردة من المشاعر الشعبية منعزلة عن كتلة
الشعب لكي يبقى القادة وهم المتعلمون في جهة وتبقى كتلة الشعب في جهة فلا يتق
القادة والشعب في مشاعر واحدة وأهداف واحدة في مستقبل السنين .

ومن ذلك عمد إلى إقامة عقبات السن والكشف الطبي والمصروفات في وجوه
الكثير وكلما كثرت الحوائل شعر الذين يجتازونها بأنهم طبقة ممتازة وشعر
العاجزون عن اجتيازها بالضالة .

(الهدف الخامس) تخريج أجيال مجردة من الثقة بالنفس ومن الشجاعة في
التعبية ومن القدوة على الابتكار والتعبير ، ولقد وضع النظام المدرسى ونظام
الديوان كما وضع المناهج والكتب وحدد العلاقة بين الرؤساء والمرءوسين وبين
الاساتذة والتلاميذ بطريقة معينة يحقق له تلك الاهداف الرهيبة .

وجاءت الموجة التالية من المصريين لتحمل أهداف كرومر وتمضى بها إلى
غاياتها فدعا لطفي السيد إلى منع التعليم عن الشعب وقصره على أبناء السراة
لانهم هم الذين سيحكمون مصر ، وأعلن سعد زغلول الاصرار على بقاء التعليم
باللغة الإنجليزية ورفض صحبات الوطنيين في استعمال اللغة العربية ، ثم جاء
ظه حسين ففتح الطريق واسعا إلى تعريب التعليم تقريبا كاملا ، ومهد السبيل

أمام مختلف الثقافات والعلوم والترجمات وفرض تعليم اللغتين اللاتينية واليونانية
بغير حاجة لإيهما على الجامعات وقدم مناهج تعليمية تغرى بإعلاء شأن الفنون
اليونانية كالحطابة وغيرها على العربية ثم دعا إلى منهج التعليم الفرنسي في صراع
ضخم بينه وبين إسماعيل القباني الذي كان يحتضن منهج ديوى والأسلوب
الأمريكي ومن قبل استمر الصراع بين الثقافين الفرنسية والانجليزية
أمداً طويلاً .

ثم فتح طه حسين الطريق إلى الفكر الصهيوني والفكر الماركسي جميعاً مع
أنه كان داعية الفكر الليبرالي الغربي وهذا هو الذى مهد للعصر الذى غلبت فيه
الشيوعية بكل سمومها وسوءاتها .

والقد كانت خطة الغزو الثقافى والتغريب فى مجال التعليم هى أشد الخطط
دماء ومكراً من حيث أن احتواء المسلم عقلياً وثقافياً هو العمل الأكبر الذى
يتطلع الغرب إليه من أجل صناعة أجيال تابعة مستسلمة ، منهرة ، ولقد عمد صناع
هذه المناهج على الفصل بين التراث الإسلامى وبين الثقافة المصرية وأقاموا بناء
التعليم على هذا الفصل بعد أن كان التعليم يرتبط بالدين والتراث ، فالمدرسة
المصرية فى مصر والبلاد العربية منفصلة عن التراث الإسلامى تستمد أصولها
الفكرية من العلم الأوروبى والثقافة الأوروبية ، وفى كل مواد الدراسة تبدأ عادة
بأصولها من الفكر الإغريقى ثم الفكر الرومانى ثم يشار إلى العصور الوسطى
كفترة جهالة وظلام ثم يجرى إغفال ما بعد ذلك إلى ظهور النهضة الأوروبية وبجاهل
الضياء الإسلامى الكاسح الذى عم العالمين حتى لا يعرف الطلاب بلادهم ولا أمتهم
ولا تاريخهم ، وهكذا يجرى بنشئته أجيال الشعوب العربية فى ظل التبعية
للفكر الغربى بعد انتهاء سيطرته الاستعمارية ومن ثم تنشأ هذه الأجيال منفصلة
عن تراثها العريق فلا يحيط الطالب المسلم بالفكر الاجتماعى الإسلامى (المتصل
بالاقتصاد والتربية والسياسة) عندما يدرس العلوم السياسية أو الاقتصاد أو
الاجتماع لأن المراجع الأساسية التى تقدم له ويدرسها ويمتحن فيها تسقط من
أصولها نهضة الإسلام وتسدل عليها ستار العصور الوسطى . ومن ثأى هذا
أن يوقع أبنائنا فى خطأ الاعتقاد بأن العلم الحديث إنما ينبع من تراث الإغريق

والرومان قبل العصور الوسطى ومن الفكر الأوربي في عصر النهضة وفكرة ما بعد النهضة وهذا ما يسمى بالتأصيل أى إعطاء الفكر المعاصر فى عالمنا الإسلامى عنصر الأصالة يربطه بجذوره التاريخية لتسكون هذه الحذور أصوله الفكرية النابعة من التراث .

ولذا استمرت الامة المسلمة مفرطة فى تراثها وفى أصالتها بمفهومها الحاطىء للعصرية عن طريق التقليد الأعمى فإنها تربط نفسها بذلك مع سفينة على وشك الفرق ولا بد أن تغرق معها .

ولذا كان لنا أن نتحدث عن أخطار المنهج الغربى فى التعليم لقلنا أن أخطر ما هنالك أن مفاهيم السياسة والاجتماع والاقتصاد التى تقدمها هذه المناهج تختلف مع مفاهيم الإسلام ، وهى مفرغة من الإيمان بالله ومن البعد الإلهى لحركة الحياة ومن أخلاقية الحياة .

ومنها خطر توحيد مناهج التعليم بين الرجل والمرأة ، وقصور التعليم على المفهوم المادى مع استبعاد المفهوم الروحى والمعنوى ، وعدم بروز الوجه العربى الإسلامى لمختلف المناهج ودور الإسلام فيها وكذلك فى محاولة إخضاع العلوم الإنسانية لمناهج العلوم التجريبية المادية .

الفصل الخامس

الجامعة وتبعية المناهج الجامعية

خضعت الجامعة في مصر والبلاد العربية للتبعية الغربية في مناهج التعليم فأصبحت لا تدرس المفاهيم الإسلامية بل المذاهب الغربية (الرأسمالية والماركسية) والتي ثبت فشلها سواء أكانت اقتصادية أم تربوية أو اجتماعية .

ومن هنا فإن الضرورة أصبحت تحتم إعادة النظر في فروع الثقافة والعلوم التي مازلنا ندرسها في جامعاتنا ومعاهدنا وينعكس أثرها على طلابنا وطالباتنا في مختلف مراحل التعليم ، هذه الفروع التي تشمل العقيدة والتربية والنفس والاجتماع والأخلاق والأدب والفن والتاريخ والفلسفة والاقتصاد ، وسياسة المال وكل ما يتصل بالجانب النفسى والاجتماعى والأخلاقى ، هذه الفروع للأسف الشديد ما تزال تدرس حتى الآن من وجهة نظر الثقافة الأوروبية الاستعمارية والمسيحية إلى حد كبير .

وما تزال تترك أبنائنا ضحية التبعية للحضارة الأوروبية المتهارة أو بوقالها وإن جامعاتنا لا تزال تقوم بدور (التعريب) بدلا من التعريب (عدنان زروور) .

ويعنى تعريب التعليم الجامعى (الذى هو ضرورة لوصول المسلمين إلى مرحلة الرشد الفكرى) إنما يعنى الانتقال من مرحلة التعليم للفكر الغربى أولا وباللغة الأجنبية فلا بد من إسلامية التعليم وتحرير مناهجه وأن يقوم ذلك التعليم باللغة العربية مع المحافظة على تعلم وإتقان لغة أجنبية أو أكثر من أجل العودة إلى المراجع الأجنبية . وتأتى خطوة بعد ذلك هى القيام بالأبحاث العلمية الحقيقية المناسبة التى تسير تطور الركب العلمى والتى تعتبر مساهمة حقيقية في بناء حضارة هذه الأمة عندما تكثت هذه الأبحاث باللغة العربية ، فلا بد

من إستيعاب الطالب للمادة العلمية بلغته حتى تتحرك في مزاجه وروحه
وكيانه الإسلامى .

ومن هنا فإنه لا بد من تحرير الجامعات ومراكز البحث العلمى ومناهج التعليم من
رواسب التبعية الثقافية والمؤثرات الأجنبية، حتى ينكسر هذا الإطار الابدولوجى
الغربى المسيطر على العلوم والثقافات ، فإن هؤلاء الذين تسكونهم الجامعات اليوم
إنما هم قادة الأمة فى المستقبل القريب ومن أجل هذا يجب أن تكون عملية
الانهار بالغرب ومدنيته قد تضاءلت تماماً وحل محلها نقد علمى واع لتجاوزات
المناهج الغربية البشرية التى هى من صنع الانسان لمتغيرات الزمن والبيئة ،
هلى النحو الذى كشفه علماء الغرب أنفسهم من فساد تلك النظريات والفروض
التي قدمت فى مجال العلوم والفلسفات ومناهج الحياة الاجتماعية والاقتصادية ،
ولا بد من غرس الولاء والوعى الإسلامى لدى الدارسين وتوجيه نظرهم إلى
بدائل إسلامية فى كل هذه المجالات من منهج الله الاصيل الجامع ، الذى عاشت
عليه الأمة أربع عشر قرناً وبني كيانه ورد عنها عدوان خصومها ، ورتب لها
أسباب نصرها ونهضتها وخروجها من المحنة والازمة كلها حاقت بها ، فالمسلمون
هم الذين صنعوا المنهج التجريبى الذى بنى عليه هذا التقدم وما زال المنهج الغربى
عاجزاً عن الاجابة عن تساؤلات النفس الإنسانية ، عاجزاً عن العطاء الذى يحقق
أشواق الروح .

والواقع أن الوقت قد حان لإعادة النظر فى برامج التعليم بعد أن مضينا
زمناً طويلاً قابسين فى قنوات مظلمة : للنقل من مناهج التعليم الاوروبى ،
بدلاً من العودة إلى الاصاله .

ولقد كان المستشرق جب صادقاً عندما قال أن المدارس الاجنبية فى العالم
الإسلامى كانت مفسدة لقومية التلاميذ لأنها أدت إلى تمزق الأواصر
التي كانت تحفظ تماسك المجتمع الإسلامى ، وهو يقصد تمزيق الوحدة
الإسلامية ونحن نضيف أنها كانت مفسدة أيضاً لآخلاق التلاميذ فقد حالك
دون حملهم أمانة حماية الأمة من عمليات احتوائها والقضاء على كيانه
وتحطيم ذاتيتها .

وقد أجمعت الآراء الناضجة على أن المهمة التي تقع على عاتق الجامعات الإسلامية أن تبطل تأثير التيارات الوافدة التي ترمى إلى تصفية ثقافتنا بوصفنا أمة واحدة والقضاء على مصادر الطاقة التي عليها المعول في بقاء حياة المسلم وقدراته

ومن العجب أن الجامعات في مختلف أنحاء العالم نشأت في يوره التراث إلا جامعاتنا التي نشأت بعيدة عن الأصل الاصيل فهي لم تنبثق من الأزهر وإنما أنشئت لتواجه الأزهر وتعارضه وتوجه الثقافة وجهة أخرى يصبح فيها الأزهر مجمداً منطقياً. الأنوار داخل دائرة التجميد ، فإذا قبل أنه التعديل والتغيير ومطالبة العصر ضرورة قلنا فإن ذلك لا يكون على حساب القيم الأساسية ، إن التعليم أساساً يجب أن يبنى الشباب على الإيمان بأتمته وعقيدها وفكرها والدفاع عنها ومحاولة دفعها إلى الامام دون أن تخرج عن أطرها وقيمتها ومقوماتها الاصلية . أن أساس الجامعات هو الاستعداد من المنابع والحفاظ على طابع الاخلاقية العلمية ، وهو ما حاولت تلك القيادات التي فرضت على الجامعات أن تحول دونها .

كذلك فإن هذه الجامعات اعتمدت مناهج الجامعات التي أنشأتها الارساليات التبشيرية في البلاد العربية وكان في مقدمتها :

أولاً : الدعوة إلى العلمانية في أوساط المسلمين وأبعاد المسلمين عن حقيقة دينهم .

ثانياً : تفسير التاريخ الاسلامي تفسيراً مادياً .

ثالثاً : الدعوة إلى العامية وأن يحل الحرف اللاتيني محل الحرف العربي وأحياء اللهجات وقد دعت الجامعة الامريكية إلى شعار " تبسيط اللغة " وألف أنيس فريجة كتابه تبسيط قواعد اللغة العربية وقد تلقف هذه الدعوة الدكتور طه حسين ونصاري لبنان .

ونجحت الدعوة إلى هذه الفكرة المسمومة في مؤتمر أزمة التخلف الحضاري الذي عقد في الكويت وحضره غلمان المستشرقين .

رابعاً : دعم اللغات الأجنبية وإحياء اللغة اليونانية القديمة .

خامساً : إحياء الولاء الغربي والبطولات الغربية ، وتهوين شأن النفوذ الأجنبي فقد استهدف التعليم العلماني إنشاء أجيال من المسلمين منسلخة عن الإسلام وجاهلة به ، تسخر منه وتعاديه ، مع التعلق برجال في التاريخ الأوربي من أرسطو وأفلاطون إلى رسل وسارتر معظمة لقادة الفتح من الساسة الغربيين من أمثال هاننبال إلى بوناپرت إلى جورج واشنطن .

سادساً : محاولة تصوير الإسلام في دراساتهم عائقاً بوصفه دون التقدم الحضاري الذي وصل إليه الغرب (فكم أن الغرب لم يبلغ هدفه إلا بعد حصر المسيحية داخل جدران الكنيسة وأبعادها عن التعليم والمجتمع والحكم) فإن الشرق الإسلامي لن يتمكن من النهضة إلا بحصر الإسلام داخل جدران المسجد إذ لم يتم الاجهاز عليه نهائياً وبذلك يفتح الطريق أمام التقدم والتحضر .

سابعاً : عزل المسلمين عن تاريخهم وماضيهم (الذي يمثل فترة الازدهار الحضاري علما وعمرانا وقوة) جعلت المسلمين في الصدارة بين العالمين .

ثامناً : محاولة محاكمة الإسلام إلى طبيعة المسيحية ومفاهيمها في مقالات واضحة .

(١) فالإسلام لا يعيق التقدم العلمي بل يدعمه ويجعل العلوم والصناعات من قروض الكفاية بينما كانت النصرانية المحرقة في الغرب تقف أمام جهود العلماء وتمنعهم من إعلان الحقائق العلمية وتضطهدهم .

(٢) يمثل الإسلام شمول العبادات والمعاملات والسياسة الشرعية في الداخل والخارج فهو ليس كالمسيحية علاقة بين العبد والرب تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله بل ترى أن الكل لله . ومن هنا لا يمكن حصر الإسلام في المساجد كما حصرت المسيحية بين جدران الكنيسة الذي هو طبيعتها ونظامها من حيث أنها دين وصايا .

(٣) أن جميع حركات المقاومة للاستعمار انطلقت في مطلع هذا القرن من داخل المساجد وتحت شعار (الله أكبر) .

وهذا يعني أن حجب الإسلام عن المناهج الدراسية يحرم المسلمين من أعظم القوى المعنوية المؤثرة في جماهيره والدافعة إلى البذل والتضحية والتي كانت سند المسلمين في الحن التاريخية منذ مواجهة القوى الصليبية قديما والقوى الاستعمارية والصهيونية والماركسية الجديدة .

وهكذا نجد أن التعليم كان عاملا خطيرا في تأخير النهضة وأن احتوائه وتغريبه كان له أثره البعيد في النتائج التي ترتبت على ذلك بما لحق بالامة الإسلامية من إستهانة بالقيم الإسلامية والتسكك بالالتزام الاخلاقي في بناء المجتمعات الإسلامية .

طه حسين (التعليم كالماء والهواء)

يقول الدكتور فتحي حموده :

إن إثارة موضوع تدهور التعليم والثقافة في مصر يحرك اللواعج الكوامن حول غاشية الجهالة المقتنعة التي رانت على أبناء هذا الجيل كله أو جله منذ أن فتحت أبواب المعاهد على مصاريحها لسكل واغل أو وارش وبغير تحديد أو تمييز أو أهمية مناسبة من المعلمين الصالحين وأدوات التعليم في مختلف الفروع ، والعجيب أن يكون المسئول الأول عن هذه المحنة هو (طه حسين) رمز الثقافة الرفيعة ومحاميا وأن تبدأ هذه المحنة كلها بلمعه بيانیه منه حين طاب له تشبيه العلم بالماء والهواء اللذين لا يستغنى عنهما مواطن من حيث هو مواطن ، أو إنسان من حيث هو إنسان .

وقد كان لعميد الأدب العربى على حصافته وفطنته ولع غريب بالتعميم وإطلاق الأحكام ثم الانطلاق ورأه ما إلى أقصى غاياتها ولا سيما في المجالات الإصلاحية التي تهمة منها النتائج القريية العاجلة والظواهر الخاطف والواض دون كبير تدبر أو تفكر في آثار التطبيق على الزمن المحدود ، أما العقاد المولع بالتحقيق والتدقيق فقد أجاب بأنه إذا صلي القول بأن التعليم كالماء والهواء فإن من غير المجحود أيضاً أن هذا التعليم المشاع كالطوفان الدائم المفرق المحتاج إلى كل اليقظة في كبح جماحه وتوقي إخطاره والتأهب له قيل موعده بالحواجز والسدود والقناطر التي تضبط مساره وإثاره . ثم أضاف العقاد قوله المشهورة : أن تشبيه العلم بالماء بالطوفان يقل بلاعة عن تشبيهه بالماء والهواء وقد قصد العقاد من ذلك أن ينبه إلى أن هذه المسألة أخطر من أن يقطع فيها بفضون البيان والبديع ولا مندوحة فيها عن تحكيم العقل والمنطق .

وفي الزحام ضاع صوت العقل وساد حكم الهوى والعاطفة لاسيما بعد

أن قامت الثورة ورفعت شعاراتها التي ركبت بها الجماهير موجه طه حسين وتركزت فلك العقل والروية التي فيها النجاة من هذا البحر المسجور .

وهكذا فتحت مدارس وجامعات غير محدودة كلها بالجان وهو أمر لانظير له حتى في الاتحاد السوفيتي . واستعين بالوف من المعلمين وغير المؤهلين وغير المتأهلين من ضنوا على هذه الحشود المحشودة بما لديهم من قشور وولوا وجوههم شطر الدروس الخصوصية أو دنائير البلاد العربية ولا نساهم ذلك كله رسالتهم بل أنساهم أنفسهم وبلغ بهم الاستحقاق أن ينقلوا الطلاب بجملهم وعجلهم إلى الصفوف الأعلى وأن يعطوا في تصحيح الشهادات العامة مئات في المائة لعباقرة زائفين تنكشف عوراتهم في الجامعة ، ولم يعد الغش والفساد مقصورا على الطلبة بل شارك فيه المعلمون والمتعلمون جميعا وذلك بشهادة (طه حسين) نفسه في (مستقبل الثقافة في مصر) ولقد كان كاتب هذه السطور أول القطر في جميع الشهادات العامة وكان بينه وبين من يليه في شعبة الآداب بالشهادة التوجيهية (الثانوية العامة) ثلاث عشرة درجة ومع ذلك لم يزد مجموعة الكلى عن ٨٥٪ وكان ذلك رقفا قياسيا عشر مسبوق في أيام اعتدال الموازين وانضباط المقاييس واستقامة الضمائر في تلك الأيام الخوالي كان المعلم معلما حقا ، يستحق أن يقام له وفاء لتبجيله وعرفانا بأبadiه وثقافته في أداء واجبه وتبليغ رسالته وصبره على الاعادة والافادة حتى يصل إلى إفهام أغبي وأعمى تلاميذه المائلين ، وكانت الدروس الخصوصية (نزاهة) لا يطلبها ولا يقبل عليها إلا الأغنياء الموسرون الذين يتخذون منها مادة للتباهي وكان آخر راقل ما تقرأه هو كتب الوزارة المقررة ، إذا كانت الدراسة فإذا كانت العطلة فقد كنا نقرأ المفلوطي والعقاد وطه حسين والرافعي ومنا من كان يقرأ عيون التراث ويحفظ المغلفات السبع ، وكنا نقرأ أيضا لشكسبير وديكنز وستيكنون والتر سكوت في أعمالهم الأصلية أو الميسرة ونحن لم نزل في المرحلة الثانوية .

وقد بلغنا هذا المستوى لأننا درسنا في المرحلة الاولى الاساسية القراءة والكتابة والحساب وحفظنا القرآن ، فكان لنا نورا هاديا مرشدا وكان نعم الزاد لأرواحنا وقلوبنا وألسنتنا وما زال رأي أنه نلننجب

أبدا في اللغة العربية أى إنسان لا يكون أساس تكوينه القرآن ، ثم بدأنا تعلم اللغة الإنجليزية منذ أول صف في المرحلة الابتدائية ، وكان مقرراً علينا في الصف الرابع روايتان كاملتان بـ تلك اللغة يتم منها الامتحان الشاهد لمن يختاره بالانتقان فليس بغريب إذن أن يقف تعليم العقاد عند الشهادة الابتدائية في تلك الأيام ويتفق له منها هذا الرسوخ والتمكن في اللغة الانجليزية التي كانت لغة ثقافته الاجنبية ، كذلك كان يتحقق لنا إتقان اللغة الفرنسية على امتداد خمس سنوات .

ولن يصدق هذه (الاساطير) أحد من أبنائنا وأبناء مدارس الماء والهواء من لاحظ لهم في معلم كفء أمين مخلص أو في معهد منظم يجتهد متأهب ومن كتب عليهم أن يتشغلوا على يد ذلك الصندوق اللعين المعروف بالتلفزيون في حلقات الهارب والرجل الأخضر والفتاة الخارقة وغيرها من مواد الهلوسة الامريكية والذي تطلع علينا إحدى مذييعاته المثقفات بأنه خير صحيح مايشاع من أن أبا العلاء رهين الحبسين فنسب إلى معرفة النعمان وإنما وإنما هو أبو العلاء المصرى المنتمى إلى مصر لحما ودما ، وقد يكون هذا من فرط الغيرة الوطنية عند هذه المذبة ولكنها سقطة ثقافية بشعة تعطى مؤشرا للثقافة المتاحة لجيل الماء والهواء وهى ثقافة لن تبلغ الافهام ولن تتجاوز مواطىء الاقدام إذا صح أن هناك ثقافة أصلا .

ولاشك أن المصيبة أعظم في الكلمات العملية وعلى رأسها كلية الطب التي يتهافت عليها الجميع . اين خريجو الطب اليوم ومنهم من يتخرج ليمارس الجراحة وهو لم يجرب التشريح قط على امتداد دراسته ومن الذى يشق بهم أو يأمن لهم أو يطمئن إلى رأيهم ورأى أساتذتهم فيهم معروف ونسبة نجاحهم في امتحان المعادلة الذى يجرى لهم في إنجلترا اثنان فى المائة على أكثر تقدير .

الفصل السادس

تغريب الأزهر

منذ جاء النفوذ الاستعماري الغربي كان حرباً على احتواء الأزهر فقد شهد موقف المقاومة التي أثارها علماء الأزهر وكذلك ما قام به الأزهر من مواجهة الاستبداد الداخلي وقد كان له موقفه مع الأمراء المهاليك في مواجهة ظلاماتهم فقد اشتكى الناس من مظالم الأمراء فأتجهوا إلى الشيخ الدردير في الجامع الأزهر ، الذي أمر بدق الطبول على المنارات إيماناً بالاستعداد لمهاجمة بيوت الأمراء ونهبها فلما بلغت أخبار الجاهل السائرة الأمير إبراهيم بك وبلغه تصميم الشيخ الدردير على قيادة الشعب ضد الأمراء ، حشى أن يستغل الأمر فأرسل يعتذر عما حدث ووعد بأن يكف أيدي الأمراء عن الشعب وكتبوا كتاباً بذلك احترام فيه الحاكمون لإرادة المحكومين (حسبما أورد الجبرتي في الجزء الثاني من تاريخه) .

وكان للأزهر موقفه من الحملة الفرنسية ومن محمد علي حين دخل لمرحلة الاستعداد ، وعرف الاستعمار البريطاني مدى خطورة الأزهر على وجوده منذ احتل مصر سنة ١٨٨٢ ولذلك نجد أن كرومر المعتمد البريطاني في مصر يقول في تقريره :

إن التعليم الوطني في قبضة الأزهر الشديد التسك بالدين والذي يقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي ، وكان الطلبة الذين يتخرجون منه يحملون قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني فلو أمكن (تطويره) لكن خطوة جلية الخطر فليس من اليسير أن يتصور أي تقدم لنا ، ظالماً ظل الأزهر متمسكاً بأساليبه وإذا بدأ أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها - فينشأ يصبح الأمل محصوراً في التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح ،

وهكذا بدأت حملة انتقاص دور الأزهر الخطير على الاستعمار والاستبداد جميعاً على أكثر من محور .

(أولاً) تقليص دور الأزهر بالتوسع في التعليم اللاديني .

(ثانياً) إنشاء الجامعة الأمريكية التي أريد بها تحويل الانظار عن الأزهر .

(ثالثاً) إنشاء الجامعة المصرية التي حملت منذ اليوم الأول مخطط التعليم العلماني والتي قام عليها طه حسين وأمين الخولي وأحمد أمين ، وهكذا وضع الاستعمار البريطاني خطة تطوير الأزهر التي امتدت حتى حققت غايتها عام ١٩٥٦ عندما وضع القانون الذي ألغى المحاكم الشرعية وحول كلية الشريعة إلى كلية لدراسة القانون الوضعي وتخريج قضاة ومستشارين أزهريين يحكمون بقانون نابليون إلى جانب قضاة كلية الحقوق .

ويشير الدكتور محمد البهي إلى خطة احتواء الأزهر فيقول أنه في عام ١٩١٥ وردت رسالة من المستشار الإنجليزي (دنلوب) إلى شيخ الأزهر تنأسف فيه وزارة الخزانة لأن المبلغ الذي خصص للأزهر قليل وقد وعد أن تصرف وزارة الخزانة مبلغ ثمانية آلاف جنيه للأزهر بشرط أن تنتقل أوقاف الأزهر إلى وزارة الخزانة ثم أنشئت وزارة الأوقاف التي استمرت بميزانية مستقلة حتى جاءت حركة الجيش في يوليو ١٩٥٦ حيث صدر قرار بضم الأوقاف إلى الحكومة .

فأصبح رجال الدعوة الإسلامية ورجال الأزهر غير مستقلين وانتهى الأمر بأن أصبح رجال الأزهر ورجال الدعوة موظفين لدى السلطة وأصبح رجال الأزهر يتحدثون عن (الاشتراكية) وهي (ماركسية) من أجل أرضاء الأحزاب والسلطات كما تسلل الروتاري إلى الحركات قبل حركة تحرير المرأة في بلاد المسلمين ويستقطب العلماء والمفكرين والصحفيين ، ثم أنشؤ في جمعية الشبان جمعية للتقريب بين الأديان .

كذلك فقد أنشئت الكلية الإنجليزية الأمريكية في الأزهر لتجارب الأزهر وأنشئت في استانبول لاسقاط الخلافة ولأن القائمين على هذه الكليات يعتقدون

إنه لا بد من تفويض الأزهر ولا بد من هدمه وكذلك الخلافة الإسلامية والتركيز على القوميات لزوع العداء بين المسلمين .

ولاريب أن تقلص التعلم في الأزهر وتفريعه من عوامل قوته التي أعطته القدرة على الجدل مع المستشرقين ؛ ومقاومة المستعمرين . والمستعبدين هي العامل الأول في هذا المخطط الذي قضى في المرحلة الأولى على تكامل المعرفة الإسلامية حيث كان عالم الإسلام جاهلاً للجوانب الفقهية واللغوية والعقائدية جميعاً على طريقة الأزهر الأساسية وهذه هي ما افتقدها بالتقسيم التي تم عام ١٩٢٦ ثم كانت المرحلة الثانية بعد ثلاثين عاماً لتفقد جومره الاصيل فقد كان قانون تطوير الأزهر بمثابة تمكين التيارات المعادية للإسلام من تجريد هذه الجامعة الفريدة من كثير من مقوماتها الأساسية حيث فرضت عليها ألواناً من المعرفة التي قد تصطدم أصول بعضها مع التصورات الإسلامية وخاصة في مجال الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي حيث تقلصت العلوم الإسلامية والعربية في الأزهر وفرضت المواد القومية والاشتراكية وهي مواد بتجاهل الإسلام في أسسها وتحليلها وغاياتها وذلك لكي يسدوا بها الفراغ العقائدي التي سببه تجريد الأزهر من رسالته وإبقاء المدارس والجامعات على مناهج كرومر ودنلوب الاستعماريين .

وكان من أخطر المخاطر دخول طلبة الأزهر المماهد الدينية دون حفظ القرآن حفظاً كاملاً ، حيث لا يتصور أن يتقدم عالم إسلامي للناس ليؤمهم ويفتيمهم ويقضى بينهم وهو لا يحفظ القرآن وهذا أخطر ما في عملية تطوير الأزهر بل هي في نظر البعض كارثة ، فلن يكون عالماً صالحاً شيء مالم يستطاع أن يعرف أحكام القرآن .

وقد كشفت الأحداث عن أن علماء كلية الشريعة والقانون أصبحوا يصدرن أحكاماً فاسدة لأنها قامت على جهل بالشريعة ، هذا الجهل راجع إلى سوء ما وصل إليه العلم في الأزهر ونتيجة القشور التي تدرس في كلية الشريعة أو غيرها .

وشهد بذلك بعض من تركوا المحاماة الشرعية بأنهم وجدوا القضاة لا يعرفون البسائط من الشريعة الإسلامية ومن المعروف أن الدكتور طه حسين هو أخطر من دعا إلى تطوير الأزهر حين كتب مقالاته (الخطوة الثانية) وهي إلغاء المعاهد الدينية بعد إلغاء المحاكم الشرعية ، والمعروف أن تخصص القضاء ألغى في كلية الشريعة قبل التطوير عام ١٩٥٥ فلم تعد تخرج قضاة ، ولما أدمجت المحاكم الشرعية في المحاكم الوطنية لم يعد لها من يغذيها أوجدت كلية الشريعة مثل البحر الميت على حد تعبير الدكتور سعاد جلال . وقال انصار التطوير أنهم أرادوا به اللحاق بالحياة مع المحافظة على الأصالة الإسلامية ، وفي كلية الشريعة تمزقوا بين دراسة القانون ودراسة الشريعة وفي كلية اللغة العربية تاريخ دون نحو وأدب دون لغة أو دون دين وضاع تكامل الدراسة الذي عرفت في كتب المتقدمين بعد إلغائها .

ولما كان الأزهر — كما يقول الاستاذ محمد عطية خريس — أمانة الفصل في الخلافات الشرعية التي تنتظم حياة الأمة كلها أفراداً وجماعات ، حكماً ومحكومين ، فإن استقلال الأزهر كقوة شعبية هو من أهم الضمانات لتحقيق التوازن الدستوري ، وفي النظام الإسلامي يعتبر العلماء هم أهل الشورى الذين يثلون الإرادة الشعبية ، وهكذا عملت القوى المختلفة على تجريد الأزهر من جميع أوقافه ونهبها منذ عصر محمد علي وهم يحتملون الأمر حتى أمكنهم بالمرء والمخديعة أن يستولوا على أوقاف الأزهر ويعطوه مالا من خزانة الدولة . وقد استولى الانجليز أبان ثورة ١٩١٩ (بعد أن أزعمهم دور الأزهر في مقاومتهم) على اقتحام مكتبة الأزهر والاستيلاء على حجج أوقاف الأزهر للقضاء على قوته ولاضعافه وتدمير استقلاله ، وخاصة أوقاف الطعام والانتقال .

وفي خلال الاستعمار البريطاني أصبحت تبعية الأزهر للسلطة الوطنية ، وصدر القانون ١٨٩٥ ، ١٨٩٩ وما بعدها ، وبعد وفاة الشيخ أبو الفضل الجيزاوي ١٩٢٧ تدخل الإنجليز ونقدم اللورد جورج لويد المندوب البريطاني وطلب ترشيح الشيخ المراغي لمشيخة الأزهر .

وهكذا نرى كيف نفذت خطة احتواء الأزهر والسيطرة عليه :

أولاً : مصادرة أوقافه .

ثانياً : القضاء على الروح الوطنية التي قادت ثورة القاهرة على الفرنسيين

وثورة ١٩١٩

ثالثاً : القضاء على زعامة الشعبية التي فرضت على أمراء الممالك اتفاقية

حقوق الإنسان .

رابعاً : تسلط الفرنسيين ومحمد علي والاحتلال البريطاني على الأزهر لتفريقه من قوته الذاتية بعد أن أشارت توصيات مؤسقى التبشير والاستشراق إلى خطر الأزهر وإنشاء الجامعة الأمريكية في مرحلة ثم الجامعة المصرية في المرحلة التالية للوقوف أمامه وخداع الناس بأسماء طه حسين وعلى عبد الرازق وأحمد أمين وغيرهم بأنهم من ثمرات الأزهر .

خامساً : تفريق الأزهر من قواه في عهد حركة الجيش ، وإنزال شيخ الأزهر إلى درجة وكيل وزارة والسيطرة عليه وعدم تمكنه من أداء واجبه ثم احتواء الأزهر بالسيطرة على رجاله حتى لا يكونوا قادرين على تمكين الأزهر من أداء أى دور في مواجهة النفوذ الاجنبى ثم الزام علماء الأزهر بالتقبل للمفاهيم الاشتراكية دون تبين أخطارها ومخاطرها .

غير أن هذا الوضع بدأ يتغير قليلاً فقد أجمعت الآراء على ضرورة إعادة النظر في تجربة قانون التطوير الصادر ١٩٦١ بعد مرور عشرين عاماً على ذلك بما يحفظ على الأزهر شخصيته العلمية الإسلامية ويمكنه من أداء دوره الكامل في المجتمع الإسلامى وتحقيق حريته واستقلاله في اختيار قياداته ونظام دراسته والمادة X المخصصات التي كانت حقاً الأزهر منذ مئات السنين ، وقد تمكن علماء الأزهر من تحقيق سلطتهم التشريعية ونجاحه X بعد اعتبار الشريعة الإسلامية هي المصدر الاساسى للتشريع واعتبارهم قناة شرعية لتأييد الصالح من المشروعات ومعارضة غير الصالح منها ، بوصفهم الجهة الوحيدة المتخصصة

التي يستطيع الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص شرعى ، وإبداء الرأى فى المسائل الخاصة بالمعاملات المالية الجديدة .

...

وكان المفروض أن يجمع دراس الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى ما يمكنه من أن يظهر عظمة شرع الله وسموه ومكانته . أن الدراسة بالكلية قبل التطور كانت قاصرة على الدراسات الإسلامية والعربية مما أتاح الفرصة لتخريج علماء أكفاء فى الدراسات الإسلامية والعربية ، أما بعد التطوير فقد اتخذت الدراسة منهجى آخر حيث ضمت إلى مناهجها دراسات القوانين الوضعية وأصبح نصيب المراتب الشرعية من حيث الحكم تقريباً ثلث المناهج الدراسية وضاعت فكرة المقارنة بين القانون والشريعة التى من شأنها أن تكشف عن عظمة الشريعة ، وتحولت إلى تبعية للقانون الوضعى . وهزيمة للشريعة ، هذا ما يقوله أساتذة الكلية .

ولما كان من الضرورى أن تشترك كلية الشريعة والقانون فى مجال تقنين الشريعة فيقول الدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون العام أن لجان التقنين بدأت من منطلق قانون وضعى أساسى وهرضت على لجان الشريعة للنظر فيها على ضوء أحكام الشريعة لكي يزال منها ما يتعارض مع الشريعة ويعدل بالشكل الذى يتمشى معها فالذى حدث من وجهة نظرى ، كأستاذ فى القانون ليس تقنيناً للشريعة وإنما هو تطوير للقوانين القائمة بجعلها لا يتعارض مع الشريعة فالتقنين يكون باستطلاع أحكام الشريعة من مصادرها الذريعة ، وحسبما وجدت لدى رجال الفقه سلا مى وهو جهد الإسبق إلى القيام به بعض العلماء .

أما ماتم تحت اسم تقنين الشريعة فقد انطلق من التقنينات الوضعية ، وطورها لكي لا يتعارض مع الشريعة وشتان بين نتائج كل منطلق .

(٢)

قضية التطوير

مرت قصته تطويراً الأزهر في ثلاث مراحل :

أولاً : كانت خطة محمد علي - بعد أن أحس بخاطر القيادة الشعبية على نفوذه بقيادة عمر مكرم ، يقوم على أساس تجفيف المصادر التي تمد الأزهر بالرجال ولهذا أنشأ المدارس الجديدة في مصر وأخذ يرسل طلابها لإكمال دراستهم في أوروبا بينما أهمل الأزهر فقل الأقبال عليه وزاد الأقبال على المدارس العصرية ، فلما رجع الذين سافروا إلى أوروبا أصبحوا سفراء للحضارة الغربية المادية في بلادهم ولم يعد الأزهر حامل لواء الدعوة الإسلامية بل أصبح معهداً لتخريج الأئمة والوعاظ ولا يؤمه غير الفقراء .

ثانياً : في عصر الاحتلال البريطاني رفع الإنجليز من شأن المدارس والجامعات وزادوا من عددها وأوافدوا طلابها لإكمال دراستهم في أوروبا وجعلوا وظائف الدولة وقفاً على خريجي هذه المدارس ، كما قلدهم المراكز الاجتماعية الهامة في مصر بالإضافة إلى الرواتب العالية .

أما طلاب الأزهر فكانوا لا مستقبل لهم ، ولهذا عزف المصريون عن إرسال أولادهم إلى الأزهر وأخذوا يرسلونهم إلى المدارس الحكومية :

وبدأ خريجو الأزهر يبحثون عن التبعية . وإرضاء أصحاب النفوذ لئلا كانوا لقمة العيش بالمفتوى لهم .

ثالثاً : تمت في عهد التبعية الاشتراكية حيث تبنى القائمون على البلاد الاشتراكية العملية منذ أوائل الستينات وتركوا أحكام الشريعة ورائهم ظهرياً على اعتبار أنها رجعية يجب الابتعاد عنها ، وتصدر الشيوعيون العرب المراكز الحساسة في مصر وغيرها ، ولهذا فقد شن هؤلاء حملة شعواء على الاسلام والمسلمين عامة وعلى الأزهر بشكل خاص على وأن تكون خطتهم

اللاحقة في القضاء على الأزهر بمثابة استمرار للمرحلتين .

وقد استطاعوا ضرب الأزهر ضرب قاصمة بدعوى تحويله إلى جامعة علمية وتطويره وإصلاحه فحولوا الأزهر من جامعة إسلامية ترسخ العقيدة في نفوس طلاب العلم ليكون الأساس القديم الذي تقوم عليه العلوم والمعارف الأخرى إلى جامعة تشكل الطلاب في دينهم وتدرس لهم الاشتراكية والماركسية والميثاق أكثر من تدريس العلوم الإسلامية والقرآن .

وكانت عملية تطوير الأزهر التي قام بها الشيوعيون تهدف إلى تحويل الأزهر بالتدريج إلى جامعة علمانية تهتم بشكل رئيسي بالعلوم الدنيوية وبشكل فرعى وثانوى بالعلوم الإسلامية . والهدف من هذا أن يتخرج الطالب الأزهرى وهو عاجز عن تأدية الرسالة المنوطة بها فلن يكون الأزهر بعد ذلك من المنارات التي يهتدى بها الناس ويقتدون .

ومن ثم فإن عدم اهتمام المناهج الاشتراكية بالأزهر بالطلاب من الناحية الخلقية والالتزام العلمى بتعاليم الإسلام والسماح باختلاط الشباب والشابات فقد سهل على الشيوعيين الدراسة في الأزهر لابتخرج منه شيوعيون في ملابس أزهرية فيكون دورهم في الدس على الإسلام وتشويه تعاليمه وتاريخه أحظر مما لو كانوا في جامعات أخرى .

يقول الأستاذ نيه عبد ربه الذى لحصنا عنه هذا الفصل : لقد نقلت هذا حرفياً عن المخطط الشيوعى في العالم الإسلامى الذى يهدف للقضاء على الإسلام وإحلال الاشتراكية مكانه ، فالشيوعيون ينظرون للدين على أنه العدو الأول للاشتراكية العلمية ولذا فإن الصراع بين الدين والشيوعية صراع مستمر حتى تطفى الشيوعية على الدين . وعندهم أنه لن يستقر التحول الاشتراكى الصحيح إلا بسيادة الاشتراكية على الدين وسبب هذا أن الشيوعية ترى في العقيدة الدينية خطراً على مخططاتها ، لأن هذه العقيدة من القوة المعنوية ما يمتلئ بالمخططات النوعية ، والاشتراكيون يعلمون أن للأديان شعارات قوية وللجماعات الدينية قوة ضخمة ، ولسكنهم لا يكشفون هذا العداء هلاً حتى لا ينفر

للمسلمين منهم ، ولكنهم يعملون للقضاء على الدين بطرق غير مباشرة ، الهدف منها زعزعة العقيدة في نفوس المسلمين كخطوة أولى نحو ابتعادهم عن دينهم كاليه ، ومن الوسائل الشيوعية لمحاربة الإسلام والتي استعملت في الأزهر ما يسميه المخطط الشيوعي [تنقيح الدين] وقد أوصاهم لينين منذ البدء بأن إعادة التنظيم الفكري العقيدة الدينية وميراثها ومفاهيمها إنما هو بمثابة التنقيح للدين وتحديثه الاشتراكية العلمية .

والغريب أن الغرب والشيوعية يشتركان في مسألة واحدة يسمونها (تنقيح الدين في الشيوعية) ويسمونها في الغرب (تطوير الشريعة) فلا نفج في هذه الدعوة بالقول بأن (الإسلام دين الاشتراكية) إذا لم يتبعها تحطيم للمنظمات الدينية وصهرها في بوتقة التحويل ، فالتنقيح للأديان كما أوصى به لينين يجب أن يصاحبه الهدم لكل قاعدة يمكن أن يتخذها الدين سبيلا إلى البحث والنضام والناسك .

ومكافحة الدين وروابطه لا يكون بنفس الدين ، وإلغائه كليا من حياة الناس ولكن بالترويج لشعار الثورة وخلق وعي مادي في نفوس الجماهير ليفروا من الدعوة الروحية التي في جبهة الأديان ، وليس المهم إزالة طقوس العبادة وهدم الكنائس والمعابد وإنما المهم هو تغيير الوحي الروحي وخلق وعي مادي في الفرد ووعد الجماهير برفع الإنتاج والمنجزات الصناعية والزراعية والقوة العلمية ويجب أن يحنبه بعض رجال الدين وبعض النصوص الدينية أن أمكن للدعوة الاشتراكية ولا بد أن تخضع المعامل الدينية بالجامعات والمؤسسات والجمعيات بالمساجد لسيادة الحزب الاشتراكي في الدولة الاشتراكية وتصبح جهازاً يصلح ضبطه واستعماله عند الحاجة ومن أجل ذلك عقدت أمانة الدعوة والفكر في الاتحاد الاشتراكي اجتماعات عدة من مشايخ الأروقة في الأزهر وعلماء الدين وأئمة المساجد ، وذلك بهدف تسخير الأزهر للدعوة الاشتراكية . فقد حدد القانون ٤٤ سنة ١٩٦٢ مهمة المسجد بأن يقدم لنا الفرد الصالح الذي يشارك في بناء النهضة القومية الجديدة وأن مهمة وزارة الأوقاف هدفها التطبيق الاشتراكي السليم في المجتمع العربي كله وأن مهمتها اشتراكية بحتة ، وأن تتصرف بشكل يؤدي إلى تعميق جذور الاشتراكية في المجتمع

العرفي وهكذا وجد من الأزهريين من يدعى بأن الإسلام هو دين الاشتراكية وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو إمام الاشتراكية وأن خديجة هي أم الاشتراكية وأن أبو ذر الغفاري أول الاشتراكيين ، وأن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم نابعة من حياته الأولى المتأثرة بالوضع الطبقي الشاذ في مكة وقال محمد حافظ سليمان (مجلة الأزهر - منبر الإسلام - يوليو ١٩٦٦) لاشك أن للصراع الطبقي في كل زمان ضراوة وأشار إلى ما تقوم به الرجعية العربية دفاعاً عن هيمنتها الرأسمالية وعن المصالح الاستعمارية التي تسندها ، وقال محمد أحمد خلف الله : أن القرآن يدعو إلى ما ندعو إليه الاشتراكية من الاعتماد على العلم في ممارسة الحياة ومن هنا لا يزعمنا شعار (اشتراكية علمية) وهذا هو نتيجة المخطط الذي استهدف رجال الأزهر وقال أحمد كمال أبو المجد (منبر الإسلام) أن الخطة الجديدة لرسالة المسجد في مرحلة التحويل الاشتراكي : أن يخضع كل مسجد في مصر لمجلس إدارة تشرف عليه اللجنة الفرعية للاتحاد الاشتراكي على أن ترتبط هذه اللجان بإدارة عامة لصياغة البرامج غير الدينية للتنقيف الاشتراكي في الوسط الديني وسيلقى على الخطباء محاضرات في الدين والاشتراكية والعلم والاقتصاد الإسلامي ، ٥٠١٠ هـ

(٣)

المدرسة الحديثة وانفصالها عن الأزهر

تقول الدكتورة بنت الشاطيء : حين كانت المدرسة الإسلامية في أوج عزتها تفرد بالتعليم الاصيل وتنشئه أبناء الامة في المرحلة الأساسية على منهج موحد وبرامج وكتب مماثل من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب قبل أن يخرجوا إلى ميادين العمل أو يتابعوا الدراسات العالية لعلوم الإسلام والعربية أو علوم الرياضيات والطبيعات نظرية وتجريبية . وفي العصر الحديث عزلت المدرسة الإسلامية عن مكانها المرموق وعطلت رسالتها الكبرى في التعليم الأساسي الاصيل الموجه وصرف عنها أكثر التلاميذ إلى المدارس الحديثة محمية وتابعة للبعثات التبشيرية والرساليات العلمانية وانشئت الجامعات الحديثة ، فما لبثت

أن خطفت الأضواء بجاذبية عصريتها وخفاة مؤسساتها ودرجاتها وألقابها المؤهلة للوظائف الراقية والمناصب العالية والمهن المربحة . وقد ضمت الكليات العلمية مقابل كليات الآداب والحقوق فشبه للناس أن ما يدرس في الكليات العلمية هو العلم ولا علم غيره فكيف بما يدرس في الجامعات العتيقة . لكن التيار المعصرى بما ضج فيه من أصوات دعاة التجديد والتطور والتقدم لم يقو على مقاومة النفوذ الروحى لشيوخ الاسلام : علماء الدين وكان معلمونا الشيوخ على تواضع معيشتهم وزهدهم ملء القلوب والأبصار مهابة وجلالا ، فهم قضاة شريعته وملاذ عباده فى عصبب النوازل والمحن والكروب بمصمونهم من الضلال والقنوط وعنت جباه السلاطين والحكام لورثة الانبياء وتواضعوا لهم تقربا إلى الله أو خوفا من نفوذهم الروحى واستجلابا لرضى الشعب . إلى ذلك الماضى القريب بقى لطالب العلم فى الحوامع العتيقة : الأزهر والقرويين والزيتونة ومعاهدها الدينية من دمياط وطنطا والاسكندرية إلى مرا كشر وفاس وفى المعاهد الإسلامية من الهند إلى نجد وأم درمان والبيضاء ، بقى لهم سميتهم الاصيل المميز بصنى عليهم فى أعين الناس حرمة العلم الدينى بما يكشف بريق الطرايش والقبعات ومن الاحترام ما يفيض من زهو الافندية المتفرنجة .

حتى جاء المد الثورى فتغيرت الأوضاع والمنازل والقيم ، واشتدت الحملة على السلفية المناوئة أو الموقفة للتغيير ، وانجحت المؤسسات الدينية العتيقة تهز صروحها ، وما كانت لتجاسر أو لتقوى على النيل منها لولا أن أعان عليها رجال من هذه المؤسسات كانوا مرجون لحمايتها والدفاع عنها ، وأول ما كان من ذلك إلغاء المحاكم الشرعية وتذويبها فى المحاكم المدنية وتقرر منح رجال القضاء الشرعى القاب نظرائهم المدنيين ومراتبهم ، فما أصبح الصبح غداة القرار حتى سعى نفر منهم إلى القصر الجمهورى فوقعوا فى سجل التشريعات التماسا برفع أصدق الشكر والامتنان لما حظوا به من رعاية كريمة ثم مالبث أكثرهم أن خرجوا على الناس فى أزياء عصرية ملائمة لمجتمعهم الجديد وذابوا فيه لا يتميزون ولا يعرفون ، واستبدلت الثورة هيئة كبار العلماء شيخونا الراسخين فى العلم : وجميع البحوث الإسلامية ، جمع تشكيله الأول خليط من العلماء والشيوخ ودكاترة فى الجغرافيا والآداب والطب تخرجوا من جامعات أوربية ، وزفت

الأقلام والأصوات الموكب الجديد بأزيائه وصوره المتنافرة إعلاما بتجديد كيان الهيئة العتيقة واحتفالا ببث الحيوية في خلايا شيخوختها . وطورت الثورة جامعة الأزهر التي استكثرنا عليها أن يتخصص — إلى جانب عشرات الجامعات والمعاهد الحديثة — في علوم الإسلام والعربية ، مناط مجدها التاريخي العلمي ورسالتها الكبرى في الأمة لأكثر من عشرة قرون ، واستحدثت التطوير (كليات علمية) نضنى عليها صبغة العلمية وطابع العصر ، وما كان يدرس في كلياتها العريقة (الشريعة وأصول الدين واللغة العربية) لا ينمى إلى وجودنا المعاصر . وليس من (العلوم التي تخضع لمناهج البحث العلمي) ؛ خلع كثرة من الشيوخ زيمم التقليدي ولبسوا أزياء عصرية بحاراة لزملائهم الجدد في كليات الطب والعلوم والهندسة بالجامعة الأزهرية والتسوا من أى سبيل درجة الدكتوراه المؤهلة للتدريس في جامعاتهم المتطورة يستوى في ذلك من نالها من معهد الدراسات بجامعة الدول العربية ومن جاءوا بها من جامعات غربية في تخصص الشريعة وفقه اللغة وتاريخ الإسلام بإشراف أساتذة أجانب ليسوا عربا ولا مسلمين . واستبدلوا بالمشيخة لقب دكتور وبلغ من شذوذ الوضع أن لو وشحننا لفحص رسائل جامعية في علوم القرآن والحديث شيوخا من كبار علمائنا الشيوخ الراسخين فيها لقبل أنهم ليسوا من حملة الدكتوراه وخرجت رسائل جامعية في فقه الاثنية الاربعة وتراث أعلام السلف لقبوا فيها بلقب دكتور لم يتصور شباب الدارسين أن هؤلاء العلماء الاثنية لم يكونوا دكاترة .

واختلط الامر على الناس ، تصدرت صور الدكاترة الأزهريين بأزياء عصرية واجهات التلفزيون ومنابر الصحف فما عادوا ينتمون في الرؤية العامة إلى علماء الدين ولا يتميزون عن غيرهم ، ومكنوا بذلك للدخلاء من افتتاح الموقع الدينى يقدمون بضاعتهم من العلمانيات الفجة الشائمة ليكسب الدين بها صفة العلمية فلا غرابة أن راج القول بأن الدين (سلوك المتدين وطرائق عبادته) مما تقدمه البرامج والصحافة الدينية ، والكثرة الغالبة من رجال الدين في المجتمعات الإسلامية هم مقرئو القرآن في الإذاعة والمآتم ، والموائد والسرادات الشعبية والخطباء والوعاظ في الجوامع والمساجد والزوايا وماذنوا الشرع :

وقد أوفدت نخبة من شباب الجامعات في بعثات للدراسة العليا إلى دول
حلف وارسو أو حلف الاطلسنطى لتشغل المراكز القيادية لتوجيه الرأى العام
بدعاة من الماركسيين أو المتأمركين ، وإذا كان من المنتمين إلى علماء الدين من
وظفوه لخدمة مواقف سياسية متغيرة ومآرب فردية عارضة ، فغير مستغرب أن
يوظف الماركسيون التاريخ الإسلامى لخدمة ايدلوجيتهم فخرجت في هذه المرحلة
كتب جامعية أعطت الصحابى الجليل أبابذ الغفارى رضى الله عنه لقب زعيم
المعارضة والداعية الاول إلى الاشتراكية ، وفسرت حركة الحوارج بتمرد
مبكر على الأوضاع التقليدية اسقط هيبة الخلافة وأرخص دماء الصحابة رضى
الله عنهم فدية للتغير وضريبة للتطور . واعتسفت توجهها ايدلوجيا بالغ الغرابة
والفحش لحركات المغامرين السفاحين الذين خرجوا على الدين والامة في العصر
العباسى وعانوا في الارض فساداً وظهر (على محمد) فقاد الزنج وقال : اجعلوا
كل عامر قفرا وكل دار قبرا فوطشوا البصرة وقتلوا في يوم واحد أربعة وعشرين
ألفا من أهلها ، وحركة الزنج تفسرها الايدلوجى ثورة على الوضع الطبقي
والاوتوقراطى قامت على إهاجة الفتن والحروب بين الطبقات قبل الثورة
الشيوعية بأكثر من عشرة قرون ، وفي أواخر القرن الثالث كان ظهور القرامطة
بالبحرين ثم اكتساحهم ديار العراق والشام والحجاز ، وانتزع الحجر الاسود ،
وهذه الحركة يفسرها الايدلوجى : حركة تقدمية رائدة لتحرر الناس من أفيون
الشعوب ، وهكذا في سبيل خدمة متغيرات متلاحقة ومذهبيات طارئة يسقطون
مصطلحاتها على تاريخ مضى من قبل أن تسمع الدنيا بلفظ واحد مما يقولون ،
يتمركسون ويتأمركون في يوم وآخر وما كان شذوذا صار هو الغالب على
البضاعة الحاضرة لا يشد عليها إلا قلة غير مبصرة ، ا . هـ

الفصل السابع

مدرسة الترفيه والتسلية

ثلاث مدارس شكلت المزاج الذى يعيشه الناس اليوم : —

- (١) المدرسة .
- (٢) والمدرسة المولذية (مدرسة الترفيه والتسلية)
- (٣) والصحافة .

وقد كانت مدرسة الترفيه والتسلية القائمة على المسرح والسينما والمراقص والالغى وأدواتها الإذاعة والتليفزيون من أخطر التحديات التى تواجه بناء الأمة على الإسلام ، وهى تكمل حلقة الخطر الذى يبدأ بالمدرسة وينتهى بالصحافة ، حيث لم تعد المدرسة هى المؤسسة الفعالة الوحيدة فى مجال التربية ، بل أن آثار هذه المؤسسة الإعلامية أشد خطورة إذ أنها هى التى تسيطر على ساعات الراحة وعلى البيوت والامهات والآباء جميعا ، بما تفرضه على أبنائنا وبناتنا من قوة التأثير لدخولها كل بيت لساعات طوال وبمثيرات تجتذب أكبر عدد من الحواس على حد تعبير الدكتور إسحق أحمد الفرحان ، هذا التحدى يكمن فى ناحيتين على الأقل .

(أولا) فى البرامج التى تستورد غالبا من مجتمعات لا تتفق ومجتمعاتنا فى قيمها ونظرتها إلى الحياة وتأتى معها بمشكلات قد لا نعانى منها فى كثير من الأحيان تنبيه أذهان أبنائنا إليها ومن هنا بدأنا نسمع ونقرأ عن مشكلات انحراف الشباب وارتكابهم بعض الجرائم نتيجة تقليد فيلم أو مسلسل أجنبى معين يتسم بالإجرام والعنف ، والاختصاب والسرقه كما رأوه .

(ثانيا) : عدم وجود أجهزة تنسيق بين المسؤولين عن الاعلام والمسؤولين عن التربية وهن الشؤون الدينية فى بلادنا العربية والإسلامية والتحدى بمسكن أن ينظر إليه من زاويتين .

الأولى : هذه الهجمة الغربية الشرسة التي تحاول اقتلاعنا من جذورنا وتغزونا في مدارسنا ومؤسساتنا الإعلامية المختلفة .

الثانية : أزمة المثقفين عندنا والمربين من حيث عدم تبنيهم للإسلام صراحة وفكرا وممارسة ، ليكونوا على مستوى التحدى فيثقفوا أبناءنا في الإطار الإسلامى فى سائر حقول المعرفة . وليس التربية الدينية فقط من منطلق إسلامى وتصورات إسلامية ، وليكونوا هم أنفسهم قدوة علمية صالحة للاقتداء بهم لأن التعليم عن طريق القدوة هو خير أنواع التعليم .

(دكتور إسحق أحمد الفرحان)

ولقد اتسع مجال مدرسة الترفيه والتسلية بانتشار أجهزة الراديو والتلفاز التى وسعت فى عصر الاحتواء الماركسى بثها على نحو خطير حطام كل القيم وأشاع روحا من الاباحية واللامبالاه الميوعة والغشيان حيث حشدت فيما كل المطروحات الوافدة سواء غربية أم شيوعية بهدف تدمير النفس المسلمة وإفسادها ولما كانت مرحلة هذه المدرسة أوسع وقتا من المدرسة الأولى فقد عكفت جماعات الشباب والأطفال والآباء والأمهات على هذه المسرحيات والمسلسلات المملوءة بالبذاءة والاباحية والكلمات النازلة التى يتحدث بها أحط الطبقات ، وهذا هو ما يسمى بالدور العظيم الذى قامت به الثقافة فى رعاية الآداب والفنون والمعروف بأن الماركسيين هم الذين استولوا على كافة أدوات الإعلام (الصحافة والمسرح والسينما ومنابرها) وعلى حد تعبير الدكتور لويس عوض أن المسرح المصرى خلال السنوات العشر الماضية فى عهد عبدالناصر سقط فى يد عصابة شيوعية وقد أدى ذلك إلى عدة عوامل خطيرة .

أولا : النزول بالجوار إلى أدنى مراتبه على النحو الذى يسمع فى أشد الاحياء الشعبية .

ثانياً : نشر العامية فى أدنى مراتبها .

ثالثاً : تحطيم الضوابط والحدود بين الأب والابن والزوج والزوجة بحيث تحول الحوار إلى سفاهات هجاء نازل منحرف .

وأباً : خلق أعراف جديدة تحتقر الدين وتمتهن الاخلاق وتدعو إلى الرزيلة وتحرض على الفجور ، وتدعو إلى استغلال الفرص بالسرقة والنهب وتعلمي من شأن الجنس والجريمة .

خامساً : أعلنت مدرسة التسلية والترفيه التفاهات والكلمات الهابطة والاباحيات وحطمت الاعراف الإسلامية الدينية والاخلاقية .

ويظهر ذلك جلياً في مسرح توفيق الحكيم ونعمان عاشور والفريد فرج ويوسف إدريس وسعد وهبه وصلاح عبد الصبور وميخائيل دومان ونجيب سرور .

سادساً : أعان الغناء والرقص في إشاعة روح الاباحية بل كانت بعض الاغاني الحماسية التي كانت تلقىها أم كلثوم وعبد الحليم عاملاً في خديعة الجماهير ومصدراً للنكسة وقد تأثر بهذا التيار كثير من الشباب الذي لم يكن له خلفية دينية أساسية في بيئته وظهرت عشرات الجرائم والاحداث التي قلدها طلبة المدارس ما يروونه في المسرحيات والافلام ، ولما كان المسرح في نظر الدول الغربية والشيوعية عامل من عوامل شغل الجماهير عن القضايا الهامة والهائتة عن الازمات وتحويل ابصارها عن التحولات فقد تحول المسرح في مصر إلى خمارة تعج بالجنس والسكران على ما وصفه المؤرخون للمسرح في تلك الفترة ووصف بأنه المسرح الاحمر وأن الفنون التي قدمتها الشاشة البيضاء كانت فنونا ساذجة تخاطب القرائن ، وقد حاول البعض إعطاء كلمة الفن قداسة وجلالا في حين أن هذا الفن كان سوقيا .

ذلك أن هذه الفنون جميعاً لم تعالج قضايا مجتمعية وإنما نقلت أشد ما في مطروحات الفكر الغربي والماركسي إظلاماً وصواداً وخشياً وفساداً وطرحته في أفق المجتمع الإسلامي وافتحم على الاسر البيوت ، ومنها أطفال وعذارى وآباء وأمهات يعملن على تشكيل بناتهم وأبنائهم على الحصانة والخلق والصلاة ومعرفة الله فأفسد ذلك كله .

ولم تعمل هذه الوسائل بالطرق التي كان عليها أن تعمل بها وهي تقديم

التسلية والترفيه في أسلوب هادئ بريم ، ولكنها كانت من ورائها أهواء الذين يرغبون إلى تحطيم المجتمعات الإسلامية فانتقل الضحك الهادئ المتزن إلى قهقهات الحشاشين ، وما أسماء لويس عوض (التقصيع وتلعب الحواجب والضرب على القفا والتزحلق على قشر الموز واختفاء العشاق تحت السرير أو في الدواليب) وكان هذا الفن يخدم هدفين :

هدف عقائدي وهو إفساد إيمان الناس بالله وبالقيم .

هدف اجتماعي وهو بذور بذور القلق والحقد والفرق في عقول الناس وأفقدتهم وظهر [أن هيئات المسرح وشركات السينما في سباق حاد لقتل روح الأمة وتشوته شخصيتها في الأفطار العربية بما ينتجه من فن رخيص مهرج داعر يسوق البقية الباقية من أخلاق الشرف والقوة في الأمة ويفسد ذوقها ويحطم رجواتها ويزيل عفاف نساءها ولا يرتفع بها إلى مستوى أعلى ولا يثيرها وينبها إلى أوضاعها السيئة] .

وبدا أن هناك تجارة ضخمة هي تجارة الأغاني النازلة والأفلام الهابطة لهما مراكزها وعملاؤها وخططها الذي يهدف إلى إفساد عواطف الشباب في هذا الجيل وأن هذه المسرحيات والأفلام إنما تقدم فكراً أسوداً زائفاً له وجهته وأهدافه وهو معارض تماماً لكل قيم المجتمعات الإسلامية ، يرمى إلى تدمير الشباب الغض وإفساده وتزييف إرادته وعاطفته .

وفي هذا يقول (حمد السعيدان) أن مافيا السينما تستهدف الأحداث والمراهقين والشباب والطلبة لأن عقولهم هشة قابلة للتأثر ، وترقى في عقليتهم التفاهة وتولد لديهم البلاء لأن الأفلام المصرية بمواضيعها ووضاعتها تعتبر طعماً للشباب فهم أكثر رواد السينما بينما الكبار مشغولون بمآلاتهم وهموم أرزاقهم .

وفي المركز القومي للبحوث الاجتماعية تسائل الباحثون إلى أين تقود سينما الجنس والعنف ، وكشفوا عن آثارها الخطيرة حيث أن سينما الجنس

والعنف والحلم الوهمي ، سينما الخيال العلمي المزيف في الغالب حول تفوق
الإنسان الأوربي ، هذا العالم المنسوج بتمارة لتحطيم نفسيات الأجيال
الجديدة ووضع الاغلال والقيود على عقولها وعواطفها لتسكون خاضعة
للتبعية وللنفوذ الغربي .

ولقد ازدادت مخططات الافلام الهابطة انحرافا حيث أصبحت تقدم
سير الرافعات في حلقات متصلة تكشف عن حياة الكابريهات والاسواء
الى متصل بحياتهن الخاصة ، كما وضعت أفلام عن تجار المخدرات (الباطنية)
وجاءت قصص أحياء البقاء التي كانت قائمة في الماضي ، واتسعت دائرة
افلام الجنس والمخدرات والافيون الى حد يلفت النظر ويدعو الى التساؤل :
ومن الاسف أن تدور هذه الافلام في بيوت الدهارة والكابريهات وأنها
تتصل بتاريخ سياسي أو وطني زائف .

* * *

أخطار السينما

يقول الأستاذ حسين عبدالقادر : (٢٠ / ٧ / ١٩٨٣ - جريدة النور)
تقوم السينما المصرية في الوقت الراهن بهجوم سافر ومكثف على تقاليد
مجتمعاتنا فالذي يرمق اللافتات في الشوارع هذه الايام سيجد أن السينما في
مصر تعاني من طغيان ألوان السفور والتبرج عليها بصورة تقشعر منها
الابدان وتسخر فيها الإمكانيات الفنية لارضاء النزوات وإشمال نار الشهوات
بما أدى إلى وجود صورة سيئة في ذهن كل مسلم عن السينما .

يقول الشيخ صلاح أبو إسماعيل : إن الوضع الحالي للسينما يجعلنا نتهم
القائمين عليها بأنهم يريدون تدمير النشء وإضاعة الشباب ، فنذ عهد قريب
كانت الجدران في الشوارع حافلة بمثل هذه الموضوعات السينمائية (زوجة
وخمسة رجال) ، بدون زواج أفضل ، في الصيف لازم نحب .

وهكذا تتمثل هذه العريضة جريمة نكراء نصرخ بسببها الفضيلة وتتأذى
الاخلاق والقائمون على السينما يتفننون في إثارة الغرائز والشهوات بالكلمة
والصورة وألوان المفاتن والعري والمفروض أن لكل مجتمع قيما ومقدسات
ولسكن للسينما هدمت أكثر من ٩٩ في المائة من قيمنا ومقدساتنا وامتلأت
بالغرائز والشهات في وقت غاب فيه صوت الدين الصادق عن بعض المساجد
وعن الجامعة وعن براحننا ومن أهم عيوب السينما أنها تعتمد على الشباك
فهي جرى وراء المال مهما كان منبعه ولو ضحكت عنه بالعرض والشرف
والمقدسات .

الفصل الثامن

مدرسة الصحافة

لقد كانت الصحافة من أخطر المدارس التي عمقت التغريب وعوقت النهضة وحالت بين الوصول إلى غاياتها في إمتلاك إرادتها ، فهي من حيث قيامها على قادة علمانيين أساسا فهم خصوم الداء للفكرة الإسلامية ويحاربون لها وعاملون على حجبها بقدر المستطاع عن قراءهم ، ولما فرضت الأحداث وجود الصفحات الدينية أو الملاحق الدينية أو الصحف الإسلامية فقد وضعت كتابات كل هذه الأعمال في إطار مفهوم ضيق وافد هو الإسلام بوصفه الدين اللاهوتي المتصل بشئون الصلاة والصوم والحج أو عمل الخير وإصلاح الأخلاق مع حجب مهمته الأساسية ودوره الحقيقي في بناء الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية .

ولقد كان موقف الصحافة من أكبر قضية في حركة اليقظة الإسلامية في السنوات العشر الأخيرة وهي مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية وتقنين القوانين كان موقفها غاية في المعارضة والسكرامية والتجاهل ، ذلك لأن القائمين على الصحف يكرهون أن يخرجوا من حياتهم القائمة على الانصال بدوائر الفن والمسرح وحياة الفنانين والراقصين والمغنين وهو محال واسع للمتعة المحرمة ، ولثروة الطامعة ، وللجور وراء الشهوات والأهواء .

ومنذ وقت بعيد كشف المستشرق هاملتون جب عن تبعية الصحافة للنموز الغربي في مجال السياسة ودورها العلماني في مجال الاجتماع على النحو الذي يؤيد وجهه القوى المسيطرة التي نريد دائما أن تفسد ذوق الأمة عن طريق الكتابات الإباحية من القصص والجنس والجريمة والسكر والمسرح والسينما وإعلاء شخصيات الفنانين وجعلهم مثلا أهلا

وإفساد الأسر والبيوت بما يدخل عليها من صور عارية وكلمات عارية ومن وجهة خطيرة تعارض تمام المعارفة مفاهيم الإسلام وأخلاقياته وتناقض معاني الخلق والعرض والعفاف وإفساد المجتمعات بما يطرحه كتاب علمانيون أباحيون ؛ وقصاصون مفسدون ، إلى صور وحوادث وإعلاء وتزكية للفساد الذى تقوم به مدرسة التسلية والترفيه فهما متعاقبان على هدف واحد والصحافة هما بمثابة مرآة للبث الإذاعى والتلفزيونى الخطير الذى يهدم القيم والتركيز فى هذا كله على الشباب والفتيات وعلى البيوت التى تتطلع إلى تكوين أبنائها على مسكة من الدين والخلق .

وإن أى مراجعة يسيره للميثاق الثانى عشر من بروتوكولات صهيون يكشف عن مهمه الصحافة ووجهتها حيث يقول :

« الصحافة تثير العواطف التى تقتضيها غايتنا وتمهيج الاحساسات التى نخدم أناانية الأحزاب وغاياتها والجمهور لا يعلم ولا يفهم ماذا يخدم الصحافة بين الاعراض الحزبية السخيفة التافهة الباردة ، نحن نسرّج الشعب ونلقى على ظهره البردعة وكذا نفعل بحاصلات المطابع والصحافة . »

ومن وراء أهواء الصهيونية نجد أهواء النفوذ الغربى والنفوذ الماركسى وكل منهم يسمى لبث أهدافه ، والشباب المثقف الذى يقرأ الصحف فى حيرة من أمره ، فإن الحرف المطبوع له سحره وله تأثيره .

ولكن هذه الأهواء جميعا تتجمع فى هدف واحد هو إشاعة التفاهة وتزييف الحقائق والسخرية بالناس ، وجسهم فى مجال السذاجة والبلاهة ، حتى لا يخرجوا إلى نطاق الثقافات العالية الكاشفة لأهداف الغزو الثقافى والتفريب العقائدى .

وإننا من منطلق الفهم الإسلامى نعرف أن ارتفاع توزيع الصحيفة ليس دليلا على وفاء الصحف لحاجات الناس أو للأمانة المنوطة بالصحافة تجاه الأمة ، أنهم يقصرون رسالة الصحافة فى تقديم النواحي الترفيهية ووسائل

القسامية ولكن ليس ذلك صحيحا في الحقيقة ، فإن مهمة الصحافة أكبر من ذلك وأكرم ، وليس كون صحيفة ما توزع مليوني نسخة الآن بدليل على سلامة وجهتها . أن الصحافة لا تعطي الشعب ما يريد ولكنها تفرض عليه ما يريد هو ، وهي ليست أداة تلمية وترفيه حتى يقال أنها تشبع رغباته ، ولكنها أداة توجيه وبناء لشخصيته على أساس أن يكون مواطنا صالحا فاعلما للتيارات التي تجري من حوله ، وليست زيادة التوزيع دليل على رضا القارىء :

لقد استطاعت الصحافة أن تفسد فطرة الجماهير ، وأن تعتمد على الإثارة وأخبار الجنس والجريمة ، ونشر قصص الطلاق والفضائح ، وأن تستطيع أن تشغل الجماهير بقضيه تافهه عن قضايا الحقيقة .

هناك من لا يتوقف يوماً عن تقديم أخبار الفراعنة وقبور الملوك ، وفلسفة ما وراء الوثنية وعبادة الأصنام ، وهناك يوميات السحرة والاساطير والخرافات ، وهناك دعوات موجهة إلى الإباحية والأفلام الجنسية وأفلام الجريمة ، هناك صحافة دفع المرأة إلى الشطط ، بهدف هدم الأسرة وتدمير المجتمع ، حتى أصبحت الصحافة أداة لافساد الذوق والانحطاط بمستوى التفكير وإشاعة التحلل والفضول والتفاهة ، فهي اليوم مدرسة للإثارة والفضول والمبالغة .

ولقد كانت أوليات هذه الاسماء اللامعة أوليات منفرة ولكنهم عادوا تحت ضغط ظهور مفاهيم اليقظة الإسلامية إلى شيء من المناورة المأكرة ، كان زكي عبد القادر يكتب بطريقة العلمانيين المنفرة ولكنه عدل طريقه في آخر أيامه ليتمكن من كسب أكبر قدر من القراء بالتحرك في إطار عبادات براقة مثل (القوة العليا) ومثل هذه المصطلحات التي تتخدع القراء عن مفاهيم الماسونية وقد تم تعيين زكي عبد القادر في يونيو ١٩٨١ حاكماً للمنطقة الليونز في مصر والتي تضم سبعة أندية لليونز وسافر إلى الولايات المتحدة بدعوة من مؤسسة الليونز الدولية في أمريكا ، وقد عمل في الانخراط ١٢ م — طريق النهضة

منذ ١٩٥٠ ومنذ صدرت أخبار اليوم ١٩٤٤ وصدرت الأخبار ١٩٥٢ امتداداً لهذا التيار كان ذلك بداية تغير شامل في الصحافة المصرية قاده (مصطفى أمين) فقد بدأت في احتواء جميع الصحفيين اللامعين في مصر ثم الكتاب المنشئين .

وقد تم ذلك بسرعة فائقة ، فانضم إليها على فترات : العقاد وتوفيق الحكيم والمازني وهيكل وطه حسين وسلامة موسى ، وكان أغلب هؤلاء يكتبون في مجلة الرسالة بأسلوب أدبي رفيع ، وقد تغير هذا الاتجاه ، فقد تم تحويل هؤلاء الكتاب البالغاء إلى صحفيين ، وامتد الاحتواء إلى الصحفيين البارزين فضمت التابعي وزكي عبد القادر والصاوي وكامل الشناوي وجلال الحامصي ، وبذلك سيطرت أخبار اليوم على هؤلاء الكتاب وجعلت وجهتهم هي وجهتها في مختلف القضايا التي يقدمها مصطفى أمين أو الهدف الذي هو سائر إليه ، فقد أصبح هؤلاء الكتاب جنوداً للحضارة الغربية الرأسمالية ، ومبررون لتبعية البلاد العربية ومصر إليها .

وكان مصطفى أمين قد بدأ عمله الصحفي بخطة محدودة وبأهداف واضحة : منها تأييد حرية المرأة ومحاربة اللغة العربية الفصحى ، وإبراز عنصر الإنارة في عرض الحوادث ونقل البيان العربي من مستواه الذي وصل إليه إلى مستوى صحفي ، يبدو هذا واضحاً في أحاديثهم مع عباس خضر وغيره كما كان لاحتواء هؤلاء الكتاب تأثير واضح في أضعاف تيار المحلات الأدبية والثقافية التي كانت تدفع مكافئات قليلة بالنسبة لما أخذت تدفعه أخبار اليوم نظير تحول هؤلاء الكتاب أمثال العقاد وتوفيق الحكيم إلى أسلوب أقرب إلى العامية : وبذلك نشأت مدرسة صحفية رخيصة في مضمونها وفي آدائها أيضاً ، وتركزت قاعدة أساسية تغريبية في دار أخبار اليوم التي كانت تصدر آخر ساعة ، ومجلة الجليل وغيرها) . وفي مقابل جريدة الأهرام التي كانت فرنسية البرعة مارونية الهدف ولم يكن لديها كتاب بارزون (بعد خروج زكي عبد القادر والصاوي) وإن كانت قد انتعشت بتولى محمد حسين هيكل لها ١٩٥٦ الذي قادها إلى منهج غربي صحفي مختلف في مظاهره عن صحافة أخبار اليوم ، وإن كان في بعض صورته أشد عنقاً فقد احتوى مجموعة التغريبين وغللمان

المستشرقين أمثال توفيق الحكيم ، ولويس عوض ، وكamal الملاخ ، وزكي نجيب محمود ، وحسين فوزي ، ورشاد رشدي وغيرهم ، ولقد كان هيكلا كما كان مصطفى أمين يصدران من نبع واحد هو ولاية التبعية الغربية هامة والأمريكية خاصة وأن اختلفت الوسائل والأدوات .

ومن ثم بدا من العسير أن يستطيع أى كاتب أو أديب إصدار مجلة أدبية أو ثقافية فقد ارتفعت أسعار الطباعة والكتابة ، وقد كان هذا محاصرة واضحة لكل فكري يختلف عن الفكر التابع الوافد السائر في هدف التغريب وفي خلق (مزاج) ثقافي وفكري وأدبي واجتماعي في المجتمع المصري والعربي خلال هذه السنوات الأربعين (١٩٤٢ - ١٩٨٢) مما يمكن دراسته دراسته موسعة على أنه غير كثير من الأوضاع الروحية والنفسية والاجتماعية وقد أفرزت هذه المدرسة أنيس منصور وموسى صبرى وعلى الجمال الذي كان من تلاميذ هنري كيسنجر .

وهناك المدرسة الصحفية الماركسية التي اشتعلت في عقود التبعية السوفيتية وسيطرت على الصحافة حتى عام ١٩٧٤ حينما فرض السوفيت نفوذهم على مصر أبان حكم عبد الناصر ، هؤلاء الكتاب لا يعرفون شيئا من شرف الخصومة وعداوتهم للإسلام واضحة وهى أشد من خصومه كتاب التغريب وهم يعطون حق العلم أن الإسلام هو ضمير الأمة وأن القرآن حامى مقوماتها ورمز وحدتها ولن يكون لهم ظهور ماضل هذان .

وفي خلال أكثر من أربعين عاما عمدت الصحافة إلى تشويه الفكرة الإسلامية وإبرازها في قالب مخالف للحقيقة ، متعمدة تشويه وجهة نظرها وإعلاء وجهة نظر خصومها فهي تنشر مرافعات الخصم وتتجاهل مرافعات الدفاع ، وتفسح الطريق للاتهام وتزوى علامات البراءة ، بما يؤكد تبعية الغربية وولائها الخارجى في نفس الوقت الذى يكشف زيف دعواها بأنها تؤدى واجبتها أمام جموع الشعب بأمانة وثقة .

وتحول الأدب والفن وصفحات السينما والمسرح إلى سلعة استهلاكية رابحة

أكثر منها رسالة إنسانية ينساق فيها الكاتب وراء إغراء النجاح الهين
والكسب السريع ويسمونه دخل الشباك .

ولقد أقيمت الصحافة عن طريق الأساليب الخادعة التي هي إعلانات مزورة ،
دوراً رئيسياً في تضليل الجماهير وكسب ثقتها وانسياقها وراء التفاهات السهلة ،
وهناك الأبواب الصحفية التي يقدمها حملة القمامة وباعها الضائير من أخبار
وتفليقات مفضية في إثارتها لأنهم يغطونها دائماً بالكاذب مفضوحة وهناك
ما هو شر من ذلك : أبواب البخت وطوالع النجوم .

(٢)

تجاوزات الصحافة السياسية

كانت الصحافة السياسية في العصر السابق خادمة للأحزاب ، وهي في هذا
العصر خادمة لنظام الحكم القائم بتقديم وجهة نظره في مختلف القضايا الخارجية
والداخلية ، هذا في ظاهر الأمر ولاهتير في هذا ولكن وراء الصحافة قوة أخرى
تعمل في الخفاء هي التفریب ، وهذه مبعثرة في صفحات المسرح والسينما والألعاب
للرياضية وصحيفة الجريمة والقصص والمرأة وغيرها .

فالمصطفى يتبع الحكومة ويروضها بالواجهة السياسية التي تتمشى مع وجهتها
ولكنه فيما وراء ذلك يخدم أهدافاً أخرى ترمي إلى تغريب الذوق والمشاعر
والأحاسيس وفي عصر الاحتلال عندما كانت الزعامات الوطنية تجارب النفوذ
البريطاني السياسي كان كتاب السياسة أنفسهم يصعدون عن إعجاب وتقدير
وتبعية للنفوذ الغربي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ويعلمون أن النظام
الرأسمالي والليبرالي هو أصلح الأنظمة للبلاد العربية ، ومعنى هذا أن الحركة
الوطنية ، كانت مدخوله لأنها كانت تجارب الاحتلال السياسي والعسكري
وحده ، وهي تقبل من النفوذ الأجنبي كل ما سوى ذلك وهو ما حققة الاستعمار
عندما جلى عسكرياً وترك النفوذ السياسي الظاهر لقادة الأحزاب السياسية
الذين كانوا مع ولاء للوجهة الغربية منكروا تمام الإنكار للاتصال العربية

الإسلامية التي تتمثل في النظام الإسلامي في مجال الاقتصاد والاجتماع والقانون والتربية .

فلما جاء عصر سنة ١٩٥٢ بدأ أن الخلاف ينحصر في مسألة الجلاء والنفوذ العسكري .

أما بالنسبة للنظام الاجتماعي فقد كان هناك إعجاب وانبهار بالانظمة الغربية وخاصة النظام الأمريكي الذي كان قد طفا على السطح بعد تهديم نفوذ الامبراطوريتين الانجليزيّة والفرنسيّة .

ومن ثم فقد كانت الصحافة ذات ولاء طبيعي لحركة الجيش ولقائدها السياسية ولكنها في مجال الاجتماع والفن والمعرض والتعليم والرياضة وغيرها كان هناك تبعية واضحة للنفوذ الغربي وإعجاب به وقبول له .

ولكن هل كانت الصحافة السياسية أمينة في تقديم الصورة العاملة للجمهور وتحولاته وما يروج به من دعوات وتطلعات في هذه الفترة . تستطيع أن نجيب بأن الصحافة قد عشت الامة في هذا الجانب وكانت كاذبة ومخادعة فكيف صفحات من حركة المجتمع نحو الاصاله ومواقف حجبتها الصحافة ومنعتها وحالت دون تقديمها للناس ، بل لعلها كانت دائماً في صف الحكومة في وجهة النظر عما تود الحكومات أن تعلنه أو تحجبه ، تؤيده أو ترفضه .

ومن ثم فإن صفحات كثيرة من حركة المجتمع سقطت من الصحافة ، ولم يكن سقوطها إهمالاً وإنما كان عن أصرار . بل لقد حاولت أكثر من ذلك أن تصور هذه الايجابيات في صوره سلبية وأن تنقدها وتزييفها وتسخر منها .

فهي لم تكن في الحقيقة أمينة على تقديم الصورة الحقيقية ، أو صادقة في الكشف عن تحركات المجتمعات نحو أهدافه ، ومن ثم فإنها لا تصلح لتكون مصدراً تاريخياً فإذا اعتمدت كانت مصدراً زائفاً .

كان القائمون على الصحافة غامانيين ومن جماعة الحان المعروفة ، التي

لم تبرز أسماؤها إلا لانها استطاعت أن تقدم خدماتها في مجالات كثيرة .

وكانت ذلك ولاء مع نفوذ المغنيات والراقصات والممثلات اللائى جاء يوم أن قدموا فيه للامة على أنهم مثل أعلى في ملابسهن وحركاتهن ووجاهات نظرم القاصرة والمخدوعة ، وعاشت صحافتنا على تقديم تاريخ يومى لميلاد أحدهن أو وفاتها بينما بقي اعلام الامة مجهولى الميلاد والوفاة ولا يهتم بهم أحد .

هؤلاء الذين تصدروا للصحافة من تلاميذ مصطفى أمين وروز اليوسف ، لم يكن فى الإمكان أن يقدموا للامة صورة صحيحة لما يتحرك فى إحشاء المجتمع ولذلك فقد حجبتم تماماً جميع الخطوات الخاصة بالشريعة الإسلامية .

ولم يتوقف الامر عند الكتاب والصحفيين دائماً امتد إلى أصحاب الاعمدة وأصحاب الكاريكاتير وأصحاب الابواب الثابتة فقد تصدر هذه كلها تغريسيون وشعوبيون يولون اهتمامهم إلى التاريخ الفرعونى ، وإلى الاساطير القديمة ، وإلى السخریات التافهة ، وإلى نقول من كتب غربية فاسدة ، حول الجنس والجريمة . على حد ما يكتب أنيس منصور وأحمد بهاء وكامل زهيرى ومصطفى أمين .

وهناك تلك الرسائل الزائفة التى برع فيها مصطفى أمين وحاشيته والتى تخترع رسائل بأسماء زائفة فى مناسبات معينة لتقول أشياء هى من أهواء هؤلاء الناس التى يحاولون أن يطرحونها على الناس وكأنها قادمة من الناس أنفسهم .

• حجب الصحافة أحكام المحاكم التى طبقت الشريعة :

• حجب الصحافة أحكام ألغت اتهامات ظالمة فى المصادرة والسجن وغيرها

• حجب الصحافة مخططات كاملاً لدراسة وتقنين الشريعة الإسلامية .

• وسنرى طريق هذه الاعمدة التى سيطر عليها ماركسيون ووجوديون وشعوبيون يجرى البث اليومى لمفاهيم منحرفة ، تغريبية فى الأساس ، تمارض مفهوم الإسلام سواء فى الحديث عن الحب أو المرأة أو العمل أو الزواج أولى شأن من شؤون الحياة .

ولما اختفى عصر الماركسية تخفى هؤلاء الكتاب وراء أفئدة جديدة ، تحمل طابع الغش والمداخلة في شأن الإسلام أو إرضاء مشاعر الناس ولكن الدس مازال مستمرا والسموم مازالت تبت يوما بعد يوم .

بينما لا نستطيع وجهة النظر الأصلية والمسلمة أن تجد طريقا لتقدم وجهة النظر الصحيحة ، أو تتابع يوما بعد يوم ما يقدم من سموم وأكاذيب ولعل السياسة ترضى عن هذا الاتجاه ، لأنه يشغل الناس بأشياء كثيرة من تفاهات الممارك والجرائم والاحداث ولعلها توظف هذه الأبواب كلها ، من رياضة ومسرحية وغيرها في شغل الناس عن حركات السياسة ولكن يبقى بعد أن هذه الصحافة لا تستطيع أن تقول أنها تمثل واقع الأمة المختلف تماما والذي نجحت منه وقائع كثيرة وجوانب كثيرة لأنها لا توضع وجهة نظر الصحافة القومية .

(٣)

كيف أفسد التغريب الصحافة

في عصر تتطلع فيه مصر أن تبني مكانتها على طريق الله نجد أن يوميات الاخبار تهدم كل محاولة للبناء بما يعرضه كتاب هذه اليوميات من سموم : فيقدم إسماعيل يونس (ضيف في بلاط الملك شمشورش) حيث يتحدث عن فتح الفنجان ، كأنه انجاز ضخم أو حدث كبير أو اختراع جديد ، لماذا هذا التغريب بمقول الشباب ، هل هو عمل مقصود أم أن المحررين لا يجدون إلا هذه التفاهات ، أم أن سياسة الصحافة الآن قد أصبحت قائمة على مثل هذه التغريبات التي يراد بها تدمير شباب هذه الأمة وشغلهم بهذه الأمور الفارغة ، والنزول بمستوى الكتابة والثقافة إلى هذا الدرك .

ولماذا يستشترى هذا اللون من الكتابة عن السحر ، وماسمى عالم الجن والارواح والعفاريت في أمة يعلمها دينها تفاهة هذه الأمور وفسادها ، فإذا لم يكتب عن السحر كانت الكتابة عن تلك الأفلام السينمائية القذرة من أمثال (درب الهوى) الذي هو فيلم أريد به إحياء حي البغاء الذي كان قائما منذ عصر

مضى في حى كلوت بك والشهر باسم (درب طياب) حيث عاشت جماعات البغا وحول هذا تدور أفلام ينفق عليها من المال ما ينفق ويفرى الشباب البرى بحضورها وتفتح أمام عقولهم وغرائهم تلك الصور القذرة ، حيث يسمى الكتاب هؤلاء بنجوم الدعارة ولماذا نعيد إحياء هذه الصفحة السوداء التى طويت من تاريخ الاستعمار البريطانى فى مصر .

فإذا لم تجد هذا وجدت فنونا أخرى من التفاهات تخصصت فيها أبواب المسرح والسنيما وكرة القدم .

وإذا كان السحر من متخصصات اليهودية العالمية منذ فجر التاريخ فنحن نعرف كيف يواد باذاعة هذه القصص وهذه الأحاديث تحويل أنظار الناس عن القضايا الأساسية فى أوطانهم وأمتهم إلى الاساطير وعالم الجن والعفاريت . وليس السحر وحده ولكن هناك قضية الفرعونىة التى لا تتوقف ، كأنما أصبحت جزءاً من السياسة أو الاقتصاد ، فلا يمر يوم دون حديث عن تلك القبور المكشوفة والجبانات المستصلحة ، وذلك الرتل المتصل من الخبراء القادمين من جميع أنحاء العالم يبحثون عن التماثيل والاصنام .

ولا يقف الامر عند هذا بل هناك أحاديث عن ذلك التاريخ وعن فلسفة الوثنية وعبادة الآلهة يذاع ويردد ويعاد على أنه نوع من المجد القديم ، فهل هذا كله من أجل مرغيب السامعين أم من أن تحويل وجهة الامة عن دينها وعقيدها .

أن ما يقوله الدكتور أحمد قدرى عن الفرعون غير دقيق وفيه تكذيب للقرآن الكريم ، فليس صحيحاً قوله (فالفرعون لم يكن كما يتصوره البعض فى العصر الحديث ظالماً متجبراً ، هذا تصوير بالغ الظلم . الفرعون كان هو الراعى الخير الذى يحافظ على انتظام الظواهر الطبيعية حتى الفيضان وقد وصل الفراعنة إلى هذا المفهوم من العدالة من خلال ثورة فكرية وشعبية بالغة الخطار .

وهذا الكلام لا يثبت أمام ما عرفه التاريخ الصحيح من مظالم الفراعنة وما سجله القرآن فى هذا الصدد وأن هذه المحاولة من الدكتور أحمد قدرى لا نستطيع أن تثبت أمام الوقائع المعروفة .

وهذا مادفع السكانية (حسن شاه) أن تكتب مقالا عنوانه (انقذنا يا آمون) وهي بذلك تعرض نفسها للاستعانة بغير الله تبارك وتعالى تحت تأثير الاحساس بما سموه عظمة الحضارة الفرعونية حتى تتحدث عن تماثيل الفراعنة العظام .

كذلك فقد كان للكاريكاتير دوره في السخرية بالمفاهيم الإسلامية ولا يزال ، ومن الشبهات المثارة قصة الحب الإلهي التي اتخذوا من شهر رمضان مناسبة للحديث عنها ، وما يتصل بها باستقصاء الشعر الذي يتناول هذا الأمر ، وخاصة ما يتصل برابعة العدوية ، والحقيقة أن الإسلام موقف من هذا الشعر ومن هذا الاتجاه الدخيل على مفهوم الإسلام الاصيل الجامع بين الخوف والرجاء من الله تبارك وتعالى ، أما هذا الاتجاه الذي ظهر من خلال نزعات التصوف الفلسفي فإنه ليس اتجاها إسلاميا أصيلا ، وهو يستمد من الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية ، وليس كل ما يتصور الكتاب من شعر تحت اسم الحب الإلهي ، هو شعر مقبول في مفهوم الكتاب والسنة . فقد أغرب هؤلاء الشعراء وخرجوا على مفهوم الإسلام إلى مفاهيم أخرى منحرفة عن الإيمان بالتوحيد الخالص .

وليس كل الكتابات الموسومة بالتصوف هي في ذاتها صحيحة ، إلا إذا التمس مفهوم الكتاب والسنة ، أما إذا خرجت عنه إلى مفاهيم الاتحاد والحلول ووحدة الوجود وغيرها فهي ليست من الإسلام في شيء . ومن هنا نرى كيف أن الصحافة تحاول بهذه الانحرافات أن تخدم مفهوما مغائرا للفطرة وللمفاهيم الإسلامية الصحيحة ، وهي محاولات ترمي إلى توهين العقيدة الإسلامية وضرب المفهوم الإسلامي الاصيل ونحن نعرف أن كتاب اليوميات اليوم هم جماعة من الشباب العابث الساخر ، العلماء الوجهة ، المنحرف الاتجاه نحو الإعجاب بالفنون العابثة والولاء للقاءين بها تلقاء تلك السهرات والضحكات وتلقاء أشياء أخرى فإن عددا كبيرا من هؤلاء الكتاب يحصلون على عطاءات وهدايا من أصحاب الأسماء الالمة في ميدان الفن ، ومن صويحيات هذه الأسماء .

(٤)

الصحافة وكتابة التاريخ

إذا سأل سائل هل يمكن أن تكون الصحافة القائمة فعلا خلال الثلاثين عاما الماضية مصدراً صحيحاً لكتابة التاريخ : تاريخ مصر والعالم الإسلامى لكانت الاجابة حاسمة صريحة : لا ، لا ، لا .

ذلك لأن الصحافة بطبيعتها خاضعة لوجهة نظر الدولة ، وهذا ليس منه بأس ولا خلاف ما دامت قادرة على أن تقدم وجهة نظر الامة فإذا لم يكن ذلك في مقدورها فبى تمثل في كتابة التاريخ لإحدى وجهات النظر التى لا يكتمل العمل التاريخى معها إلا بعرض الجوانب الأخرى وهذا ما نواه اليوم من تحقیقات وذكريات وأحاديث يكتبها كثيرون ممن شاركوا في الحياة السياسية قبل ١٩٧٠ تكشف عن بعض الجوانب التى كانت غامضة أو لم يكن من اليسر نشرها فالمعروف أن الصحافة كانت حتى هذا التاريخ تمثل وجهة نظر واحدة سواء بالنسبة لقضايا المجتمع أو السياسة . لقد كان كتاب الصحف مفسرين لوجهات النظر الحاكمة ، ولم يكن لهم رأى واضح صريح ، ولم يكن في مقدورهم تقديم تحفظات على تصرفات الحكام ، وقد جرت الصحافة في اتجاه القومية ثم في اتجاه الاشتراكية ووالى وعادت وغيرت وجهتها حسبما كانت تجرى التوجيهات وكان يحدث كثير من التناقض في معاداة من والته الصحافة ومجدهته فإذا هى تنتقصه وتهجوه ، أو يحدث العكس تماما ، هذه هى الواجهة العامة لصحافة مؤمنة أساسا وتملكها الدولة وليس في مقدورها أن تستقل بوجهة نظرها ، وهى مرحلة تالية تماما وشبيهة للمرحلة السابقة التى كانت الصحافة فيها موظفة لدى الأحزاب والملاحظ في هذا الصدد أن أحداثا سياسية ذات أهمية كبيرة لم تسكتب عنها كلمة واحدة، وأن أحداثا ضخمة كعزيمة ١٩٥٦ صورت على أنها انتصار ، أو كعزيمة ١٩٦٧ التى صورت على أنها نكسة وقد كانت الصحافة تعبر عن وجهة نظر معارضة تمام المعارضة لإحدى القطبين الكبيرين مع ولاء للقطب الآخر ، وكانت وجهة نظر السوفييت السياسة

العالمية هي الغالبة ، ووجهة نظر الماركسية في الأدب والاجتماع والاقتصاد والتربية هي الظاهرة وذلك خلال سنوات ١٩٦٢ إلى ١٩٧٢ مع عرض مختلف جوانب النقض للمجتمع الغربي عامة والمجتمع الأمريكى بصفة خاصة .

وفي نفس الوقت لم تستطع الصحافة أن تعلن وجهة النظر الصحيحة ازاء قضايا المسلمين في العالم الإسلامى وخاصة في الحبشة وقبرص والفلبين ، وقد وقفت الصحافة في الصف المعارض للمطالبين بالحرية في هذه الشعوب مع التأييد الكامل لوجهة نظر هيلاسلاسى ومكاروس وماركوس حاكم الفلبين ، مع نشر صفحات ١٣٠٠ عن بلاد الفلبين في جريدة الاهرام الاجر تأييدا للحكومة ازاء جهاد مسلمى الفلبين الذين كانت تدمر قراهم ويقتل ، مجاهدوهم كذلك فقد اغفلت الصحافة موقف الامة من المطالبة بتعديل الدستور وإضافة مادة الشريعة الإسلامية ١٩٧٠ وماحدث من مظاهرات قادها شيخ الازهر الدكتور عبدالحليم محمود في هذا الشأن ومايتصل بالقوانين التي أعدتها لجان الازهر وناقشتها لجان مجلس الامة ، ولم تستطع الصحافة المصرية أن تقول كلمة صريحة وحررة عن كثير من النظم والتنظيمات وخاصة مايتعلق بالبعث والنصرية وانفاقية اديس أبابا مع السودان واستشهاد بعض حكام إفريقيا المسلمين .

وهناك مسئولية الصحافة المصرية من الناحية الاجتماعية التي كانت تعمل فيها الافلام لحساب قوى التغريب والعلمانية وخاصة ما تقدمه الإذاعة والسينما والمسرح من أعمال تمثل وجهة نظر النفوذ الأجنبى ، أو الماركسية ، وخاصة في مسائل ما يسمى بالانفجار السكاني أو تحديد النسل ، وعلى كل حال فإن وجهتى النظر الغربية والماركسية جميعا لاتقدم الحقيقة التي تهتم العرب والمسلمين وإنما تقدم وجهة نظر الايدولوجية التي تخضع لها الافلام .

ومكثدا عاشت الصحافة بين هذا التناقض في المواقف والتقلب في الآراء والتحول من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ثم العودة ، في صفوف الرأسمالية ثم المناداة بالاشتراكية والتهديد للشيوعية ثم مطاردة الشيوعيين وتبرير الدكتاتورية والترجييب بالحزب الواحد والرأى الواحد ، والترجييب بالنفوذ السوفيتي

وتأييد انغلاق مصر على العالم ، ثم هي نفس الأقدام التي رحبت بالانفتاح على العالم ، ومهاجمة الانقطاع والمطالبة باعدام أصحاب الثروات ومباركة فرض الحراسات ثم معارضة ذلك كله عندما تتغير السياسة من التقيص إلى التقيص بلا أدنى خجل .

وكان من عمل الصحافة نألية الحاكم ورفعه إلى مرتبة كبرى فإذا رحل عن الدنيا أخذت القووس والمعاول تنهال عليه تشهيرا وتزيقا وتجريحا وتشويهيا ، وتشويه الدول التي يختلف معها الحاكم والافراء عليها وهناك الكتاب الذين لا يكشفون عن هويتهم الماركسية ويدعون أنهم علمانيون أو يساريون وهم أشد خطورة من الماركسيين أنفسهم . ولم يكن في استطاعة الصحافة وهي بين العمل لتيار الحاكم والولاء التفريسي الأساسى الختفى وراء صفحات الفن والمسرح والسينما والكاريكاتير والجريمة والجنس والقصص أن تمثيل وجهة نظر الجماهير وتستجيب لنفض الجماهير وإنما هي تعرض عليه وجهة نظرها مخفية وراء قاعدة مسمومة فاسدة وهي الاستجابة لاهواء القراء ونزواتهم وغرائزهم والوجهة الصحيحة هي الارتقاء بالتأريء إلى الشخصية الإنسانية الاخلاقية وإلى الثقافة الوافرة التي تفهم وجهات النظر المختلفة لبناء وطن قادر على العطاء الصحيح .

الباب الرابع

تمزيق الوحدة الإسلامية

الفصل الأول : المؤامرة على الوحدة الإسلامية .

الفصل الثاني : تآمر دول الغرب على الإسلام .

الفصل الأول

المؤامرة على الوحدة الإسلامية

أخطر الحركات التي واجهت العالم الإسلامي ومزقته إلى قوميات وإقليميات تحت أسماء مختلفة ، في ردة خطيرة من وحدة العقيدة إلى فرقة العناصر ، فهناك الاجناس : العرب والترك والفرس ، وهناك الاوطان : العراق وسوريا ومصر ، وهناك المذاهب : السنة والشيعة والدروز وهناك الاديان : الإسلام والمسيحية ، كل هذا إثارته حركة القوميات وفتحت أبوابه اصراع رهيب ضخم كان النفوذ الاجنبي يستهدفه لتفكيك وحدة المنطقة فلم يكن المسلمون قبل هذه المؤامرة يعرفون إلا أنهم مسلمون قبل أن يكونوا عربا وغير عرب أو ذوى أطان كأن يكونوا مصريين أو سوريين أو عراقيين ، وكذلك كان شأن المسيحية في هذه الامة ، لهم مكانهم وحمايتهم وأعمالهم ، في أمن للعقود التي عقدها الرسول مع بنى نجران وعمر مع المسيحيين في القدس واسكن المؤامرة كلها كان لابد أن تبدأ من هذه النقطة ، لاها النقطة الاولى القادرة على تمزيق هذا السكبان الموحد ، وغرس كيانات أخرى في المنطقة كالصهيونية وإثارة الاجناس والعناصر إلى المطالبة بأوطان مستقلة كالنصارى في لبنان ، والاكرد في العراق ، وعناصر أخرى كثيرة تحركت تدعو إلى أن يكون لها كيانات منفصلة .

وبعد أن مرت هذه التجربة بذلك الخاض الطويل الذي وصل ذروته في أبان الحركات الناصرية والبعثية وغيرها ، والفشل الذي منيت به ، والنتائج التي وصلت إليها هذه الدعوات التي استعملت بالعنصر تحت اسم القومية ، لنصب الاحقاد بين أبناء الامة الإسلامية وتمزقها ، نجد أن هناك ماتزال محاولات لايقاد النار في ذلك الهيشم وقد ما كان من أخطر نتائج تناحر القوميات تلك الحرب بين العراق وإيران ، وذلك الصراع الرهيب بين القوى في لبنان

أن هاتين المعركتين هما ثمرة طبيعية لتلك النار التي أوقدتها دعوات القومية والافليمية والعنصرية ، والتي تردى فيها المسلمون تحت اسم القومية العربية بينما كان مؤججوها هم المحققون وراء المسرح من خصوم العرب والمسلمين الذين يطعمون في أن يظل الصراع قائماً بين العناصر ، وحتى لا تلثم الجراح وحتى لا تعود الوحدة الإسلامية بأى صورة مرة أخرى .

لا ريب أن تلك الصراعات الشعبية الدفينة التي تأججت منذ مطالع تسلط النفوذ الاستعماري على البلاد الإسلامية ، هي التي يعزى إليها هذا القدر الهائل من الكراهية والتعصب الذي تدار به معارك القتال الوحشية بين شعبين أو دولتين أو نظامين تجمعهما رابطة الإسلام ليست الحضارية والتاريخية حسب ولسكن والعقائدية أيضاً .

ومهما تكن الاحقاد التاريخية القديمة التي إبتعثت من جديد بين إيران والعراق أو بين الفرس والعرب أو بين الشيعة والسنة فإن الحرب الدائرة تتجاوز هذه البواعث القديمة ولا تتناساها .

وقد وجدت هذه الخلافات البسيطة من يكبرها الف مرة ومن يوقظها لتحدث أثرها في النفوس والقلوب (ومن قبل قام اليهود بمثل هذا العمل بين الأوس والخزرج أيام النبي بعد أن جمعهما الاسلام حتى كادا يعودان إلى القتال مرة أخرى) .

ويرى كثير من المطلعون أن هذه الحرب المشتعلة منذ ثلاث سنوات بين العراق وإيران هي في التحليل النهائي تمثل حلقة من حلقات الحصار الذي أحكمت حلقاته حول المنطقة العربية في الشرق الأوسط بسبب أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية سواء بالنسبة لأمريكا أو الاتحاد السوفيتي أو بالنسبة لأوروبا الغربية واليابان وآسيا .

فهذا ك رغبة على الإبقاء على حالة عدم الاستقرار في المنطقة وضرب كل محاولة للهوض أو إمساك زمام مصيرها وثرواتها بأيديها - على حد تعبير الاستاذ سلامة أحمد سلامة - فكان الصراع العربي الاسرائيلي وحده لا يكفي لإبقاء

شعوب المنطقة فوق نار لا تخدم ، كما أن احتمالات التقارب بين إيران الثورة والبلاد العربية بعد إزاحة الشاه ، اقضت مضاجع السكثريين من العرب وإسرائيل ومن ثم كان طبيعيا أن تستخدم كل الوسائل في سبيل الايقاع بين الثورة الإيرانية والبلاد العربية وخاصة دول الخليج وسقطت الدول العربية وعلى رأسها العراق في مصيدة عداء سافر مع إيران الثورة لم يستفد منه طرف عربي واحد ، واستفادت منه كل القوى الكبرى الطامعة في المنطقة ومعها إسرائيل ، كانت هناك مخاوف من بعض الدول العربية ، لها ما يبررها ولكنها تضخممت وانتفجت بفعل تأثيرات خارجة يهيمها أن تدسع دائرة العداء وأن تلتهم آله الحرب كل ما تملكه هذه الدول من قدرة على الاستمرار والاستقرار والاختذ بأسباب المنفعة والقوة وقد تحولت الحرب العراقية الإيرانية لسوق هائلة للسلاح تشارك فيها كل الدول الكبرى بدون استثناء بما في ذلك الاتحاد السوفيتي والصين وفرنسا ، وتستهدف مقدرات مجموعة من الشعوب الإسلامية والعربية على رأسها العراق وإيران ، أما القومية فلم تقف عند إعلاء العرب على الإسلام أول محاولة الخداع بجعل الإسلام عنصرا من القومية ، بل هم يذهبون إلى أبعد من ذلك ؛ إلى علمانية حاكمة تحارب الدين وتسمى لاقتلاع جذوره ، على النحو الذي قام به أتاتورك في تركيا فأصبح المثل الأعلى لكل الدعاة إلى القوميات ، وكان مخطط الاتحاديين في تركيا هو مخطط البعث والناصرية وغيرها من هذه الثورات .

واليس الهدف سلخ العرب عن أصولهم وتاريخهم وماضيهم ولا عن الأمة الإسلامية العريضة في حاضرها وإقامة السدود والقيود ، والخصومات بين العرب وبينها ولكن إلى أبعد من ذلك : إلى محاربة المنهج الإسلامي نفسه ، على أساس القول : بأن الإسلام كان مرحلة ، وإنه ولي وأدبر ، وإنه لا نهضة إلا بالخلاص منه فهو لا ينهض أساسا كأساس لوحدة ، ولا نظاما لدولة .

فهم ينتظرون إليه بوصفه (دينا) بمفهوم الغرب اللاهوتي لا بمفهوم الإسلام الجامع (الذي يربط بين العروبة والإسلام) .

لم يتوقف الهدف عن تجزئة العرب عن المسلمين أو فصل العرب عن الإسلام بل سعيًا إلى تجزئة عالم العرب نفسه فجاءت نداءات الفرعونية والفينيقية ، وغيرها .

ولم يكن الإسلام جزءاً من العروبة بل أن العروبة لم تكن شيئاً بفكر الإسلام أو قبل الإسلام فقد شرفهم الله برسالة الإسلام وبظهور النبي من بينهم ونزول القرآن بلغتهم فقام مفهوم العروبة في إطار الإسلام .

(٢)

وافد قدم النفوذ الغربي القوميات والوطنيات بديلاً للإسلام ، ومن أجل هذا حجب كلمة (العالم الإسلامى) بمعناها الجامع الذى يتحدث عن وجود عام شامل للمسلمين فى أممهم الكبرى بالعمل على إشاعة مفهوم القوميات والوطنيات التى أحيت من جديد مفهوم ما قبل الإسلام ، ولا ريب أنه بعد هذه الجولة الواسعة للقرنية التى قام بها البحث والناصريه وقبيلها الذريع ، فقد كان على المسلمين أن يأخذوا العبرة من هذه التجربة التى لم تحقق هدفاً لأنها انطلقت بغاية معينة مضمرة هى أن تحل محل الإسلام وأن تلغى روابط الأمة الربانية: القارة الوسطى ، واسكن بعد مرور هذه التجربة الضخمة ، تعاود بعض فلول القوميين العرب العودة إلى تجديد الحديث عن مفهوم للقومية مفرغ من الإصالة والإيمان ولا يتلام مع روح الأمة الحقيقية وبعيد كل البعد عن مفهوم الإسلام الأصيل الجامع الذى لا يتعارض مع قيام الروابط الوطنية والقومية شريطة ألا ننتهى إلى العنصرية والدم والاستعلاء بالأعراق ، فذلك مفهوم قضى عليه الإسلام حين جاء منذ أربع عشر قرناً .

إن محاولات القوميات الجديدة هى محاولات مضنية تحمل نفس مصطلحات ساطع الحصرى وميشيل عفلق وغيرهما فى محاولة أن تحاكم المنطقة على أنها كيانات مجزأة ، ومن وراء ذلك عصبية قبلية وعرقية وعقدية تريد أن تثبت وجودها ، وما هذا إلا دليل على الخطر الكامن وراء الدعوة أساساً التى بدأت فى أحضان المارون وفى الارساليات التبشيرية ، وكانت تصريحات دعاة التبشير القدامى واضحة فى الهدف المبيت لها .

ونحن إذا أعدنا النظر الآن في التصريح الذي أدلى به دكتور زومر قبل خمسين عاما عن القومية نستطيع أن نستشكك تلك الخطوات التي مرت بها الدعوة إلى اليوم .

يقول : : إن انتصار الاستعمار الحقيقي ، هو هدم الوحدة الإسلامية وإحلال القومية محلها ، وما علينا ألا ننفخ في بوق القومية فتنقاد لنا الشعوب ، وهذا هو الانتصار العظيم .

ولست القومية هنا بديلا للوحدة الإسلامية ألا خيط من نسيج واسع هو فضل الدين عن الدولة في نظام الحكم ، وإفاة التعليم الغربي العلماني بديلا عن التربية الإسلامية ، وبناء الاقتصاد الربوي .

فإذا ذهبنا وراء الاقليمية وجدنا :

الحضارة عربية بدلا من الحضارة الإسلامية ، والثقافة عربية بدلا من الثقافة الإسلامية ، ونجد التاريخ عربيا بدلا من التاريخ الإسلامي والادب مصريا بدلا من الادب العربي .

ومن ثم استطردت البرقيات والكتابات في الصحف والإذاعات فكانت كلمات : أزمة الشرق الأوسط ، والافليميات ، وحرب الخليج ، بديلا من فلسطين والرابطة بين العرب والفرس . وحتى تظل كلمة (العالم الإسلامي) محجوبة ، وراء العروبة والافليمية ، ويستطرد هذا حتى يشمل جميع وقائع التاريخ الإسلامي فسميت الحروب الصليبية بين المسيحية والاسلام ، معارك عربية ، ودعوة إلى للسيطرة الاقتصادية للغرب .

ومن ثم نجد تلك التزيينات بين المصطلحات : ونجد الخلاف بين القيم فالخلاف يختلف بين الجنسية والدين ، وبين الدين والعلم . وبين العروبة والاسلام ، فهذه كلها قوى مترابطة ومتكاملة ، وما جاء الفصل بينها تدجيه لهجر منهجنا الإسلامي الجامع بين القيم واعتماد مذهب الغرب الانشطارى ،

ومن فهم الإسلام فهما حقيقيا لم يقع في ذلك الخلاف المزعوم بين الجنسية والدين أو بين الدين والعلم ذلك لأن الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع

جامل لكل القيم والمقومات ، ولكنها القوى التي تريدان تفرق الصف
وتصدع الوحدة ، وتريدان أن تعلى من شأن الجنسية على الدين ، بينما هما
قوتان مترابطتان في الإسلام ، فإن العروبة والإسلام يتكاملان أبداً ، كما
يتكامل العلم مع العقيدة .

ومن شأن تصحيح هذا المفهوم أن نعلى من شأن الفكر الإسلامى
كوحدة متكاملة ، تجمع السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية .
ولقد كان الصراع فى الغرب بين القوميات والدين لأن الدين كان
مفهومه قاصراً على اللاهوت ، أما فى الاسلام فإن « تعارف الأمم » وتلافيها
أمر قائم واضح .

ولقد ارتبط الفكر بالعقيدة قبل ارتباطه بالجنس ، إذ أن مصدر
الثقافات والحضارات هى العقيدة أساساً فالقول بأن هناك فكر مصرى
أو فكر عربى قول غير محدد .

الفكر الإسلامى هو جملة المفاهيم التى قدمها الاسلام فى مختلف مجالات
الحياة والفكر الإسلامى عربياً كان أو تركيا أو فارسياً فهو مرتبط أساساً
بعقيدة التوحيد الخالص وإن كان مكتوباً بلغة من هذه اللغات وله
فى الأساس مصدر عن منبع الإسلام ولقد كتب هذا الفكر أترك وفرس
وهنود ومن كل الاجناس وظلوا هم مسلمين لأن الإسلام هو الذى كون
عقليتهم وبني نظرتهم إلى الحياة :

أما تلك الصيحة القومية والاقليمية السائدة التى ترمى إلى جعل الفارابى
تركياً والغرابى فارسياً . . . الح فهذه صيحة باطلة ، نتجت عن أثر التغريب
ودعوات الاستشراق والتبشير الضالة التى ترمى إلى تمزيق الأمة الواحدة كذلك
فإن التاريخ الإسلامى فهو تاريخ الأمة الإسلاميه كلها ، وليس منذ ظهور الإسلام
لأمة من الأمم التى انضوت تحت لواء الإسلام تاريخ قومى أو اقليمى منفصل
عن الاسلام ، فقد صنع الاسلام عقل هذه الأمة وقلوبها فأصبحت منذ نهر
الوار إلى حدود الصين تصدر عن عقيدة واحدة وعقلىة واحدة ماعدا بعض
مخلافات تتعلق بالاقاليم لا يمكن أن تغير القاعدة العامة أو تؤثر فى النظرة الكلية

كذلك الحضارة فإن هذه الحضارة صنعتها كل العقول الإسلامية التي انصهرت في بوتقة الإسلام فليس هناك حضارة عربية أو تاريخ عربي ، له طابع خاص مختلف أو متميز عن مفهوم الحضارة الإسلامية العام أو التاريخ الإسلامي أو الفكر الإسلامي .

(٣)

مرجع بعض الباحثين ظهور كلمة القومية إلى بدء التجمع اليهودي الصهيوني في سالونيك عندما تجمعوا في أواخر الدولة العثمانية وكونوا ما يعرف بالحقل الشرقي العثماني ، يقول الأستاذ عبد الله العاقل : ولما عجزوا عن احتواء السلطان عبد الحميد تقرر أن يقضى عليه بالغزو الفكري حيث أوحى إلى كتابهم وعملاتهم ترويج فكرة القومية التركية الطورانية فتأثر بها الكثير من المستجيبين لدعوة القومية ؛ ولقد كون العرب قوميتهم في مواجهة القومية التركية وتناطحت القوميتان ، وأسدا إلى الصهيونية جيلا أن تنسأ لهم لأنهم برفضهم العلاقة الإسلامية المتمثلة في (عبد الحميد) باعوا فلسطين في سبيل القومية حين رفض السلطان بيعها مقابل ملايين الليرات الذهبية . . .

وبرى دعاة القومية إلى (أولا) فصل العروبة عن الإسلام ، ويريدون أن تحل القومية محل الإسلام ، والقومية تخمد دعوة الإسلام (إنما المؤمنون إخوة) فهي تمزق الاجناس ، (ثانيا) والقومية تنادى بالعلمانية وهي تنص على فصل الدين عن الدولة ، أى إبعاد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة . (ثالثا) والقومية تمجد حضارة الإسلام فهم ينسبون الحضارة الإسلامية إلى العرب فقط ، والإسلام ينص على أن كل من آمن بهذا الإسلام عقيدة وعبادة وتشريعا فهو مساهم في بناء الحضارة الإسلامية عبر التاريخ ومشارك في إقامة مجد المسلمين خلال العصور سواء كان عربيا أم أعجميا .

ولكن الإسلام مع ذلك لا يمنع المسلم أن يعمل لبلده وأن يتعاطف مع قومه وعشيرته ، كذلك يدافع عن أرضه ؛ لأنها أرض إسلامية لا أرض قومية .

وكلياً ذكر اسم الله في بلد غدت أرجائه من لب أوطاني

ويتساءل الباحث : لماذا لا يكون النداء لمسكرة الجامعة الإسلامية التي
تحقق للمسلمين العزة تحت لوائها وقد شهدت لصلاحيتها وخلودها المستمر على
مر الزمان والأيام .

(٤)

لقد بدأت بذور الاتجاه القومي العربي في أحضان المارون ومع فتح الأبواب
لنشاط الرسائل التبشيرية ، وحمل بذور الانجاء العلماني (بعثات
البروتستانت الأمريكية والكاثوليك الفرنسية) . وكان للمبشرين الأمريكيين
الأثر الواضح في انتشار القومية وقد اعتمد الأمريكيون في هذا على اثنين من
العرب نصيف اليازجي وبطرس البستاني :

وفي هذا الاطار ظهرت مجلة الجنان ١٨٧٠ تدعو إلى الوطنية ونشر

رزق الله حسن : مرآة الاحوال في لندن

لويس صابونجسي : جريدة الخلافة في لندن

وأصدر نجيب عازوري كتابه المسموم (يقة الامة العربية) ١٩٣٣
وهناك موقفان يقدمهما الاستاذ طارق عبد المنعم محمد يكشفان عن مراحل الخطأ :

(الاول) في مفاوضات تركيا بعد الحرب الاولى وهزيمة الدولة العثمانية :

يقف كرزي موقف المتصلب في المفاوضات ويقول لعصمت اينونو
مندوب مصطفى كمال : اننا لانستطيع ان ندعكم مستقلين لانكم حينئذ تكونون
نواة يتجمع المسلمون حولها مرة أخرى ، ولكن مصطفى كمال يقبل شروط
كرزون الاربعة :

١ - قطع صلة تركيا بالإسلام . ٢ - إلغاء الخلافة .

٣ - يقوم باخذ أى حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

٤ - يختار دستوراً مدنيا بدلاً من الشريعة الإسلامية (مذكرات
الحاج أمين الحسيني) .

وقد رفع مصطفى كمال أعلام وشعارات القومية الطورانية وشعارات العلانية واستخدم الرصاص في إسكات أى صوت ينادى بالإسلام أو الرجوع إليه .

(الثانى) فى الوقت الذى انفقت فيه بريطانيا مع الشريف حسين ١٩١٦ ضد الخلافة العثمانية لإقامة دولة عربية ، كانت بريطانيا تقوم بأعمال عسكرية ضد السنوسيين وضد السلطان على دينار فى السودان وكان كلاهما من أبرز دعاة الفسكرة الإسلامية المحاولين إبعاد المستعمرين عن بلادهم والمجاهدين فى سبيل البلاد الإسلامية جمعا .

ومن ثم انقسم العالم الإسلامى إلى قسمين : عربى وإسلامى .
أما القومية الطورانية فهى قومية لادينية حل لواها (ضياء كوك الب)
وأحمد أفادين ويوسف اشتورا وكانت تدعو لمجد (طوران) ، ثم أطلقت
القومية الفارسية وأسماها وهى تنادى بالسير على خطى (قورش) .

والقومية العربية صنعها لورانس عميل المخابرات الإنجليزية وصاحب
الانجاعات اليهودية . وأيد الاستعمار الفكرة العربية المستعبدة لمزج العروبة
بالإسلام فالقومية العربية فى الحقيقة أفرزها الاستعمار ووضع مفكروها
أصولها من إقطاره وحل لوائها فى نشأتها نصارى الشام والرهبان وحين أثمرت
وحققت أهدافها ونما نموها حل لوائها المسلمون . وهناك الصلات واضحة
بين القومية والقوميين والعلمانية والعلمانية وبين الاستعمار والصليبيين ، بل لقد
رأى الاستعمار أنه ليس ثمة ما يمنع أن تعلن القومية والقوميون الحرب على
أوروبا والاستعمار تحت أعلام الوطنية والتحرر والثورة على الاستعمار الأجنبي .

والخلاصة الد القوميين العرب هم الذين نشأت أفكارهم ونبتت ونزعرت
فى حجر الاستعمار والتشهير وليس فى مقدورهم أن يخفوا حقيقةتهم ،
والتنظير للقومية بدا بعازورى وبطرس البستاني وانتهى إلى ميشيل خفاق
وزكى اللارسوزى .

وفى ندوات عهد الناصر فى بيروت وندوة التراث فى المغرب ١٩٨٢
حشد القوميون كل جهودهم فصنعوا هرجاءا لمهاجمة الإسلام ودعروا إلى حسم

علاقة الدين بالدولة والاختزال العلمانية ، بل وبلغوا أشد من ذلك جراه
عن دعوا إلى تقييم الإسلام علمياً والبت في أمره ، هل يصلح لأن يتخذ أساس
بناء أو منهج صلاح لمواجهة التحديات والمشاكل ، أم ثبت عجزه وتجاوز
العصر له ، وقد جاء في البيان الختامي في ندوة التراث بالمغرب تؤكد على
العصرية وتجاوز العصر للتراث (أي الإسلام كما عبروا عنه)

والواضح أن تيار القومية ، وأن تحول عن مخالفة الاستعمار ، فإن ولاته
مازال معقوداً للحضارة الغربية والعلمانية والمفهوم المادي ، فهو يرى في
الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة وفي طريقها طريق التحديث وحده .

ولقد كانت دعوة القوميين واليساريين والثوريين بعد نكسة ١٩٦٧ التي
أوقعتها بالعرب والمسلمين القوميين وحدهم ، تتحدث عن ضرورة تحديث الدولة
وبنائها على طريق العصرية بعيداً عن الدين من أجل النهوض من السقطة
والخض في الطريق ، ولكن أحاسيس الشعوب كانت أعمق وفطرتها كانت انقي
فقد هرقت أنها ضللت وأنه لا يوجد طريق الآن غير طريق الإسلام .
أن قولهم أنه لا مجال اليوم لوحدة على أساس من الإسلام ، إحساس بالفزع
لوحف الإسلام في صحواته ومده الجديد ، وأن هذا الأسلوب الذي يصنعه
أمثال محمد عمارة في استعمال القومية والعروبة في خدمة العلمانية والشيوعية
ساقط ومنهزم ولن يحقق شيئاً أمام أضواء الإسلام الباهرة التي يندفع الناس
بالتنمحل بها .

(٥)

يقول الدكتور فاروق عبد السلام أن المسلمون لم ينجبون في حياتهم السياسية
منذ بعثته النبي صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا يقدر أن يكتبوا في ضياع الخلافة
ولم ينجح أعداء الإسلام في النيل من المسلمين بقدر ما نجحوا في تسديد الضربة
لهم في مقتل ، في رمز وحدتهم وقوتهم حتى يسهل التسلط عليهم والتمسك
منهم على مبدأ « فرق تسد » والخلافة رأس الأمر كله وهي تعني ببساطة . وحدة
المسلمين تحت رئاسة عامة من أجل حراسة الدين وسياسة الدنيا وتحت اعطافها

كان المسلمون أمة واحدة تمتد من المحيط إلى الخليج يرهبون عدو الله وعدوهم ،
وبعدها وفي غيابها أصبحوا غناء كغنائ السيل ودويلات مبعدة تداعى عليهم
الأمم كما تداعى الأكله الى قطعتهم فرادى كالغنم الشاردة في اليلة الشائبة ،
واستمر عطاء الخلافة ثلاثة عشر قرنا من الزمان يحمل شعلتها ويرفع رايتها
شوامخ الرجال من فرسان الإسلام في سباق التتابع الدائر بينهم وبين أعوانهم
المتربصين لدين الله ورسوله . وفي أوائها لم تسلم بلاد المسلمين من مثل هذه
الشرور والانحرافات من جانب الحكام ، وليس كل الخلفاء على مستوى النجوم
الزاهدة من صحابة رسول الله في خلافتهم الرشيدة ، وإلغاء الخلافة إنما
فرض علينا فرضا ، وكان دور مصطفى كمال أتاتورك في ذلك لا يتعدى دور
العميل المطيع والمنفذ لأوامر أسياده من الخلفاء وتشهد بذلك وثيقة بروتوكول
معاهدة لوزان المعقودة بين الخلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ والتي تتضمن
شروطا أربعة اشتهرت باسم شروط كرزن الأربعة ونصها :

— قطع كل صلة بالإسلام .

— إلغاء الخلافة .

— إخراج أنصار الخلافة من البلاد .

— اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام

ولم يعد المسلمون بعد ضياع الخلافة دولة كبرى تتحدث باسمهم في السلم
وتدافع عنهم في الحرب ، ففى السلم أصبح القرار النهائي والتحكم في المشا كل
الدولية بين الدول الخمس الكبرى صاحبة العضوية الدائمة في مجلس الأمن والتي
تملك حق الاعتراض . وفي الحرب دخلت البشرية عصر الصراع النووي
وتم تفجير الذرة وتمسكن أصحاب كل ملة من وضع أيديهم على أسرارها
والحصول عليها إلا المسلمون .

وأصبح اللحاق بالركب الدولي في المجال النووي يتطلب زوافر عاملين هامين :

(١) عقلية علمية رائدة .

(٢) وإمكانات - مادية باهظة .

وتوافر العقلية العلمية الحديثة في البلاد الإسلامية معدمة وفقيرة واقتصادها تحت الصفر كمصر وباكستان وتركيا وفي نفس الوقت تنفجر ينابيع النفط وتنهمر الثروة بغير حساب في بلاد إسلامية أخرى ، حيث لا يجدون مكانا يحفظون فيه أموالهم وعوائد ذهابهم الأسود إلا في بنوك الأجانب وبشروطهم الخارجة عن شرع الله ، وما يحفظ أقل بكثير مما ينفق بغير حساب تحت أقدام البغايا وفوق موائد السكارى .

وما كان لمثل هذا أن يحدث لو كانت للمسلمين خلافة تجمعهم وتوحد سياستهم الخارجية والحربية والاقتصادية والمالية ، ولا يمنع أن تسمى الخلافة بالاتحاد الإسلامي إذ الولايات الإسلامية المتحدة أو اتحاد الجمهوريات الإسلامية فالمعنى مقدم على الدعوى والأهداف والغايات أهم من التسميات والخلافة وظيفة ومضمون قبل أن تكون شكلا من أشكال نظام الحكم : العلمانية ، القومية ، الطبقة تحول دون ذلك .

لقد أصبح كل شيء يقام على أساس الدين محل اتهام ، قام الاتحاد السوفيتي على أساس الإلحاد وإنكار وجود الله ولا يقام اتحاد على أساس توحيد الله والإيمان به . أن ما اعترفنا به من قيام إسرائيل هو مارفضه آخر حلفاء آل عثمان في إباء وشتم وكان إلغاء الخلافة وتدمير الوحدة الإسلامية هو الرد المقابل لهذا الرفض .

(٦)

لقد تصدى باحثون غربيون وشرقيون لبحث هذه المؤامرة الخطيرة : مؤامرة تمزيق الوحدة الإسلامية وإعلاء دعوات الاقليميات والقوميات ومن هؤلاء ليونارد بانيدر في كتابه (الثورة العقائدية في الشرق الأوسط) حيث جعل هذه الدعوات بمثابة عقائد جديدة وتبين له بعد الدراسة المستفيضة ما يلي :

أولا : أنه مهما صنع الاستعمار للقضاء على الوحدة الإسلامية وإقامة الوطنيات والقوميات والإقليميات فإن حركة النضال من أجل مقاومة الاستعمار كانت تستمد قوتها الأساسية من مفهوم الإسلام الأصيل في الجهاد ومقاومة الغاصب .

ثانياً : أن القوميات التي فرضتها القوى العسكرية في المنطقة لم تنجح بالرغم مما بذل في سبيلها من مال وانفق من دعاية وما جرى من كتابات لاقتناع الأجيال الجديدة بها .

ثالثاً : أن العالم الإسلامي لم يقبل الديمقراطية بمفهومها الغربي المخالف لمفهوم الشورى ، ولم يقبل القومية بمفهومها الغربي المخالف لمفهوم العروبة ، ولم تكن القومية أحسن أشكال الحكم بل كانت وسيلة لاختفاء الأيدي الخفية بالدماء والآليات والأظافر المسيطرة باسم الاستبداد والدكتاتورية .

رابعاً : الجيل القديم من السياسيين كان يعارض النفوذ الغربي الاستعماري على الصعيدين السياسي والعسكري ولكنه كان يتسامح مع تأثير الغرب على الصعيد الفكري والثقافي العام .

خامساً : أن التعارض بين الدين والقومية في الغرب مستمد من مفهوم الدين في الغرب أما الإسلام فإنه لا يعارض القومية بل يمزجها ويضعها في صيغة أخوية مفتوحة .

سادساً : ما تزال العقيدة الإسلامية قادرة على أن تغير كثيراً مما يفرض عليها من الخارج وتحطم كثيراً مما يقيد ، وتحول دون القوى الاستعمارية وبين تحقيق كل مآربها .

سابعاً : تبين للغرب أن محاولته في تحويل المسلمين من الدين إلى القومية وهو ما نسعى التبدل العقائدي غير ممكن ، كما أن محاولة إقامة حواجز عالية بين الأقطار العربية والأقطار غير ممكن لأن روح الإسلام وثقافته العالية تجتمع قلوب المسلمين جميعاً وتجعلها تخفق للحدث يحدث هنا وهناك .

ثامناً : أن الدول الكبرى هي التي رسمت التجزئات الإقليمية في الشرق الأوسط والكيانات المصطنعة لسد حاجاتها هي وتحقيق أهدافها ومتطلباتها . وكان التركيز الاستعماري أولاً على مصر وتركيا وإيران .

تاسماً : حاول الاستعمار الاعتماد على جماعات من الإفليبيين والقوميين وأثارت نزعات ونحل قديمة بين أهل الدعوة الإسلامية ، الذين كانوا في مجموعهم الأكبر وأغلبيتهم الساحة ، يجمعون خير ما في ذلك المذاهب ويؤمنون بمفهوم السنة الجامعة ، وبالبناء على الأساس ، لا يرفضون الغرب ولا القديم وإنما تحاكموها وفق مفهوم الاصاله ولليراث الإسلامى الصحيح فالمسلمون يقبلون من الغرب على قاعدة (البناء على الأساس) ويرفضون من الغرب كل ما يعارض مفاهيمهم الأساسية ويقبلون من الغرب تنظيات وليس نظاماً ، ويرون أنهم يستطيعون الانتفاع بمنجزات الغرب المادية دون أن يقبلوا تأثيراته الروحية والثقافية والقانونية لأن لكل أمه ثقافتها الخاصة .

عاشراً . فشل القوميون العلمانيون الذين يفرقون بين الدين والدولة ، وهم الذين كانوا معجبين بنظام الغرب وحضارته التي تميل اليوم إلى الغروب ، وقد فشلت محاولتهم في إقامة نظام مناقس للنظام الإسلامى .

* * *

إن المفهوم العلماني الذي صنعه الاتحاديون في تركيا هو المفهوم القومى الذى صدر للبلاد العربية على أيدي ساطع الحصرى وزكى الارسوزى وميشيل خفلق وقد قامت الإفليمية على الأرض وقامت القومية على العرق ، والقومية تعزل العرب عن المحيط الواسع (العالم الإسلامى كله) والعلمانية تعزل العرب عن الفكر الواسع (التراث الإسلامى) وقد تبين فساد نظرية الدم في البلاد العربية وفساد نظرية القومية المستندة على أساس العنصرية وحرم الإسلام التفاضل بالأجناس والانساب والطبقات وأنكر فوارق الجنس واللون واللغة .

الفصل الثاني

تآمر الغرب (بشقيه)

على الإسلام والأمة الإسلامية

إن محاولة تمزيق الوحدة الإسلامية هي إحدى العوامل التي اختارها الفرد الغربي للسيطرة على الأمة الإسلامية واستدامة هذه السيطرة ، وحرمانها من القدرة على امتلاك إرادتها ، أو إقامة مجتمعا إسلامي الاصيل أو إعادة بناء حضارتها وتلك خطة مرسومة ومرتبعة منذ وقت بعيد وقد مرت بمراحل عديدة كانت آخرها هذه المرحلة : مرحلة الاحتلال الغربي ، ثم انتهاء هذا الاحتلال العسكري السياسي إلى نوع من الاحتواء الكامل عن طريق السيطرة الاقتصادية والثقافية .

ولقد عملت القوى المسيطرة التي تنوعت بعد الحرب العالمية الثانية إلى قوى غربية وقوى صهيونية وقوى ماركسية إلى وضع مخططات مختلفة ، ترمي كل منها إلى تحقيق غاية خاصة لها بينما هي في مجموعها ترمي إلى غاية واحدة :

هي « صهر المجتمع الإسلامي الواسع في اتون التبعية ، وذلك عن طريقين : أولا : عقليا وثقافيا وروحيا ، عن طريق الفلسفات والمذاهب والابدولوجيات المادية الاباحية الوثنية العلمانية التي تدعو إلى الانطلاق وخلع رداء القيم الأخلاقية والاندفاع وراء اللذات والشهوات عن طريق القصة المكشوفة والشعر الاباحي ، والمسرح والسينما وكل هذه العوامل مع التخفيف من روح القصيدة والأخلاق في المناهج الدراسية والجامعية .

ثانيا : تدمير المجتمع الإسلامي عن طريق تغذيته بكل مطروحات الحضارة المدمرة من رقص وزنا وإباحة وفساد خلق وترف وتحلل وأدوات استهلاك تقدم بسهولة عن طريق الربا .

ويهدف ذلك كله إلى السيطرة على اقتصاد الأمة الإسلامية والحيلولة دون قدرة هذه الأمة على امتلاك إرادتها أو تصنيع خاماتها ومنتجاتها بل لكي تبقى دائماً مصدراً لخامات يصدرها الغرب وبضائع استهلاكية يستوردها من الغرب وعندما انبعثت الصحوة الإسلامية في السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري كانت خطة القوى الغازية خارقة في تطويق هذه الصحوة والحيلولة بينها وبين تحقيق غاياتها وحصرها في دائرة طبقية وقص حواشيمها التي تطير بها .

ولقد جرت المخططات في كل اتجاه ، من أجل السيطرة والاحتواء كانت هناك محاولة تزييف الانتماء العربي الإسلامي وتغيير الهوية الثقافية وجرت محاولة اختواء العقل العربي والسيطرة على المعلومات . وعمقت هذه القوى الهوة بين المسلمين وبين قصة فلسطين .

كما عيى لتذويب المسلمين في مجتمع الاستهلاك وتقديم النموذج الغربي بديلاً للنموذج الإسلامي الأصلي . ومن ثم أصبح الغرب يفرض نموذجه على المسلمين اليوم بقوة متزايدة وهو نموذج يفتقر إلى الأخلاقية وإلى الإنسانية وإلى الإيمان بالله .

فالإنسان الغربي لا يعمل حساباً للقيم الخلقية والروحية والحضارة الوافدة لانهترف بالله تبارك وتعالى وتحدث عن قدرتها الخارقة في صلف وجهالة .

ومن ناحية أخرى فإن ثروة العالم الإسلامي كلها موجهة لخدمة الاقتصاد الغربي ، الذي يعمل على استنزاف الثروات المذخورة من بترول وكووبات ومنجنيز ، دون مراعاة لمقاييس أساسية وإعلاء من خلال الاسراف والترف والتدمير العالمي لمعطيات الأهم ، ومن خلال هذه التبعية المفروضة على المسلمين والعرب حيث يتبع المسلمون والعرب نمطا استهلاكيا متطرفا لا ينظر إلى الغد ولا يحسب حساب الأجيال القادمة .

وفي نفس الوقت يقف الغرب موقف التصميم الكامل دون إعطاء العرب والمسلمين علوم التكنولوجيا ويصر على أن تبقى منابع المعرفة في أيديهم هم مع التحايل على المسلمين لينصروا في بؤفة الحضارة الغربية ولقد تمكشفت

في السنوات الأخيرة حقائق عجيبة في هذا الصدد أهمها وقوف الغرب في وجه كل جهد حقيقي لبناء قدرات العرب والمسلمين العلمية والتكنولوجية حتى يجبرهم على الركوع أمام أصحاب التكنولوجيا واستخدام مناهجهم والتعبئة لهم

١ - محاولة فرص انتماء زائف

حاولت القوى الغربية تمزيق وحدة الوحدة الإسلامية ، وعزل المقومات الجامعة التي تشكل الشخصية الإسلامية إلى عناصر هي الدين والجنس والوطن واللغة ثم يجري ضرب هذه العناصر بعضها ببعض بينما أن الإسلام يجمع بينها ويشكل منها وحدة جامعة فالانتماء في مفهومه الإسلامي ، ليس انتماءاً قومياً ولا لغوياً ولا وطنياً وإنما يكون الانتماء للعقيدة الجامعة القائمة على هذه المقومات جميعاً . من خلالها . وقد جعل الإسلام الانتماء الوطني قائماً فعلاً ولكنه جعله تابعاً للانتماء العقدي أي أن ارتباط المسلم بالوطن وحب له ودفاعه عنه واستشهاده في سبيله يكون - كما يقول الدكتور زكريا سليمان بيومي - نتيجة لمدى ارتباط المجموعة البشرية المقيمة فيه . بمجموعة القيم الإسلامية ، فإذا لم يستطع المسلم الالتزام بهذه القيم في الوطن الذي نعيش فيه وأصبح من الفرض عليه أن يهاجر إلى أرض جديدة يستطع فيها أن يكون ملتزماً .

وهذا الأمر تؤكد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة :

والانتماء إنما يكون إلى مجموعة عقائدية ، إلى مجموعة من القيم والمبادئ التي تنظم سلوك الإنسان وتحدد له العلاقة مع أخيه لانشاء أرقى أنواع الانتماء ، وإن وحدانية الله والتقوى كافة القيم والسبل عنده يشجع هذا الانتماء مهما اختلفت السبل إليه .

هذا وإن الانتماء إلى مجموعة من القيم والمثل أوجدت دورة تقوم على نصرتها والدفاع عنها وهذا هو دور الانسان الثابت إلى نهاية وجوده في الكون وإن معيار حسابه في الآخرة سيكون بمدى التزامه وافتراقه من هذه القيم وجوده لنصرتها .

والانتماء العقائدى إنما يعنى انتماء الإنسان لمجموعة من القيم والمثل تنظم سلوكه وحياته ، وبالتالي لمجموعة من بنى جنسه تلتقى معه على الانتماء بغض النظر عن أهلها أو جنسها أو لونها أو أى مقاييس أخرى .

والانتماء العقائدى فى الإسلام يرفض الانتماء الغربى بكل أشكاله ولكنه لا يرفض الانتماء الوطنى فقد اعتبر الإسلام حب الوطن من الإيمان وارتقى بمن يموتون فى سبيل الدفاع عن أوطانهم إلى مرتبة الشهداء .

* * *

وبعد فإن هناك محاولات متعددة ترمى إلى تغيير مفهوم الانتماء ، وهى تطرح مفاهيم مختلفة من أهمها مفهوم الوطن ، وهناك مفهوم القومية والعروبة ، وتمتد فروع ذلك إلى دعوات تريد أن تبتعث تاريخاً قديماً قبل الإسلام ، كالأحياء الفينيقية فى لبنان والفرعونية فى مصر ، فى محاولة للدعوة إلى جعل هذا التاريخ القديم انتماء متجدداً ، بينما تعجز هذه المطروحات القديمة البالية المتصلة بالآوثان والقبور ، عن أن تشكل لها معطيات حقيقية تجمع حولها بقلوب والمشاعر ، وليس غير العقيدة الأساسية مصدراً للانتماء ، بتراتها الضخم ، وميراثها الوافر ، وتاريخها العظيم وجماع قيمها ذات العطاء أكثر خلال أربع عشر قرناً ، ولما كانت العقائد والأديان هى مصدر الحضارات التى شكلت هذا البناء الاجتماعى الباذخ سواء فى الأديان السماوية أو البشرية ، فقد جاء الإسلام ليقدم للبشرية أعظم النماذج فى بناء الحضارات وإنشاء المجتمعات ، ذلك لأنه حرر العقل البشرى من عبادة الأصنام والآوثان ونقلها إلى عبادة الله الواحد الاحد مالك الملك ، كما أنها حررت الإنسان من عبودية الإنسان وهما السمتان اللذين قامت عليهما حضارة اليونان والرومان والفرس والفراعنة وإذا جرينا وراء أهواء الانتماء الوطنى كان انتمائنا قاصراً محدوداً فى الأرض وحدها ، بينما يجب أن يكون الانتماء حضباً عميقاً جامعاً ، متصلاً بكل مقومات الإنسان .

ولقد كان من أكبر محاذير النهضة ؛ اعتبارنا هو قدرة النفوذ الغربي على حجب مفهوم الانتماء الاصيل ، وأضاف مفهوم جزئي انفصالي إقليمي على النفوس العربية المسلمة .

ولا شك فإن المسلمين تخلفوا عندما فقدوا الادراك لحقيقة هويتهم ولانتمائهم وفقدوا الإيمان بذاتيتهم المميزة لهم بوصفهم ، وخير أمة أخرجت للناس ، وتقاس حضارة الأمم وأصالتها بدرجة صمودها أمام المتغيرات الحضارية الأخرى وثباتها على أصالتها وذاتها .

ولا شك أن هذا الامتحان الذي تواجهه (الذاتية الإسلامية) في احتكاكها وهي في مرحلة الضعف بالحضارة الغربية (بشقيها) هو من أخطر التحديات وإن صمود المسلمين ضرورة في هذا الامتحان الحضاري الذي لم تتمتع بمثله أمة أخرى .

ولقد حرص الإسلام منذ أجياله الأولى على تربية اتباعه على قاعدة حماية الذاتية الخاصة وثبات مفهوم الانتماء العتدي الاصيل ؛ حتى لا تنصرف شخصيتهم في الاممية أو العالمية وهم الذين يحملون لواء رسالة الإسلام العالمية والدعرون إلى إذاعتها ونشرها :

ولقد كان المسلمون طوال تاريخهم أكثر الناس حفاظا مخافة أن يقعوا في التبعية أو الاحتواء ؛ وكانوا قادرين دوما على التماس مفهومهم الذي يميزهم عن الآخرين ؛ وقد كانوا دائما يأخذون بالأساليب والتنظيمات المصرية ، ولكنهم ما كانوا يقبلوا أن يتصهروا في النظم أو الايدولوجيات ، وقد واجهوا محضرات الأمم منذ وقت بعيد واتخذوا منها موقفا حاسما ؛ لأنهم لم يرفضوا حضارة الغير ولا علومهم ولا تجربتهم ، ولكنهم لم يقبلوها أيضا ، وكانوا منها على أسلوب من الرصانة والقدرة على الأخذ والرفض ، وما أخذوه منها أصاغوه وأضافوه إلى شخصيتهم وصهروه في بوتقتهم ولم يقبلوا أن يغيروا أي معلم من معالم ذاتيتهم ، لقد حولوا كل ما أخذوا إلى مادة خام يشكونها في إطار مفهومهم تشكيلا خالصا . ولأنهم في إنصالهم بمحضرات الأمم فرقوا

بين نوعين منها : ما يتصل بالعقائد والتشريعات ومن حيث الحل والحزمة وما بينهما من درجات وما يتصل بالعلوم العقلية والطبيعية والانسان ومناهج البحث والتدوين ، وقد جعلوا حدود الله قواعد راسخة تحت اسم الثوابت ومن خلالها تحركوا في دائرة المتغيرات .

فقد صمدوا أمام ضوابط الربا والزنا والخمر والميسر وغيره ، فحده من الثوابت والحدود التي لا سهيل إلى الكلام فيها تحت اسم التطوير أو غيره من العبارات الضالة .

كذلك فهم قد رفضوا (أولا) الانتساب إلى غير الله ، أي أنهم رفضوا كلمة الطبيعة والجبرية والحتمية (ثانياً) وضعوا أساس الالتزام الرباني في المجتمع والحركة .

(٢)

ومن ناحية أخرى فإنهم قد رفضوا مقولة أن الانتقال من مجتمع الزراعة إلى مجتمع الصناعة من شأنه أن يغير الاخلاق ، فقد أقر المسلمون ثبات الاخلاق لأنها جزء من العقيدة الربانية الإلهية ، كذلك رفضوا كل ما يقال من أن التقدم التكنولوجي له تأثيره على عالم الحياة الاجتماعية وأنه يفرض تغييراً في السلوك والاخلاق والمعاملات الاجتماعية ، والمسلمون لا يقبلون الخوض لما يفرضه هذا التقدم التكنولوجي ، وإنما يرون أن تنتقل هذه العلوم إلى بوتقة قيمنا الإسلامية ومجتمعنا على أنها مواد خام وأن يصوغ المسلمون حضارتهم من جديد في إطار التوحيد والرحمة والعدل والإخاء البشري ولا يقبلون أن يكونوا جزءاً من هذه الحضارة يخضعون لقيمتها الخارجية بعيداً عن الإيمان بالله ، ذلك لأن الغرب قد بنى هذه الحضارة خارج محيط الضوابط الاخلاقية والقيم الروحية وبذلك أصبحت أداة من أدوات التدمير سواء للمجتمعات في السلم أم في التهديد بالحرب الذرية النووية التي تواجه العالم لأن يخطر دائم متجدد .

وفي مفهوم الإسلام أن العلوم والتكنولوجيا يجب أن يقدم ثمارها

لتنحرك في إطار الثوابت الإسلامية والله الإسلامية التي ترمى إلى حماية المجتمع من الانهيار والتي تجعل هذا النتاج العلمي والتكنولوجي أخلاقيا لإنسانيا لا يحرم منه أحد ، ولا يكون تهديداً لأحد ، فهو وسيلة لاثراء الحياة ولتقديم أكبر قدر من العطاء المادى . هون أن يفقد المسلم فيها أى قيمة من قيمه أو يخرج عن الحدود التي حددها الله تبارك وتعالى أو الضوابط التي هي بمثابة صمام الأمان لحماية شخصية من التمزق وحماية مجتمعة من الاضطراب .

٢ - أزمة الهوية

إن هناك محاولة لتغيير الهوية الثقافية والاجتماعية الإسلامية من أجل إخضاع المجتمعات الإسلامية لمفاهيم غربية ترمى إلى إحتواءهم في دائرة الحضارة الغربية بكل قيمها وانحرافات وأزماتها ، وهذه واحدة من أخطر التحديات التي تواجه المسلمين في هذه المرحلة من تاريخهم ؛ ويكون لها أثر بعيد في ضرب طريق الصحو وإخضاعه للتبعية الغربية بحيث لا يستطيع أن يقيم منهجاً إسلامياً خالصاً للحياة والمجتمع ، متحرراً من فساد واضطراب وأخطاء المنهج الغربي .

ومادام العرب الآن قد أصبحوا يملكون الطاقة والثروة ويعملون على بناء حضارتهم من جديد فإن القوى الغربية الماكرة المسيطره على مصادر ثروتهم ترمى إلى إخضاعهم ، سواء بالإغراء أو بالاقناع إلى تقيل الانصهار في الحضارة الغربية حتى يصبحون جزءاً منها وهذا هو أخطر ما يواجه العرب والمسلمين اليوم .

لقد عقدت في السنوات الأخيرة اجتماعات واسعة في الغرب عن طريق مؤسسات مختلفة تحت اسم العلم ترمى إلى إيجاد ما يسمونه حواراً ثقافياً متبادلاً بين العرب والاوربين يرمى إلى ماذا ؟

• يرمى إلى تضيق الفجوة بين العرب وبين العالم المتقدم ، والوسيلة إلى ذلك كما يدعون إليه :

في تغيير المفاهيم الحقيقية التي ترسبت في العقل العربي ، والهدف هو ، أن يصبح العرب مشاركين الحضارة بدلاً من أن يظلوا قائمين بدور المتلقى .

ومن ثم يكون دور العرب في عملية التغيير الحضارى ، وهم يرون أن الأزمة في البلاد العربية تكمن في عدم القدرة على التغيير نتيجة غلبة الاتجاه التقليدى أو سيطرة التراث على الاتجاه التجديدى وهذه العبارات المنمقة المكتوبة بعناية والتي تجرى دعاء وإتباعاً من هنا وهناك لأشراكهم في هذه المؤتمرات ، ترمى إلى الخداع ، تولى إلى إخراج المسلمين من ذاتيتهم الخاصة وصهرهم في بوتقة الحضارة الغربية ومن ثم يفقدون هذه المرة وجودهم نفسه ، وهى إحدى المحاولات التى تشترك فيها قوى كبرى ، ترغب إلى هدم ذاتية العرب والإسلام القائمة على قيم أساسية في مختلف مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية لا يمكن التنازل عنها .

وهذه المؤامرة هى حلقة جديدة من حلقات وصم ، المسلمين والعرب في الحضارة الغربية بداعى (التقدم) ومعنى هذا أن التقدم الذى سيحصل عليه المسلمون ، والشرف الذى سيصلون إليه ، هو أن يكونوا تابعين لهذه الحضارة ، لا بد أن يدفعوا إذاً ثمنه غالباً هو ذاتيتهم الخاصة ، التى يجب أن يتجاوزوا عنها وأن ينصهروا في الحضارة العالمية والفكر الغربى . فإذا لم يفعلوا ذلك وصفوا بأنهم حجر عثرة في سبيل التقدم ، وأنهم لا يريدون أن يكونوا مشاركين في الحضارة يؤدون دور المبدع في مجالات الحياة المختلفة .

ولاريد أن هذه الخطوة ، هى حلقة جديدة في مؤامرة قديمة ، تحت اسم التطور والتقدم وإدخال التكنولوجيا ونحن نعرف أن الغرب لن يسمح بإعطاء العالم الإسلامى التكنولوجيا ولا العلوم العسكرية والحربية أبداً لأنه يضع في تقديره أن يظل المسلمون على هذا النحو الذى هم عليه الآن مصدراً للتهديدات وسوقاً لمنتجات الغرب .

ولكنها محاولة جديدة أو متجددة ، لخداع العرب والمسلمين عن غايتهم الحقيقية وهى منطلقهم الحقيقى في بناء حضارة إسلامية أصيلة قائمة على

منهج الإسلام ، وهي جزء من المخطط الذي يرمى إل وأد الصحوة الإسلامية واجهاضها وتفريغها من منطلقاتها الحقيقية .

وأن هذه الأسماء المستخدمة لهذه الدعوى هي أسماء مجهولة ، لافهمة لها في البلاد الإسلامية ولا وزن لها في مجال الفكر الإسلامي مهما أعطاهما الغرب بوبقا أولمعاتا خادعا، إن منطلق هذه العبارات التي يرددونها دعاة الحوار العربي الأوربي لا ندل على شيء أكثر من أنها تجهل حقيقة مفهوم الإسلام من العلم ، والذاتية الخاصة التي يرسمها الإسلام للعلم وللحضارة وللنهضة ، وهي خطة تختلف اختلافا عميقا وواسعا عن خطة الحضارة الغربية المنهارة التي تلتقط الآن آخر انفاسها والتي قامص على أساس تجاهل الصلة بانه تبارك وتعالى وعلى أساس الاستعلاء العنصري وعلى أساس الاسراف في استهلاك الطاقات التي أعطاها الله تبارك وتعالى للناس تحت اسم الزرف والفساد والتحلل والجنس والخر والمطور .

وهذا مفهوم لا يرضاه المسلمون والعرب ولا يقبلون أن ينضموا إليه أو يكونوا جزءا منه ، ومن قبله منهم فإنما يمثل نفسه ولا يمثل الإسلام .

والمسلمون لا يستعجلون قيام المجتمعات الصناعية أو الصناعات الثقيلة ، لأنهم يعلمون أن الغرب لن يعطيهم ذلك وأن أعطاء لليابان ولأقل دول العالم حضارة ومدنية ، فذلك قدر المسلمين وذلك موقف الغرب الذي لا يريد أن تقوم حضارة إسلامية ، والذي يعمل بكل ما يملك من مطروحات صهيونية وماركسية وعلمانية ووثنية على تأخير نهضة المسلمين وعلى أن لا تقوم الأمة الإسلامية التي تملك الآن مقدراتها من الثروة والطاقة والتفوق البشري .

أما الحديث عن الهوية العربية فهو حديث يجري في نطاق العلمانية والاقليمية ، والهوية العربية في حقيقتها ومضمونها هي هوية إسلامية لأنها تستمد مفهومها الثقافي والروحي والاجتماعي من القرآن الكريم .

وإذا كان هناك حوار حول لقاء عربي أوربي فإنما يجب أن يقوم هذا الحوار على أساس الاعتراف الكامل لهذه الأمة بمقوماتها الحقيقية . ويقدرتها على إقامة مجتمعاتها الرباني وحضارتها الإسلامية ، أما أن يعمد اللقاء الأوربي

العربي إلى احتواء المجتمع الإسلامي العربي في إطار التبعية الغربية والحضارة الغربية ومفاهيم الحضارة الاستهلاكية وتحرير المرأة حتى تكون أداة للجنس والطمانية وفصل الدين عن المجتمع فذلك مرفوض تماما ، وأن اعتماد أعمال وكتابات طه حسين وتوفيق الحكيم أساسا لهذه الهوية الثقافية فإن ذلك كله لا يغنى شيئا ، وإن يكون هناك إنكار للمورثات الإسلامية بل ستكون هي الأساس الحقيقي لأي نهضة وليس بين موروثات الإسلام أى خلاف مع العقل والعلم أو الفطرة ، وإنما هذا الخلاف هنالك بين اللاهوت والعلمانية في الغرب ، وأن تقل هذه العبارات في إطار الحديث عن هوية عربية هو خداع وسخرية بالمستمعين الذين يعرفون أن معنى كلمة : (الموروثات أصبحت مقدسة) هو هجوم مباشر على القيم الأساسية لهذه الأمة وأن هذه الأمة لا تملك موروثات فليست كورية كما تملك بعض الأمم ، وإنما تملك القرآن هداية السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن قداسته لن تطلق الطريق أمام التقدم وأمام النهضة وأمام بناء الحضارة بل هي التي تفتحها بشروط المسلمين أنفسهم للتقدم والنهضة وبناء الحضارة وليس بمفهوم الماركسيين أو الماسونيين أو العلمانيين أو الوثنيين الذين يضعون هذه السمات على أسنة وأقلام التافهين والتافهات .

إن مثل هذه المحاولات لاحتواء المسلمين لا يمكن أن تنجح ، ولا بد لدراستها من دعوة التافهين ، ودعوة التابعين ، الذين لا يعرفون أبعاد القضايا والتحديات ومن الذي يستطيع أن يصف الهوية العربية (الإسلامية الانتماء) بأنها تعاني من الركود ، وأن هذا الركود مرده إلى طبيعة اللغة العربية الفصحى لأنها لغة التراث ، وما هكذا تساق الأمور ، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم لا يمكن أن تقاس باللغة اللاتينية المقدسة التي أدخلت إلى المتحف ، ولن تخضع اللغة العربية لمناهج الغرب اللغوية ، لأنها تختلف اختلافا واضحا عنها ، إن دهوة العرب والمسلمين إلى العامية — لا يقوم لأنها دهوة قديمة بأن كذبها ، ولكن نقول أنه بأنها خيانة الدعاة إليها لأوطانهم ، وإن يستطيع دعاة الحوار العربي الأوربي ، أن يتحدثوا عن منهج عقلاني يقصدون به المنهج العلماني أى اللاديني ، فهذا منهج لا يصلح للمسلمين والعرب وقد جرت المحاولات

خلال أكثر من قرن من الزمان على فرضه على العرب والمسلمين فلم يفلح ، وإن يصلح مع المسلمين والعرب غير منهمجهم : الذى هو مصدر المنهج العلمى التجريبي الذى قامت عليه الحضارة المعاصرة ، وإن تخضع موروثاتنا للمنهج الغربى لأن موروثاتنا المتصلة بعقيدتنا هى فوق كل نقد ، ولن يكون للمنهج الغربى أى تبعية على الفكر الإسلامى الأصيل المستمد من منابع القرآن والسنة والذى سيطر المصدر الأول والأخير لكل نهضة ، صحيحة ، لا يقوم على الزيف والخداع أو الخيانة . ونحن نرفض الحضارة الغربية فى جواهرها الإباحية الفاسدة ونطالع إلى استئناف بناء حضارة التوحيد .

٣ - احتواء العقل العربى

وهذه محاولة أخرى من محاولات تأمر دول الغرب على الإسلام ، هى محاولة جمع المعلومات عن البلاد الإسلامية وتخزينها خارج هذه البلاد بحيث تصبح سلاحاً فى أبدي أعداء المسلمين يستطيعون به توجيه المجتمعات والسيطرة عليها . وأن اشترك الخبراء الأجانب فى أبحاث تتعلق بالاقتصاد أو الاجتماع فى البلاد العربية من شأنه أن يجعل كل بيانات البلاد ومخزنها وثروتها مكشوفة .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى أن سياسة جمع المعلومات هى إحدى الوسائل العملية التى تلجأ إليها الدول الكبرى للتغلغل والسيطرة : يقول دكتور حامد ربيع : لقد أصبحت المعرفة الدقيقة والواضحة بمقومات الجسد الذى يراد تطويقه عنصراً أساسياً من عناصر التعامل مع الواقع السياسى .

ومن رآه أن ما يتفق من ملايين حول بحوث مشتركة مع جهات أجنبية له محاذير هى إطلاع الغير عن خفايا الوجود القومى سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، ليس فقط من حيث الخصائص السلوكية العالمية بل وتطور تلك الخصائص السلوكية واحتمالاتها المستقبلية ، وأن هذا بمثابة غزو فكري تخضع له البلاد العربية والإسلامية وأنه يحول بين أى قطر من الأقطار

الإسلامية أن تصبح قوة ضاربة في المنطقة ، وأنه يمكن عن طريقه عزل أية قطر عن المنطقة ، وهذا العزل يؤدي إلى تحطيم إرادة التكامل مع الأجزاء الأخرى فهو إذن يحول دون النقاء الافطار العربية الإسلامية في وحدة متكاملة اقتصادية أو سياسية ، وأن من شأن ذلك أن يخدم أهدافا للقوى الاستعمارية المتطلعة إلى السيطرة .

٤ - عزل قضية فلسطين عن العالم الإسلامي

إن العالم الغربي يعالج قضايا التحدى الموجهة إلى العالم الإسلامي على أنه وحدة جامعة فتضرب ضرباته هنا أو هناك ثم يفرض على المسلمين أن يعالجوا القضايا معالجة إقليمية ومن أخطر هذه المحاولات محاولة أبعاد قضية فلسطين عن مكانها الإسلامي العام بجعلها قضية عربية وقضية جزاء ، وقضية لاجئين في البلاد العربية . بينما تمتلئ مشاعر المسلمين بالاحساس بأن قضية فلسطين هي قضية المسجد الأقصى وأرض الاسراء والجزء الغالى من أرض الإسلام وعتبة الجزيرة العربية ، ولقد أبدى العالم الإسلامي دائما مشاعره للاشتراك في الجهاد من أجل استرداد فلسطين واسترداد بيت المقدس ولكن العرب الذين تطوّرهم سياسات تضعهم في نطاق إقليمي تحول دون ذلك فيرفضون العون ويصرون على العزلة .

والمعروف أن الغرب عهد منذ اليوم الاول لسيطرته على الأرض الإسلامية والعربية على تجزئة هذه البلاد إلى وطنيات وقوميات بهدف تفتيت المنطقة والتهاهما جزاء جزاء والسيطرة عليها والحبولة دون عودتها إلى وحدتها الاولى .

ثم عهد إلى الوقوف في وجه محاولات الوحدة والتوحيد والتضامن ، وذلك هو أكبر خطر في وجه مقاومة النفوذ الغربى عامة والنفوذ الصهيونى بالذات ، وهو ما أفاده العدو من تجارب معارك الحروب الصليبية وحروب الفرنجة في الجناح الغربى ، فإذا أضفنا إلى ذلك مؤامراته المتوالية في استنزاف الثروات ، وتشجيع فكرة تحديد النسل بإشاعة ما يسميه بإطلا الانفجار

الاسكاني وحرض بعض الحكام العرب على إبعاد العنصر الإسلامي ومحو القضية الدينية عن هذه القضية ، في نفس الوقت الذي اعتبر فيه اليهود أن قضيتهم دينية أساسا وأنها مستمدة من التوراة ؛ كل هذا يستدعي إعادة النظر في هذا الموقف وتصحيحه ، ذلك أن تحطيم العامل المشترك الذي يربط الشعب العربي مع الشعوب الإسلامية الإفريقية والآسيوية وأجزاء من أوروبا ينتشر فيها الإسلام ويسيطر على ملايين المسلمين هو من المسائل الحاسمة ، وهو من أعمال القوى القومية والاقليمية التي تعمل على إبعاد الإسلام عن أخطر قضية إسلامية والحكام القوميون والناصريون والماركسيون كل أولئك يصدرون عن مفهوم علماني تحطم في نكسة ١٩٦٧ وكشف عن زيفه وفساده ، وعدم قدرته على العطاء ، وما يزال القوى الموالية للغرب تتعاون مع قوى الصهيونية وقوى الشيوعية على الحيلولة دون قيام عوامل الوحدة من خلال أخطر قضية في الأمة الإسلامية اليوم : وهي (استعادة القدس وفلسطين) ولا ريب أن هذه الفلسفة الاقليمية العلمانية إنما قامت أساسا لترسي قواعد التقسيم والتزيق والفصل بين أجزاء الوطن الإسلامي الواحد الذي تجمعه عوامل الثقافة والعقيدة ووحدة الفكر والمواطف والمشاعر التي رسمها القرآن الكريم منذ أديعة عشر قرنا .

وقد قام اليهود بدورهم الطبيعي في إزكاء الخلاف بين العرب أنفسهم ، وبين العرب والمسلمين ، وبين الدول العربية والدول الإسلامية ، وكانت حكومة الجيش تساند مكاريوس ضد مسلمي قبرص الأتراك ومع الامبراطور هिला سلاسي ضد مسلمي الصومال وارتيريا ومع الهند ضد باكستان ، ومع جولايوس نيريري ضد زنجبار .

وكانت مصر - إذ ذاك - تهاجم دعوة التضامن الاسلامي وتصورها بأنها حلف استعماري واستسلامي .

وقد أشار إل هذا المعنى الأستاذ أبو بكر القادري حين قال :

إن الدعوة إلى أبعاد الإسلام عن معركة تحرير فلسطين والقدس الشريف والقضاء على أية روح إسلامية ويقظة إسلامية وبعث إسلامي ضحيح ، لقد آن للمسلمين أن يعرفوا ما يراد بهم ، فالامر ليس أمر قضية فلسطين بحسب ، إنها قضية الصحوة الإسلامية ، قضية الوجود الإسلامي ، قضية الوقوف ضد كل تحرك إسلامي لتستطيع إسرائيل أن تحقق دواتها التي تتحكم بها من النيل إلى الفرات .

* * *

الباب الخامس

تدمير المجتمع الإسلامي

الفصل الأول : فساد المجتمع .

الفصل الثاني : المؤامرة على المرأة المسلمة .

الفصل الثالث : احتواء الأجيال الجديدة .

1893

1894

1895

1896

1897

الفصل الأول

فساد المجتمع

إن القوى الأجنبية عملت في سبيل حرمان الأمة الإسلامية من إمتلاك إرادتها ، وذلك عن طريقين :

(أولاً) عن طريق تزيف الفكر والثقافة .

(ثانياً) عن تدمير المجتمع وضربه بمختلف الموجات المسمومة عن طريق التعليم وعن طريق الفنون (المسرح والسينما) وعن طريق الصحف وعمدت إلى إفساد أمرين :

١ - العلاقة بين الرجل والمرأة . ٢ - العلاقة بين الآباء والأبناء وطرحت في المجتمع عشرات الاسواء التي عملت على تحطيم الشباب كالخمر والمخدرات وألوان الفساد والانحلال المتعددة .

وعملت هذه القوى على احتواء الاطفال عنه طريق قصص منحرف ، وتفريق لهذه العقول من الإيمان والوطنية وصياغتها على الترف والانحلال .

إن تدمير المجتمع الإسلامي كان هدفاً أساسياً للنفوذ الاجنبى منذ سيطرت القوى الاستعمارية على بلاد المسلمين وعلى مصر وقد تنامي هذا العمل حتى وصل إلى مراحل خطيرة ، وكان الهدف هو حجب الإيمان بالله ونعمته ومسئولية الإنسان والنزاهة الاخلاقى ، ودفعه في طريق الشهوات ولذلك فإن أخطر ما نعانى منه هو الازمة الاخلاقية ، وجاءت حكومات الاحزاب والاستبداد فعمقت هذه المفاهيم ودعمت النفاق والفساد والطمع في مالا يحل الله .

وجاءت الافكار اليسارية المسمومة فحلفت جواً عاصفاً من الطمع والحداع والتدليس والاختيال والتدافع نحو امتلاك مالا يحق لهم ، وكان من وراء ذلك

خطة النهب العالمي الذي قامت به الدول الكبرى في سبيل استنزاف خيرات هذه الأمم .

واليوم تمر المجتمعات الإسلامية : بحالة من القلق الاجتماعي والفكري نغمر كل جوانب المجتمع ويبلغ هذا القلق ذروته عند الشباب وطلاب العلم ، ومن مساوىء العصر الحيلولة دون انتفاع الأجيال الجديدة بتجارب الأجيال السابقة والاشتغاف بها والنظر إلى الآماء نظرة انتفاص ، مع أن بناء المجتمعات على الزمن لابد أن يقوم على تلاقى الأجيال وانتفاع الجديد بخبرة من سبقه .

وهناك البيت الإسلامى وفساده واضطراب علاقات الرجل والمرأة ، واضطراب القدوة في الأب والقدوة في الأم ، وأثر التعليم العلماني - المفرغ من قيم المقيمة والأخلاقية وإخطار وسائط الاعلام : السينما والمسرح والإذاعة والتلفزيون والصحافة ، وهناك المنظمات السياسية والاجتماعية المناهضة للإسلام ، والحركات التبشيرية .

وأخطر ما في ذلك كله صدور الأجيال الجديدة عن مناهج نفسية وجتماعية وتربوية ليست إسلامية المصدر ، وليست إنسانية المستوى ، حتى يمكن أن تكون ذات قيمة مجردة ، ولكنها مناهج أما مرتبطة بالمجتمعات الرأسمالية أو المجتمعات الشيوعية ، فهي إما من هذا النتاج أو ذلك ، فإذا بنا حين نواجه موقفاً أو أزمة نضطرب في تصرفنا لأننا لا نلتصم الحلول الأصلية التي يقدمها لنا الإسلام ونخضع تارة للتيار الرأسمالي الغربي أو التيار الماركسي وبذلك نخسر كثيراً كما خسرنافي مواقف حاسمة ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وما بعدها ، إذ كيف نستطيع أن نعالج سموم حياتنا المحتواة من النفوذ الوافد والتي نضطرب في سمومه ، كيف نعالجها بأساليب العدو نفسه ؛ ونحن نعلم أن الغرب كله يشقبه يملن أن مناهج الايدولوجيات القائمة الآن قد فسدت ولأن البشرية تنطلع إلى منهج جديد .

ومن أخطر رجعات مجتمعاتنا الإسلامية دعوة للناس إلى علاج مشاكهم بالرقص والسينما والغناء . وفي دعوات الاغانى المنحلة دعوة إلى عبادة الحياة

وأن يترك الإنسان شبابه لطبيعته ليأخذ نصيبه من الحياة ، أو أغلق
اللاأدرية التي تنكر كل شيء ، أو تلك المسرحيات التي توجه الشباب إلى أن
الكون طيعي لا خالق له أو تلك التي تحمل أسوأ صور الحوار بين الابن
وأبيه أو بين الزوجة وزوجها مما يهدم كل قيم الإسلام في إقامة العلاقة بينها .

(٣)

أن هناك ثلاث مظاهر خطيرة في المجتمع الإسلامي .

أولاً : الهزل في الفن .

ثانياً : الترف في المجتمع .

ثالثاً : الإسراف في الاقتصاد .

إن المجتمع المصري يمر بمرحلة خطيرة نفقده جميع مقومات السلامة
والصلابة والقدرة على مقاومة الأحداث فقد أصيب بالتراخي والتحلل
نتيجة هذه الأجهزة المصرية المبثوثة في السوق التي تدفع إلى تهديم الشخصية
الإنسانية والقضاء على قدراتها .

فهناك الاسراف في الانفاق حتى لا يبقى فائض أو احتياطي .

وهناك الانفاق ليس في الضروريات بل في الكماليات ، هذه الملابس
الغالية الرفيعة ، وهذا الطعام الكثير الذي يؤكل بإسراف ، وهذا الهزل
في الفن والهبوط ، وهذا الاسراف في السهر وفي النوم ، وهذا التراخي
في النظرة إلى الحياة كأنها ليست دافع قوة وحيوية وخشونة وإصرار
وصمود ، وإنما عكس ذلك تماماً تواخ وانحلال .

ولقد نذهب بعيداً بل نسجل ما ذكرته الصحف : الأخبار ١٥/٧/١٩٧٨
الأموال الضائعة فوق المائدة الخضراء ، يقول إبراهيم سعد .

إن ملايين الجنهات تدخل خزينة الدولة ستونا عن طريق أرباح أندية

القمار في بعض فنادقها الكبرى . دخان كثيف بلا صالة القمار في فندق ...
نساء كثيرات يحمن حول شاب صغير السن يجلس أمام مائدة خضراء
ويقامر بألاف الجنيهات في الدور الواحد ، الحساتر لا تهمة الذي يهيمه هو نظرة
الإعجاب الزائف التي تنهال فوقه من العيون الجميلة التي ترقبه وتشجعه وتعرف
في وعودها الصامتة ، وقام الزبون محاطا بالحسناوات والجميلات ليقضى فترة
الشروق في مكان آخر ، ثم تبين أن الشيكات بدون رصيد ، كيف يمكن
أن يحدث هذا في بلد مسلم ، والآنكى من ذلك أن يقول المحرر أن دولاً عديدة
حصلت على الآف الملايين من الجنيهات من القمار واستخدمته في تنمية
بلادها صناعياً واقتصادياً ، أنها تنمية من المال الحرام الذي لا ينفق
هذه واحدة من مفاصد المجتمع ، القمار .

وهناك موضوع آخر (الاخبار ١٩٧٨/٦/٧١)

تحت عنوان (الدولة تخسر وتجار الوسكى يكسبون) والقضية هي أنه رغم
ارتفاع رسوم الجمارك والضرائب الكبيرة على الخمر فإن طوفان الوسكى يغمر
الفنادق والملاهي الليلية والمخلات ، وتحدث عن ملوك تهريب الوسكى
الذين ربحوا ملايين الجنيهات .

لقد عثرت الجمارك على ١٢٤٠ صندوق وسكى في ملهى د . . . ، الخاص
بالفنانة ، واكتشفت الجمارك أن هذا الوسكى لم يسدد عنه
الرسوم الجمركية ويقدر بمبلغ ٤٠٠ ألف جنيه والوسكى موجود وبكمرة
شديدة — هكذا يقول التحقيق الصحفي — في كل ملاهى شارع الهرم .

وعندما ارتفع استهلاك الوسكى الذي وصل في فندق واحد عام ١٩٧٧
مايساوى ٨٣ ألف جنيه ، وهناك الانواع الأخرى من التبغ والبيرة والعصير ؛
ومن وراء ذلك أرباح الفنادق من هذا الحرام .

وهناك المخدرات : والتحقيق الذي قدمته الأهرام في ١٩٨٤/٤/٢ يكشف
عن حقائق خطيرة حيث يقول العنوانين : مصر تخسر سنوياً مليار جنيه - من
نقد مهرب مهذب وتكاليف مكافحة المخدرات ، إن هالك مبلغ ٧٠٠ مليون جنيه

يتم شهريا إلى الخارج بالعملة الصعبة كل عام لشراء مخدرات بالإضافة إلى ٢٠٠ مليون جنيه يدفعها المصريون ثمنا للمخدرات التي يتعاطونها ويحولونها إلى ستة أفيون بمضغونها تحت الدرس أو إلى دخان يتلوى بنار الجوزة بعد أن يكون قد أكل المخ وهد الجسم ، وفي تقرير لمجلة الأهل إلى ١٩٨٣/٥/٢٥ يكشف عن مجموعة من الحقائق الخطيرة : يقول إن عصر الانفتاح انتهى بزيادة عدد كباريمات شارع الهرم بنسبة ٣٧٥ ٪ وارتفاع عدد الشقق المفروشة لأغراض الدعارة عشرة أمثالها وزيادة جرائم خطف القاصرات بنسبة ٤٠٠ ٪ في المائة وظهرت أنماط جديدة من الجرائم كتهريب الفتيات للخارج وتحول المرأة إلى سلعة تقاس قيمها على أساس جمالها ودلالها لا على أساس إمكانياتها ومواهبها وقد ساعدت الظروف التي نشأت في عصر الانفتاح إلى زيادة حالات الطلاق وأهم الأسباب غياب الزوج في الخارج أو غياب الزوجة ، وقد طالعنا الصحف بالحوادث والقضايا بالطلاق نتيجة شكوى الزوجة من غياب زوجها في دولة أخرى وإنها تخشى على نفسها القسمة .

كانت ظاهرة سفر المصريين إلى الخارج كإحدى الظواهر المصاحبة للانفتاح ، وقد أدت إلى تدهور العلاقات بين الرجل والمرأة داخل الاسر ، بل وأصبح من الصعب قيام الاسرة أصلا ، وخاصة مسألة الاسكان التي أصبحت حائلا دون مسألة الزواج . حيث لا يستطيع المجتمع أن يوفر السكن لكل أسرة .

ومن النتائج الخطيرة لهجرة المصريين إلى الخارج : تأنيث العائلة المصرية ، إلى أن حوالى نصف المصريين المتزوجين النازحين إلى البلدان العربية يتركون لولادهم وأطفالهم في الوطن الأم وهذا ما يؤدي إلى أن الزوجة غالباً ما تتولى وحدها إدارة الاسرة المصرية بصورة كاملة بما في ذلك تربية الأطفال في أخطر سنوات النشأة ، إن جيلا كاملا من ناشئة عصر تنمو الآن في ظل عائلات وحيدة الوالد ، فالوالد الآخر لا يعد كونه زائرا يعود إلى العائلة ، بين فترة وأخرى ، والخطر في سفر المرأة وحدها في مجموعات غالبا ما تكون من فئات مهنية وشبه مهنية وعائلات من ذوي طريق النهضة

الياقات البيضاء ومدبرات اللبوت ومربيات وخادحات ، والسيدات المهاجرات
لما أنهن غير متزوجات أو متزوجات دون صحبة أزواجهن .

هذه الظاهرة مظهر من مظاهر زعزعة استقرار العاملة المصرية بسبب
الهجرت من المال .

كذلك فقد تشكلت لدى هذه الفئة من النساء قيم جديدة نتيجة للهجرة
والحصول على الأموال ، ظهرت بصفة خاصة في نمط الاستهلاك ابتداء من
السيارة إلى الأجهزة الكهربائية إلى الملابس والمأكولات .

وأشارت الصحيفة إلى أن الإنفتاح على العلاقات بين الرجل والمرأة ،
فقال أن هناك ظاهرة انتشار البغاء والاتجار به سواء في داخل البلاد
أو خارجها وتزايد أمر هذه الظاهرة في سنوات الإنفتاح ، وقد أشارت الأهرام
١٢/١٣/١٩٧١ إلى ازدياد نشاط تجارة البغاء في الخارج فكتبت تحت عنوان
(لكي لا تقع في المصيدة فتاة واحدة ، ونشرت أيضاً :

(٨٢ فتاة مصرية دفعة واحدة وقعت في شرك الخداع) .

ونشرت أيضاً : شبكة رقيق ، ٣ فيلات تديرها عصابة للرقيق الأبيض ،
تهريب ١٧ امرأة في مطار ، أكثر من ٣ آلاف جنحة آداب بين دعاة وتحرش ،
كالصق وإدارة منازل الدعارة ، ٨٩١ قضية آداب بين ممارسة البغاء كهاد
واستغلاله والاتجار فيه ، بين عامي ١٩٧٠ / ١٩٧١ ثم يقفز الرقم لحاجة
إلى ٩٧٨

لبن المرأة والفئة المصرية تعيش تناقضاً صارخاً بين نموذج المرأة ، نصف
العابرة المعلن عنها في الإعلانات والتي تتمطر بالمطور الفرنسية وترتدي الأزياء
المستوردة وتدخن السيجارة الأجنبية وتركب السيارة الفارهة ، هذا النموذج
يطل من الإعلانات خاصة من شاشة التلفزيون على نسائنا وفتياتنا ، ليل نهار ،
فتمثله المرأة وتحاول تقليده ، ولو باعت نفسها .

ولم يقتصر الأمر على هذه القصة الجديدة في نوعها على المجتمع المصري

بل الخطورة تكمن في ظهور فتيات جديدة كالتالبات والفتيات وزوجات
بعض الفئات المحافظة في المجتمع وإلزامها إلى قائمة المتهمات في قضية دهارة
هزت الرأي العام نجد أن فيها ثلاث طالبات وزوجة ضابط وأستاذ بالطب
وزوجة منتج سينمائي .

ونجد هناك أيضاً شكل التصدير الممنوع للدعارة وذلك عن طريق الزواج
القانوني (غير الشرعي) الذي يأخذ شكل الشراء على النحو الذي كان معمولاً به
في عصور الرقيق والجواري . خاصة للبنات الصغيرات في السن ، .

هذه العوامل كلها تكشف صورة الاستهتار الاجتماعي الذي يمر بها المجتمع ،
نتيجة الانحراف عن المفهوم الإسلامي الأصيل القائم على التقوى والرحمة
والقناعة ، والتماس مصادر الحلال في العمل وأخطار من ذلك كله اعتماد الخور
والمخدرات والقمار والسياحة كمصادر رئيسية للاقتصاد بينما هي من الأموال
القدرية التي لا تصلح لبناء أي مشروع حقيقي .

ويأتي البغاء السري ليرسم سحابة سوداء في المجتمع المصري .

فهناك ظاهرة بيع الأجساد . وترى فريدة النقاش في بحث لها تحت عنوان
(لساء بلا ريش) وهي ماركسية التفكير : أن المصدر الدافع لاتجاه بعض الفتيات
إلى البغاء هو قلة الحيلة وقلة الخبرة والجوع وانتهاء بطروف عمل الخدمات
الصغيرات في بيوت الاغنياء أو موت عائل الأسرة وتشردها ، ونرى أن
الموقف تطور في السنوات الأخيرة بأن أصبحت هناك أعداد من النساء
المتعلقات تعلمنا عالياً واللاقي جن من أسر مستورة وميسورة ، يقول :
يقول : وجدت في بين النساء مجموعة طالبات من الجامعة ، ومهندسة ديكور
وسينمائيين بدرجة مدير عام في وزارتي هاتين وزوجة مستشار وخبيرة جيولوجيا . .
أي أن معنى هذا أن التفسير المادي للجريمة الزنا ليس كما يصوره نجيب
محفوظ ويوسف إدريس من أن نتيجة السقوط هي عدم وجود لقمة العيش
وهو تفسه باطل ومضل ، والحقيقة أنه لا يوجد هناك إيمان بالله يحول بين
النفس وبين الاندفاع نحو الشهوات وأن الحرية المؤمنة لا تأكل بتديها .

أن الفساد اليوم يتمثل في صورة إغراء الحضارة الغربية التي تنطلق إليها بعض الفتيات والرغبة في الوصول إلى المتاع والثراء والاتفاق الجنوبي في وسط خلا تماما من التربية الإسلامية أو من معرفة حق الله ، أو من بناء رادع يحول دون السقوط ، مما يدفع الفتيات إلى المتاجرة بأجسادهن بغية الوصول إلى المال ومنه إلى السيارات الفاخرة والفرف الوفيرة .

وإذا كان السبع هو الرادع الوحيد اليوم فإنه رادع واه ، فإن هاته الفتيات سوف ينتظرن الايام الباقية حيث يعدن مرة أخرى إلى نفس الحياة القذرة ، ولو كان المجتمع إسلاميا لفتح هن صفحة جديدة من معرفة الله والتوبة والانجاء إلى العمل الصالح .

إن هذا المفهوم المسيطر على هذه المقلبات من العمل في تجارة البغاء للوصول إلى الثروة الطائلة ، وإلى الفسائين والمطور هو تصور فاسد نتيجة اضطراب الحياة الاجتماعية واستعلاء مفاهيم الثراء الفاحش الذي يتحقق للرجال عن طريق الرشوة والخطف ويوید أن يحققه بعض النساء عن طريق البغاء .

إن بعض مصادر ذلك هو الشعار الذي جرى بين الطبقات وانطلق من البضائع الأجنبية الفاخرة ، وهذه الفنون المسمومة التي تطلق للفرائز الدنيا العنان .

د إن ظاهرة المرأة المتعلمة التي تنغمس في تيار تجارب البغاء ، ظاهرة جديدة بالتعرف من مصادرها وآثارها الخطيرة على المجتمع .

* * *

وهناك ظاهرة أخرى من ظواهر انحلال المجتمع هي ظاهرة الرقص المنفشية الآن بشكل واضح في كل مشاهد التلفزيون ، كما أنها هي دعوة صريحة إلى الرقص موجهة إلى كل فتاة وطالبة وطفلة .

وقد تعالت الأصوات بالمطالبة بمنع الرقص من لوحات التلفزيون ومن المسارح والفنادق . وكيف تكشف الراقصة عن جسدها على هذا

البحر المظن ، حين تقف أمام الرجال مستعرضه أنوثتها وهي شبه عارية
تفتنى وتتلوى كالافعى بل هي أشد فتكا من الافعى وتأتى بركات جريته ،
ومع ذلك فإن هناك دعاية مضللة تنتشر في كل مكان . عن الفن وقدااسة الفن .
وكيف يحتمل شبابنا في سن المراهقة هذا المنظر وكيف تحس الفتاة أن ذلك
وما وراه أمراً مشروعاً .

والعجيب أن التفرعيين الظالمين يدعون بأن الرقص في الأديان القديمة ،
أى في أديان الوثنية التى عارضت دين الله الحق ، وهى صناعة التلويدين
على مدى العصور .

ويقول الفريق سعد الدين الشريف : ليس الرقص عيباً فى مجتمع يؤمن بالله
وبرسالات السماء ، ويقول . هل نضحى بأخلاق الامة خوفاً من ضياع
بعض دولارات السباح التى تعتمد على الرقص والمخالعة . وهل نحن
نضحى أخلاق أمتنا ازام السباح بالخمر أو بالوسائل المؤدية الى الاباحية ؛
ما أظن أن ذلك يرضى عنه الغيورون .

الفصل الثاني

المؤامرة على المرأة المسلمة

منذ بدأت سلاسل الاستعمار الاجنبي وأغلال النفوذ الاجنبي تسيطر على المجتمع الإسلامي وتطوِّفه وقد كان في تقدير كرومر وغيره من دهاقة الاستعمار أن تكون مسألة المرأة من الأسلحة النافذة في هدم الأسرة وتدمير المجتمع الإسلامي وكانت من بين أربع دعوات عمل كرومر على إنفاذها في مصر خلال مصر لحكمة في مصر (١٨٨٤ - ١٩٠٦) هي :

(١) الماسونية التي تهدم القيم الاخلاقية والاجتماعية وإثارة روح الإباحة .

(٢) تحرير المرأة .

(٣) إفساد التعليم وتفريغه من القيم الإسلامية .

(٤) ضرب اللغة العربية وإعلاء اللغة الأجنبية والقاميات والكتابة بالحروف اللاتينية .

وقد استطاع خلال فترة حكمه - التي امتدت ربع قرن كامل - أن يضع القواعد التي تحقق هذه الاهداف ، وكانت قضية تحرير المرأة من أبرز ما عمل له النفوذ الاجنبي بازاحة الحجاب وإشاعة روح السفور ، وخلق روح الاستهانة بالقيم الاخلاقية . ذلك أن الاسلام في الحقيقة هو الذي فتح للمرأة باب حريتها بعد عصور من الظلام والظلمات ، ولكن ما كانت تطمح فيه القوى الغازية هو هدم الأسرة وإفساد الاجيال ، إيماناً بأن هذا هو منطق إفساد المجتمع كله .

وقد نشرت وثائق كثيرة من علاقة قاسم أمين بصالون نازلي هانم فاضل التي كانت تعمل لحساب الاستعمار البريطاني وكيف استدرج إلى كتابة هذا البحث

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة أبحاث كثيرة تكشف هذه الغايات البعيدة الخطيرة وقد أشارت السيدة صافي ناز كاظم في كتابها (في مسألة السفور والحجاب) إن هناك علاقة بين الماسونية والصهيونية في الاستراتيجية مع الاختلاف في التكتيك للقضاء على الإسلام وترى أن الذي ساعد على تحقيق هذه الأهداف أن قضية تحرر المرأة (بمعنى رد حقوقها الشرعية التي كفلها لها الإسلام) لم تأخذ اهتماماً من الطليعيين من رجال الدين الثوار في مطلع القرن العشرين ، ونقول إن غياب هذه المبادرة الإسلامية دفعت قضية تحرير المرأة إلى أبعاد لا تنطلق من أرضية إسلامية أو تصور إعلامي (من جانب الثقافة الغربية) ، ومما نماذج المرأة الأوروبية والأمريكية ، كذلك أمكن الفصل بين قضية تحرير المسلم وقضية تحرير الوطن المسلم ، وتقول الكاتبة بعد مناقشة كتب قاسم أمين إن دعوة قاسم أمين خدمت أهداف الماسونية الرامية إلى إضعاف سيطرة الإسلام الأيدولوجية باهتباره ديناً ودولة .

كما تخرج من المناقشة بأن دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة هي في حقيقتها دعوة لمحاكاة أوروبا . وتتهم الكاتبة قاسم أمين بسوء النية رغم إرادته التي أوردتها في كتابه «تحرير المرأة» ، والمرأة الجديدة، هذه الآراء التي تتفق تماماً مع الشريعة الإسلامية ، كما تعترف هي نفسها بأنه يناقش هذه الأمور ديناً يوقار وتركيز وسعة إطلاع فقهى (وهناك قول بأن الأجزاء الإسلامية لم يكتبها قاسم أمين بل كتبها الشيخ محمد عبده) وخلاصة القول إن الاستعمار يستهدف ضرب الإسلام وضرب أية محوّة إسلامية ، ومن أجل ذلك ركز على اللغة العربية (لغة القرآن) وعلى المرأة المسلمة ؛ ولقد كان تمسك المرأة الجزائرية بحجابها سلاحاً حاداً ضد فرنسا الجرائز وضياح شخصيتها الإسلامية . وبالجملة فقد كان عمل قاسم أمين دعوة إلى محاكاة أوروبا والخروج من الاصاله الإسلامية .

ولقد كانت التجربة الخاصة بالمرأة حين ينتظر إليها الآن بعد أكثر من ثمانين عاماً تكشف عن سبقاتها وفسادها وأنها كانت على حساب الأجيال

الجديدة وأنها تتعارض مع تركيب المرأة الفسيولوجي ، والعقلي والروحي ، وإن هناك دعوة واسعة عريضة اليوم إلى عودة المرأة إلى المنزل . هذه الدعوة ليست في مصر وحدها ولكنها في الغرب ، لقد تبين للمرأة في الغرب أن التجربة كانت خاسرة وأن أعظم إنتاج المرأة في الحقيقة وهو الطفل فقد ضاع تماما ولقد عادت الكلمات الجادة إلى القول بأن الطفل هو أروع عمل قومي وهو حربة مواطن صالح بل إن الدعوة امتدت إلى إلزام المرأة بأن تعطى نديها لطفلها ولا تطعمه اللبن الجاف . إن هناك تصعباً شديداً في أوروبا والغرب كله اليوم نحو رعاية الطفل ، وإلى ولادة الطفل نفسه بعد أن انخفضت نسب المواليد في الغرب كله .

والحقيقة أن وراء هذه المؤامرة بالنسبة للمرأة سواء في الغرب أو في العالم الإسلامي قوى اقتصادية تلويده تريد هدم المجتمعات وتدميرها ، وقد تابعتها نحن في مصر والعالم الإسلامي هذه العملية تحت ضربات الطبول باسم التقدم ، وقد أخفى عنا هذا المفهوم ، وتولى قادة فكرنا وزعمائنا دفعنا معصوي الأعين على هذه التضحية الشديدة الخطورة تحت اسم الحرية ثم تبين أنها عملية خطيرة أريد بها إيصال الأمة الإسلامية إلى عصور الاستسلام والانحلال والانصهار في الحضارة الغربية بحيث أصبح المجتمع الإسلامي على وشك إلقاء نفسه في سبوتة العلمانية والاممية ، التي يفقد معها أعظم ماله وهو ذاته الإسلامية .

ولقد وجد في كل عصر ومرحلة دعاة يكشفون مدى هذا الخطر ويذكرون المسلمون بحقائق الأمور وبضرورة الالتزام بالأصالة والرشد الفكري .

ولكن قوى التعريب والقرى الثقافى لا تتوقف عن تب سموها عن طريق من يتسمون باسمائنا ويتكلمون لغتنا ، أمثال طه حسين ولويس عوض وغيرهم من اليساريين والشعوبيين الذين يهدفون إلى هدم قيم الإسلام ، بل إن هناك فريق من النساء السوفوريات يعملن على إثارة هذه الشبهات في مقدمتهن حسن شاه ونوال السعداوى وفاطمة سعيد تليدات أمينة السعيد .

ولما كان النفوذ الاجنبى وأوليائه فى الداخل يعملون على أن لا يتحقق

قيام المجتمع الإسلامى الصحيح ، فإنهم دائماً يوقدون النار وفى أيديهم جميع الوسائل وأصمها الاعلام لخداع الأجيال الجديدة .

ولما كان من أكبر منجزات الصحوة الإسلامية هو عودة المرأة إلى المحجبات وإلى مفاهيم الإسلام فى رعاية الأسرة وحماية الطفل ، فإن هناك محاولات ترمى إلى الإساءة إلى هذه النهضة ووضع العقبات أمام خطواتهن الصحيحة .

(٢)

لقد حاولت دعوة التغريب أن تفسد الرقيا لدى المرأة المسلمة حين طرحى عشرات من المفاهيم المسمومة فى قضايا للإسلام فيها موقف واضح ، استطاع التغريب أن يثيرها من خلال المسرحيات والافلام ونحن اليوم نرى أمثال حسن شاه ونوال السعداوى وغيرهما يندفعون وراء هذه المحاولات الباطلة الذى ما يزال العلم وواقع حياة المجتمع والفطرة تكشف يوماً بعد يوم فساد هذه الدعاوى وبطلانها وأخطر هذه القضايا .

(١) المساواة بين الرجل والمرأة . (٢) مهمة المرأة الحقيقية .

(٣) مسئولية الأسرة (٤) حمل المرأة . (٥) حرية المرأة فى مواطنها وجسدها - فقد أندفعت المرأة وراء هذه الأهواء فكانت ضحايا للأهواء ، ولم يتبين حقيقة الموقف إلا بعد أن تحطمت الأسر ، وحلّت المرأة أوزار الخطأ ولو أن المرأة استأنست بمفهوم الإسلام الذى أهداه الله تبارك وتعالى وهو العليم بها والرحيم بها - لما هوت فى مهاوى السقاء والانهار والتحطم . وقد جاء كثير من الباحثين - حتى الغربيين منهم - فى السنوات الأخيرة فاستطاعوا من طريق العلم أن يؤكدوا هذه الحقيقة التى لا سبيل إلى تجاوزها أو إنكارها (وفى مقدمتهم الدكتور الكسى كاريل صاحب كتاب : الانسان ذلك الجوهل) .

وقد أكدت هذه الأبحاث أن تركيب المرأة مختلف عن تركيب الرجل من جميع النواحي التشريعية والعقلية والنفسية ، وإن المرأة قد خلقت وخلق كيائها على نحو يمكنها من أداء رسالتها التى خلقها الله لها ، فإذا تجاوزتها اضطرب كيائها العصبى والنفسى . كما أكدت الأبحاث أن المساواة بين الرجل والمرأة لا سند لها من علم أو فكر سليم فى أى ناحية من النواحي .

لأن هناك فروقا بين الرجل والمرأة من النواحي الأربع البيولوجية ،
والفسيولوجية ، السيكولوجية ، العقلية — وأن العالم إذا أراد أن يحل مشكلاته
فلا بد أن يعود للمرأة إلى وظيفتها الأولى وهي تربية الأجيال — يقول الدكتور
المكيس كاريل الحائز على جائزة نوبل عن الفرق بين الرجل والمرأة من الناحية
البيولوجية : أن الأمور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد في الأشكال الخاصة
بأعضائها الجنسية والرحم والحمل وأن هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة
من اختلاف نوع الانسجة في جسم كليهما ، كما أن المرأة تختلف عن الرجل كليا
في المادة الحكيماوية التي تفرز في الرحم داخل جسمها فكل خلية من جسمها
تحتل طابعا انثويا — وهكذا تتكون المضادة المختلفة بل وأكثر من هذا ،
فهو هو حال جهازها العصبي وتوجد فروق أيضا كثيرة بين الرجل والمرأة في
الوزن وفي النظام وفي القوة البدنية وفي غير ذلك ، أما الفروق الفسيولوجية
(الوظيفية) فإن أعضاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات ، فهنا فروق من
السكند وفروق في الدم يقول فروسيه في دائرة معارفه : أنه نتيجة لضعف دم
المرأة ونمو مجموعها العصبي فإننا نرى مزاجها العصبي أكثر تهيجا من مزاج
الرجل فتركيبها أقل مقاومة لأن تأديتها لوظائف الحمل والأمومة والرضا تسبب
لها أمراضا قليلة أو كثيرة الخطر .

يقول الدكتور درفايني في دائرة المعارف الكبيرة : إن المجموع العضلي
عند المرأة أقل منه كما لا هذا الرجل وأضعف منه بمقدار الثلث والقلب عند
المرأة أصغر وأخف منه بمقدار ٢٠ جراما في المتوسط ، فالرجل أكثر ذكاء وإدراكا
من المرأة أكثر انفعالا وتهيجا . كما يقول بكولم دبلين في دائرة المعارف الكبيرة :
إن الجواس الخس عند المرأة أضعف منها عند الرجل .

٢ — أما الفروق للسيكولوجية فهناك فارق بين الرجل والمرأة في العاطفة ،
والمرأة أكثر حساسية وتأثرا بالظواهر الطبيعية ، والمرأة لا تستطيع حفظ
الأسرار والمرأة تجذب انقباضها حادثة ما أكثر من فكرة .

والنشاطات الرجل أعمق أثرا من انفعالات النساء وليكنها أقل بعكس

النساء اللائي تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير تكظم أو إختفاء ، وقد لوحظ أن جرائم الشباب هي التشاجر والفسوة والتشرد ، أما البنات فإن جرائمهن من الأمور الحسية ، والكذب ومحاولة الانتشار .

٣ - أما الفروق العقلية فقد ثبت من الدراسات أن هناك فرقا في النواحي العقلية بين الرجل والمرأة ، وفي كتاب الذكاء وقياسه ، للدكتور جابر عبد الحميد لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون في نواحي القدرة الميكانيكية كذلك يتفوقون على الإناث وفي الاختبارات التي تتطلب الاستدلال ويتفوق البنات في اختبار الدقة وفي استخدام الأصابع من الإدراك الكافي للتفاصيل .

٤ - وهناك فترات خاصة تمر بها المرأة ولا يمر بها الرجل وتظهر فيها أمراض كثيرة ، تكون خلالها مضطربة قلقلة ، لا تتمكن من أن تسير سيراً طبيعياً وهي حالة الدورة الشهرية والحمل والولادة والنفاس . يقول دى فلد في كتابه الزواج المثالي : أما الأعراض البدنية الشائعة في المرأة قبل الحيض وخلالها فهي الشعور بالتعب والضغط الغامض ويظهر الصداع غالباً ويزداد تدفق اللعاب ويتمدد السكبد ويتضخم ويحدث نقص في السكبد الصفراوى ويضطرب الهضم كما تضطرب شهوة الأكل إلى آخره ،

هذا الذى يقوله العلماء قال به القرآن قبل أربع عشرين قرناً وأبان الإسلام في محكم كتابه وفي أحاديث رسوله ، أن هناك فروقا عميقة بين المرأة والرجل ، وأن هذه الفروق تدغمها فروق في مهمة المرأة الحقيقية ، وهي مدعاة لنوع من العلاقة بين الرجل والمرأة تكون فيه للقوامه للرجل ؛ ولكن المطروحات المسمومة كلها عن طريق القصة والمسرح والتلفزيون ؛ تحاول أن تضع للمرأة موضعاً مختلفاً ، ومن ثم تفسح الطريق لحوار بذيء تستعمل فيه المرأة على الرجل ، ويشاتم الابن أبيه ، دون أن تراجع أنفسنا في أن هذا ليس مفهوم ديننا ، وأن هذه الكلمات الغابطة وهسيبنا المحوار الممين مدسوس علينا لهدم مجتمعنا ، ولو أن المرأة عرفت حدود علاقتها بالرجل ، وعرف الابن حدود علاقة بآبيه ، وأدى الزوج دوره بأمانة وأدى الأب دوره بإخلاص لما وجدت عندنا هذه الأزمة الاجتماعية الخطيرة

ويحق لنا أن نقول لحسن شاه وفاطمة سعيد ونوال السعداوى أن هذه الأفكار التي تدور في رؤسكم وكتابانكم ليست أفكار أصيلة في مجتمعاتنا ولا في عقيدتنا ولن هذه الصور التي تقدمها كآيات في مجال القصة لا تمثل أصالة مجتمعاتنا وإنما هي مترجمة من قصص أجنبية ثم غيرت فيها الأسماء والأماكن ، وأن للمسلمين والعرب قيم ومفاهيم وأخلاقيات واضحة في التعامل والحوار . وأن هذه الكتابات كلها لا قيمة لها وهي لن تبقى لأنها لا تمثل حقيقة جوهر هذه الأمة ولا ضميرها ، مهما أتيح لها في الوقت الحاضر من بروز أو لمعان وأن هذه الصيحة المصلاة عن معاناة المرأة وما يسمونه الارهاب الفكري الذي يمارسه الرجل هل المرأة المنحرفة ، كل هذا كلام لا قيمة له ، فإن مهمة المرأة الحقيقية ليست هي تلك ، وإنما مهمتها واضحة مفهومة وأن المرأة الناشئة التي تعمد مثلها الأهل في مدام بوقارى لا يمكن أن تعمد حياة زوجية طيبة ، لأنها تتطلع إلى أوامهم من المذود والجنس والتحرر لا يقبلها المجتمع المصرى العربى الإسلامى .

(٣)

نحن نعرف جيدا أن ماسمى حركة تحرير المرأة هو عمل من أعمال الماسونية وأنه بدا في أوروبا تحت لواء إذلال المرأة وتطهير بكراتها ودفعها إلى سوق الخساسة بأيدى القوى العانية التي كانت تخطط لها بروتوكولات صهيونية وأن الاستعمار والنفورذ الاجنبى حاول أن ينقل هذه الصورة إلى مجتمعاتنا ، وأنه ليس هناك ذلك الوم الذي يرى أن المرأة انتزعت حريتها من أنياب الرجل فليس الأمر كذلك وإنما هو الرجل الذي فتح لها هذا الباب لغاية في نفسه ، تولى كتمانها مع الأسف اتخذت به وترك أطفالها للخادعات حتى أصبحت البيوت مظلة كئيبة ، وتمردت الاجيال التي تربت في أحضان الخادعات ، ونشأت في جو من الحقد والتحدى والعنف ، لأنها لم تعمد حنان الرحمة ولم تعمد الصدو الذي يحضنها ويربي فيها عنصر الإيمان أو الأمل ، وفي العمل أيضا كانت خدعة أخرى من الرجل للمرأة هي خدعه المجاملة ، وأخيرا أحسست المرأة أنها ضحية ، وأن الرجل أراد منها أن تكون سلعة وأداة ، ولم يحقق المرأة نجاحا في أي عمل تولته ولم تختار المرأة هذا الطريق

ولسكن الرجل هو الذي أجبرها وأخرجها عنوة والمرأة تؤمن اليوم بأنها كانت على خطأ ، وأن استمرارها في العمل خارج البيت هو مزيد من الخطأ .

إن أكبر أخطاء المرأة في المجتمع الإسلامي هي :

- (١) المحاكاة العمياء بغير تفرقة بين الأحوال عندنا وعند الأوربيين .
- (٢) الصور المتحركة التي تعرض لنا كل يوم مفائق الحياة الغربية على نحو يراد به الإغراء وفيما يراد به التعليم والتهديب .
- (٣) انتقال الآلاف من أبنائنا إلى أوربا يعيشون هناك من غير رقابة ولا تقييد بالخلق الإسلامي .
- (٤) القراءة الرخيصة التي يصح أن يقال فيها ما يقال من أن الردى فيها يطرد الجيد من الأسواق .

(٤)

لقد تكشفت في السنوات الأخيرة تحولات خطيرة في قضية المرأة فقد أخذت المرأة تفكر في العودة إلى البيت وهنا نجد أمثال مصطفى أمين وجماعه التغريبيين والشعوبيين يسارعون إلى معارضة هذا الاتجاه وعمل كل ما في وسعهم إلى ادامة الاستهتار والتدمير ولذلك نجد مصطفى أمين يحتضن جماعة من الهدامات في تكوين حزب جديد للدعوة إلى منع عودة المرأة إلى البيت والسخرية بالراغبات في الحجاب وتشجيع المنطرفات والمتدفعات نحو الفساد والانحلال .

ولاريب أن عودة المرأة إلى مفهوم الإسلام في السنوات الأخيرة وما تبعه من تحول خطير في لباس المرأة وفي عاداتها قد أحدث ظاهرة جديدة وصفها دعاة التغريب بأنها تحول خطير وظاهرة خطيرة تهدد عمل المرأة . وهي في نظرهم عودة إلى الحريم وهدم لمجاد ضخم قام به دعاة

السفور والانحلال خلال أكثر من خمسين عاما فكيف لا يوصف بأنه يهدد عمل المرأة ولو انصفوا لقالوا انه عردة إلى الفطرة ، وإلى طبيعة الامور ، وأنه اتجاه في الطريق الصحيح ، وإذا كانت المرأة في الغرب قد أخذت تتجه إلى البيت بدافع من عوامل اجتماعية واقتصادية ولا يعاب عليها ذلك فلماذا يعاب على المصرية والعربية والمسلمة ، إذا هي عادت إلى الاصاله بدافع من الإيمان بدينها ومن التزام أمر بها .

والاحصائيات تقول أن ٥٢ ٪ من نساءنا العاملات يرغبن في العودة إلى المنزل لرعاية أطفالهن ، بينما نجد من الخطايا الكبرى لإصرار الرجل على أن تعمل امرأته ، وإلى أن لا يتزوج إلا امرأه تعمل غير مقدر للمساءة الكثيرة التي تلحق به من جراء وهم كبير هو أن يكون لزوجته مورد ، بمد يده إليه ، مع أنه من العار أن يحدث ذلك ، وأن من الشرف أن يعيش الرجل بمرتبه وهو رقه والله يبارك فيه مادام من حلال مع تجنب أسباب الترف الكاذبة والفاسدة التي يجرى اتفاق المال فيها وهي ليست من الحاجات الضرورية أو اللازمة .

إن المرأة العاملة الآن بعد أن رأت كيف تتمتع في المواصلات وفي العمل وأن ما تحصل عليه يضيع بين ملابس ومصاريف انتقال وتفاهات ليست أساسية في العيش ، فهي التي تتحدث الآن على أن العمل لم يعد مغريا للمرأة وإن بقائها في المنزل ولو بموارد أقل هو أشرف وأكرم .

لقد وضع أمام المرأة المصرية اليوم - كما يقول تقرير المركز القومي للبحوث الاجتماعية - أن التقصير في رعاية الابناء هي المشكلة رقم (واحد) في حياة ٨٣ ٪ من النساء العاملات .

وقال البحث أن نوعية الفتاة المؤيدة للعودة إلى البيت كلهن من ذوات المستويات التعليمية العليا والاجور المتوسطة وقد تبين أن أجور المرأة تضيع في سد احتياجات كلبية كالحفاظة على مظهرها واستخدام وسائل للثقل أكثر تكلفة أو الاستعانة بالشغلات .

وقد تبين أن القيم المضللة التي طالما دعا إليها مصطفى أمين وامينة السعيد

عما يسمى حصولها على استقلالها الاقتصادي أو تحقيق توازيتها النفسى والاجتماعى وتنمية شخصيتها ، كل ذلك لم يجد أى صدق لدى أفراد المجتمع من النساء أو الرجال .

وقد تبين للمرأة أن الحاجة الضرورية التى تمس حياة الأسرة بشكل مباشر هى تربية الاطفال وأن العمل أصبح يودى إلى الارهاق نتيجة الجمع بين للعمل داخل البيت وخارجه والاختلاط ومشاكل المواصلات والتقصير فى رعاية الزوج والتفكك الأسرى .

وقد أشارت إحدى العاملات اللاتى تركن العمل بأن هناك تعارض بين عمل المرأة ودورها كأم ، وذلك بسبب النظرة المتطرفة إلى دورها الإلهوى باعتبارها دوراً متخلفاً لا يليق بالمرأة المثقفة والمتعلمة أن تفرغ له وقتاً وحتى وأن تحول الطفل إلى الضحية رقم (واحد) لهذا التعارض الغريب فإن سمحت المرأة هذا التعارض لصالح العمل اتهمت بالانانية وبأنها تعيش حياتها العملية وطموحاتها على حساب أطفالها وأن سمحت لصالح تربية الطفل اتهمت بالرجعية والارتداد إلى عصر الحريم . ونحن نرى أن الأصالة والكرامة والإيمان بالله يدفعها إلى التضحية بالمظاهر التافهة وقبول رسالتها الحقيقية فى بناء الطفل والأمة.

الفصل الثالث

احتواء الأجيال الجديدة

كانت خطة احتواء الأجيال الجديدة وصهرها في بوتقة التفرغ من أهم الأهداف التي حرص عليها النفوذ الأجنبي في مراحلها المختلفة : مرحلة الاحتلال ، مرحلة الاستقلال الناقص ، مرحلة ما بعد ذلك ، ذلك أن الشباب هو عماد القوة الصاربة في الوطن الإسلامي الكبير ولذلك كانت المؤامرة على احتواء صليته ووجوده وكيانه مرتبطة بالتعلم والثقافة والصحافة ووسائل التسلية . ولقد كانت الغاية الأساسية هي إبعادة عن عقيدته وأخلاقياتها وتنكره لوطنه ولغته وتاريخه .

والعمل المراجعة اليسيرة لإحدى مواد المصونية : وهي أن السيطرة على الشيوعية هي أولى غاياتها وأهدافها ، وما أوردته بروتوكولات صيغون من قولهم :

دعوا الكحول والسيوخ جانبا وتفرغوا للشباب بل تفرغوا للأطفال فإن الانطباعات الأولى لا تنسى ، وعليه يجب أن نبني تلك الانطباعات على أساس أفكارنا (أي أفكار الماسونية) ولا بد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين .

ولقد قامت الصحافة بدور خطير في هذا المجال ، كما قامت الثقافة بترجمة القصص الجنسية المكشوف والمؤلفات الإباحية والمنحرفة ، وجاء التعلم مفرضاً من القيم والالتزامات ، ولذلك فإننا نرى وبحق أن محاولة احتواء الأجيال الجديدة هي من أكبر العقبات في طريق النهضة ، والانتقال من اليقظة الإسلامية إلى الاحسان والرشد العسكري ؛ وإن علينا واجباً لا يحيد عنه هو قطع الطريق أمام هذه الأفكار الضالة . وعلى الشباب المسلم ألا يكون أمة غافلاً يستمع لكل ناعق ، ويصدق كل دعوى ، ولا ريب أن الإيمان والعودة إلى الله

والتمسك بالقيم الروحية والاعتدال بعيداً عن الشطط والانحراف والتعصب والتطرف مع الإيمان بأن والإانة في فهم الأمور وتقليبها هي أهم الاسس لبناء الانسان المسلم والطريق الوحيد لحل كل القضايا والمشاكل والمصلاات ولا بد من هودة الام إلى حاية كيان الاسرة وتقديم حنانها لابنائها ؛ ولا بد من اقتناع الشباب المنساق وراء الانحراف العقلى أو الجنسى ؛ حيث يجد مغريات التعريب بأن الإسلام يملك البديل الذى يضعه فى مكانه الصحيح وأن البديل الإسلامى — والمبدأ الإسلامى كما يقول الاستاذ أبو بكر القادري هو الاحق والابقى والافضل عند مقارنته بالمبادئ والمبادئ البديلة الأخرى .

وعلى كل حامل فى الحقل الإسلامى أن يكون صدره رحباً واسعاً وأفقه عالياً وتصوراته للإسلام حقيقية لأن مهمة الدعوة إلى الإسلام تتطلب إلى جانب المعرفة والاطلاع نوعاً من الصبر والتسامح حتى يكسب من يناقش ويحاور وخصوم الإسلام يرغبون فى أن نخطئ وننحرف حتى تفسد المهمة ، فعلينا أن نتمسك بالإانة والحكمة حتى نسد الطريق أمام خصوم الإسلام الذين لا يريدون له أن يتقدم .

وإني أنصح بما ينصح به الدعاة الأبرار ، إن على الشباب ألا يستعجل الأمور قبل تمامها ولا الثأر قبل نضجها ، وإن عامل الزمن ضرورى لانضاج هذه اليقظة بما يوفر لها من كتابات علمية تصهر عاطفة الشباب وتربهم على حسن التأنى للأمور وعلى السير مع روح الإسلام نفسه وليس من المواقف العارضة ولا مع استعجال الأمور قبل أوانها .

(٢)

على جيل شباب الله أن يعلم أنه لا يستطيع أن يبدأ من فراغ ولا بد أن يبنى على الاسس التى قدمها له جيل الآباء ، وأن يعلم أن الموهبة وحدها لا تكفى وأن الرغبة لا تفي ، وأن الأمر يحتاج إلى معاناة ودراسة وعلم ونفاذ ؛ وإنه لا بد من الأسلوب العلمى لتصبح أشواق النفس صوراً مقبولة ورضينة

وأن الأدب لا يمكن أن يكون إلا في مستوى الأصالة والبيان العربي وإن على الأجيال الجديدة أن تصحح مسيرة من قبلها وذلك بتوسيع الطريق الضيق ، والعمل على مستوى الفسكرة الجامعة بعد أن عانت هذه الأجيال في مجال قاصر هو مجال الأفليمية والجزئية والإلنشطارية التي فرضها النفوذ الأجنبي .

ولابد من تأمين العلاقة بين الآباء والأبناء بالحنان والرعاية من جانب الآباء وبالثقة والولاء من جانب الأبناء ، ولابد أن تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس المفهوم الإسلامي الأصيل : على أساس (القوامة) التي جعلها الله تبارك وتعالى للرجل وعلى أساس الإيمان بأن مهمة المرأة الأولى والكبرى هي رعاية الأسرة وحماية الطفولة :

إن حماية هذا الثبت الجديد هو أكبر المطالب ، ولما كان الأب يعمل والام تعمل أصبح الابن قائما تتلقفه الاندية التي يشرف عليها قوم غير ذي خلق والتي تنحطم فيها كل القيم ، أو دور السينما والمسارح ، التي تقدم مسرحيات هازلة ساخرة من كل مقومات أمنا وعقيدتنا فقد ارتبطت تجارة الحب والجنس مع صناعة السينما ونموها بهدف إفساد عواطف الشباب في هذا الجيل وتقديم المفاهيم المنحرفة في مجال العلاقات بين الرجل والمرأة والأب والأبناء . وليس أدل على ذلك مما يقوله خبراء متخصصون عن أن الفن لم يعد وسيلة ترشيد وإنما وسيلة اضحاك حيث يقدم موضوعات تافهة وسطحية ، تحنق كل مقومات الأمة ، وتعطي الشباب الغرض صورة تجعله يكره أمته ولا يرى لها مجدا يتحدث عنه ، فما هنالك من تاريخ تعرضه السينما الا تاريخ الزانيات والراقصات والفوازي والنشالات أمثال رباب وسكينة ووداد الغازية .

وقد حققت مؤسسة السينما ١٩٧٢ ستة ملايين جنيه خسارة ، ذلك لأن عددا كبيرا من الأفلام التي تم إنتاجها بواسطة المؤسسة تكلفت مبالغ ضخمة لتحقيق أغراض سياسية دعائية مثل عزام السكرنك ، معسكر البنات ، الخروج من الجنة ... الخ .

وقد أشار علماء النفس إلى خطورة ما يعرض في على الشاشة الصغيرة من تزييف

الحقيقة ، وتخدير العقول ، ونشر وسائل الجنس والجريمة حتى أن أحد الخبراء العالمين قال : أن التلفزيون قوة لا أخلاقية تساعد على إضعاف القيم الدينية ، وإن المجهود الدولي للصحة العقلية بناء على دراسة ٧٣٢ حالة استغرقت خمس سنوات أعلان أن مختلف التصرفات العدوانية من الأجيال الصغيرة واشتداد نزاعهم مع الآباء والأمهات ، فقد تعلموا الكثير من الجنس من خلال التلفزيون أكثر من أى مصدر آخر ، كما أن التلفزيون ينبه الأطفال وينشر العادات السيئة بالتركيز على لجوء الأطفال إلى المسلسلات ، ومعظم الشباب الصغير يقضون من عشرة إلى ١٥ ساعة أمام التلفزيون . ولهذا يفوق عدد الساعات التي يقضونها في مدارسهم .

ومن هنا فإن هذه الأجيال تتميز بانخفاض الكفاءة العلمية ، فهي أجيال غير قادر على القراءة والكتابة أو اتفاق العمليات الحسابية ، وأن من أخطر أخطار التلفزيون أن عملية المشاهدة تخلق بالتدريج موقفا سلبيا أو عاجزا عن الأداء الإيجابي الجيد في أغلب الأشياء ، وهناك خطورة ظاهرة سلبية المشاهد ، وهي تهديد بأجيال أقل كفاءة من الناحية العملية .

وأشارت الأبحاث إلى أن المسلسلات والأفلام التلفزيونية تثير الجانب الذى يحتقن بالاستجابات العاطفية أكبر من الجانب المتخصص بالتحليل والتفكير وإنجاز الأعمال ، وأن تتابع الصور التلفزيونية له تأثير مخدر على العقل . وقال باحث نفسى : إن السينما تنسرب إلى ماتحت الجلد فى اللاوعى حتى يمكن أن يقال أن السينما هى أفيون الشعوب ! وهى عملية مخدرة فإن هؤلاء الذين ضاعت آمالهم ، يحاولون أن ينسوا الملل الذى يتقل حياتهم فيفرون إلى السينما لرؤية مغامرات فلان وفلان ، وهو علاج وقى لا قيمة له ، بدلا من أن يلجأون إلى الأسلوب العملى الذى يوصى به الإسلام وهو معالجة المشكلة واستئناف طريق جديد للعمل .

(٣)

إن كل محاولات وسائل الثقافة والصحافة والتسليمية ترمى إلى أن تشد الشباب نحو التيه ، فهي تحرمه من معرفة البطولات القومية وفضل إيمته على الحضارة الإنسانية ، أو بناء شخصية بأداء اللغة الفصحى ، أو معرفة العلوم الإسلامية التي هي بلا شك أكثر نفعاً من دراسات الفلسفات المادية والوثنية والإباحية التي تطرح على شبابنا في الجامعات وفي الصحف ، كذلك فإن هناك محاولات لتفريقه من الثقافة ، ودفعه في طريق أهواء النفس والرغبات الجنسية والانحلال .

وهناك مغريات خطيرة ، منها جنون السكر ، هذه الظاهرة التي فرخت نفسها على المجتمعات ، بديلاً للصراع الحزبي السياسي ، وهي عملية تقتل الفراغ الذي يمكن أن يستغل في أعمال إيجابية نافعة لبناء الأمة .

وهناك فوضى الفيديو كاسيت التي تفسد الشباب بأن تقدم له أفلاماً بفسية صارخة هي بعيدة الأثر في النفسية الشابة سواء بالنسبة للآباء أو الفتيات فهناك خطورة شديدة في عرض شرائط الفيديو في بعض المقاهي والأماكن ؛ والبيوت .

هذا بالإضافة إلى القمار والمخدرات والمال الحرام .

ولقد ترددت في السنوات الأخيرة مسألة حقن الماكسون فورث المخدرة والحبوب التي أصبح الحصول عليها أسهل من الحصول على أقراص الأسبرين : ومعنى هذا أننا نورد شبابنا - الذي هو عدة مستقبلنا مورد الشطط ونحطم هذه القوة التي تمثل الآن أكبر من ستين في المائة وأن هدم هذا الجيل يعني أن يشوه مستقبل هذه الأمة تشويهاً خطيراً ويكون منطلقاً لغزو من القوى الطامعة وهو هدفها من هذا العمل في الحقيقة .

(٤)

ولذلك فإننا يجب أن ندعم الوجود المؤمن بين الشباب الذي ظهر على الأرض الطيبة ، ونحميه من دعاة السوء الذين يريدون اقتلعه ، نريد أن تخرجه من دائرة البحث حول هوامش الفقه ، والمسائل الفرعية المختلف عليها ، ليقترحم المجال الأوسع والحقيقي ، وهو مجال تحرير العقيدة من الشبهات المثارة في كل مجال من مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية ، فإن هذا التوقع في دائرة المسائل الفقهية المتعلقة بالزنى واللحية وغيرها — بالرغم من أهميتها — من شأنه أن يصل إلى غاية يفهم منها أن الإسلام دين عبادة ، نعم نحرط طالبون بتحرير مفاهيمنا في العبادة ولكن نحن أيضاً في حاجة إلى أن نعيش مفهوم الإسلام كاملاً ، عقيدة وعبادة وأخلاقاً وأن نضفي صفة الأخلاقية (التي هي الالتزام الأخلاقي) على جميع المعاملات والعلاقات في حياتنا ومجتمعنا ، بالنسبة لكل إنسان وإنسان آخر في العمل أو السوق وبالنسبة للرجل والمرأة وللزوج والزوجة وللأب والابن فإن مهمة هذا الجيل الطبيعي الذي يرغب في أن يحمل رسالة بناء المجتمع الإسلامي تتطلب التطبيق العملي لهذه القيم الأساسية في المحيط الضيق : محيط كل أسرة أولاً على نحو محكم ثم منه إلى التعامل مع المجتمع العام .

هذا العمل من شأنه أن يقدم اقتناعاً حقيقياً بأن بناء هذا المجتمع الإسلامي يجب أن يقوم به أهل المؤمنون به ، وأن عليهم أن يتمكسوا بالعزيمة والاصرار على رفض كل ما يحول دون قيامه ، عليهم أن يرفضوا كل عناصر الفساد الموجودة في المسرح والقصة والتلفزيون والشارع ، وأن يحرصوا على أنفسهم وأولادهم من أن ينصهروا في بوتقة هذه المفسدات التي تحاول أن تقصيمهم على مفهومهم الصحيح لعبادة الله وإقامة العلاقات الإسلامية الصحيحة بينهم وبين غيرهم على أساس التقوى والإيمان .

إن العمل الأول هو بناء القدرة على الانصراف عن كل وسائل الإغراء والانحراف ، ، واللذائذ والمطامع والمغريات ، دون أن يصرفهم هذا عن دورهم في الحياة الشريفة القائمة على الحلال والاستمتاع بحقوق المشروع فيها ، (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

وأن يكونوا على حذر كافٍ ببعض بعض بما يمكن أن يحدثه ذلك الاستسلام الضعيف العاجز لكل ما يدور في الممسلات من أحاديث غواية أو من وقص ، أو من غناء أو من سلسة فاجرة وأن يكون نفس الشيء في التعامل اليومي مع الناس ، الذي قوامه القدرة على الانصراف عن الحرام ، والوقوف عند حدود الحلال في الكسب والمطعم والتعامل .

ولا بد أساساً من المحافظة على نقاء الفطرة حتى تكون قادرة على الاتجاه نحو الخير ، أما هذا الشر الذي نجده بين طوايا المجتمع ، فنحن لسنا مطالبون بالخوض فيه ، ونحن قادرون في نفس الوقت على تجنبه .

فنحن لا نرفض المجتمع بل نتعامل معه وننتصل به بالقدر الذي تتحقق به مطالبنا وعلينا أن نذود عن أنفسنا وعن بيوتنا وعن أبنائنا وجوه الضلال جميعها ، ونحول دون انتشارها ووصولها إلى بيوتنا ، وأن نكون قادرين على معرفة تلك الفلسفات السوداء التي تبرر هذا الفساد وهذا الاثم فنردها ونحضرها ونكشف زيفها لأبنائنا يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

وأن تؤمن إيماناً يقينا بأن هذه الحياة ليست إلا ساحة معركة بين الخير والشر والحلال والحرام ، وأن الخير منها والحلال يحتاج إلى صمود وصبر واستمسك ، يقوم على أساس الاستعانة بالله تبارك وتعالى والخوف من حسابه ومن عقابه ، وأن تكون النفس منصرفة أساساً عن المطعم في المادة التي هي مصدر الاغراء في الوقوع في حبال الفساد .

هذه الطاقة الخلقية القوية القادرة على مواجهة الشر والحرام والنحو عنهما تبني مع الزمن ، ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم ، الصبر بالتصبر ، والاحتفال بالتحمل .

وعلياً أن نكون على حذر بما يلقيه الغير من نظريات ومذاهب فإن فيها قليل من الخير ولكن فيها كثير من الشر ، علينا أن نعرضها على ضوء الكتاب والسنة ؛ وأن نأفهم من الخير يوجد لدينا مثله وإضعافه في تراث فكرنا وأن ما فيها من الشر فنحن في غنى عنه .

إننا نصدر أساسا من إيمان عميق وثقة أكيدة بأن السلامة في منهج الله تبارك وتعالى ؛ وأن الإنسان لا يستطيع أن يقيم منهجا لنفسه خاليا من أهوائه ومطامعه ؛ ولا بد للإنسان من منهج رباني لتنظيم حياته ، هذا المنهج هو الذي يهديه إلى الحق في كل لحظة .

إننا مطالبون بأن نطبق في أهلنا حكم الله وشريعته ؛ فلا نقبل غير العلاقة التي أحلها الله ؛ وأن نطبق في تعاملنا مع الناس قانون الحلال والحرام فلا يقبل غشاً ولا رشوة ولا ربا ، وأن نقيم بين الآباء والأبناء تلك العلاقة السكرية ؛ علاقة الوفاء والعرفان من الولد وعلاقة الرجعة والتوجيه من الوالد كذلك فلا تبرهم هذه المظاهر البراقة من متاع الدنيا القليل الفاني ؛ وبكفي الإنسان المسلم أن يعمل في الحلال وأن تكون موارده قليلة ومباركة فهو ينفقها على أهله ويؤدي منها الزكاة .

(٥)

إن أقوى سلاحين في يد الشباب لمواجهة التحديات :

(١) الاعتصام بالإيمان بالله ويحقق ذلك في نفسه وبيته وأهله .

(٢) التمسك بالطاقة الخلقية أمام موجات الفساد والانحراف .

(٣) التعامل مع المجتمع على أساس الحكمة والموعظة الحسنة ، بعيدا عن كل أسباب العنف والتعصب أو الانحراف أو فرض الرأي .

وأن المسلم يستطيع أن يقوم في بيته وجمعه على أساس أخلاقيات الإسلام بحيث لا يخضع للفساد الموجود في الشارع وفي وسائل الإعلام ، سيما ، منع التحرر من المطامع الصارخة في الوصول إلى الحرام سواء في المال أو في الجنس ، وأن يستعمل إذا قام قبول المال الحرام والكسب الحرام .

وأن يصطنع الشباب المسلم آداب الطعام واللباس وآداب المجالس والزفاف وفق توجيهات الرسول ﷺ .

وذلك كله يرمى إلى تغيير العرف ، العام المنحرف الذي صنعته قوى التغريب والعودة إلى أعراف الإسلام الأصيلة .

(٦)

أن هناك صيحات عالية الآن تتحدث عن الخطر الذى يواجه الطفل المسلم الذى يعاني من إندخال الأسرة عنه نتيجة خروج المرأة للعمل وانغماس الآباء فى دوامة الحياة اليومية ، وحيث لا يجد دور الحضانة الإسلامية التى تتعهد بالرعاية كما لا يجد المدرسة الإسلامية التى تقوى صلته بدينه وأخطار ما يفتقده الطفل المسلم هو (القدوة) التى يقتدى بها فلا يجد أمامه إلا معلمين هازلين ، وآباء مشغولين وأمهات لاهيات ، والمثل الأعلى الذى تقدم له الصحف ووسائل التسلية هو الممثلين والراقصين ولاعبى الكرة بانحرافاتهم وكتابتهم المائعة ، وحركاتهم الزائفة .

إن حاجة الطفل الحقيقية هى فى الحنان والبسمة والنظرة الحانية التى تقدمها الأم حينما بعد حين والرعاية والسؤال والمتابعة التى يقدمها الأب ، وكيف والآب مشغول فى عمل لا يطمح من ورائه إلا تحصيل المال من أى طريق وبكثفى بأن يقدمه لزوجته وينسى مسؤوليته عن التوجيه اليوى المستمر .

وإذا فقد الطفل قدوته فى الوالدين ، فأين يجدها ، أن المعلم فى المدرسة لا يستطيع أن يقدم هذه القدوة لأسباب كثيرة ؛ كذلك فإن الشارع لا يقدم هذه القدوة مع الأسف .

الباب السادس

القانون الوضعي والاقتصاد الربوي

- الفصل الأول : تاريخ القانون الوضعي .
- الفصل الثاني : ما يؤخذ على القانون الوضعي .
- الفصل الثالث : عقبات في طريق التطبيق .
- الفصل الرابع : مؤامرة تطوير الإسلام .
- الفصل الخامس : الاقتصاد الربوي .

1872

1873

1874

1875

1876

1877

1878

امتدت خطوات تدمير المجتمع الإسلامى فى عدة ميادين ففى لم تتوقف عند تدمير المجتمع والمرأة والأسرة والطفل ، ولكنهم مضت إلى إفساد التعليم والثقافة والفن ووسائل الترفيه والتسليه المساجد (المسرح والسينما والأغاني) .

وامتدت خطوات تدمير المجتمع إلى ميدانين آخرين غاية فى الخطورة هما القانون والاقتصاد . أما فى مجال القانون فقد حجبت الشريعة الإسلامية منذ بدأ النفوذ الغربى سيطرته على مصر والبلاد الإسلامية وحل محله القانون الوضعى ، كذلك فقد فرضت المصارف الربوية ووجه الاقتصاد فى البلاد الإسلامية وجهة مخالفه تخضع للربا والفائدة وسيطرة الغرب عليه سيطرة كاملة ومن ثم أصبح القانون الوضعى والاقتصاد الربوى من أكبر العقبات فى طريق النهضة الإسلامية .

أن أخطر ما فى هذه المعوقات أنها فرضت على الأمة الإسلامية وما كانت من اختيار الأمة أو رغبتها فقد كانت الأمة تسير فى نهجها الثرى بشريعتها الربانية ونظامها الاقتصادى الرحيم حتى خلعتهما عنهما القوة التى سيطرت على الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامى .

واليوم وبعد أن انقضى أكثر من قرن من الزمان منذ الاحتلال البريطانى لمصر فأننا حين نستعرض الموقف نجد أن هناك خطوات جديدة بطيئة نحو الأصالة والرشد الفكرى ولكن الموقف مازال فى حاجة إلى جهد ضخم فى ظل الصعوبة الإسلامية خلال مطالع القرن الخامس عشر الهجرى .

الإسلام دين ودولة

إن كون الإسلام دين ودولة ونظام حكم ومنهج حياة لبناء مجتمع قضية أساسية فى فهم الإسلام والإيمان به . غير أن النفوذ الأجنبى حاول التشكيك فى هذه الحقيقة وإثارة الشبهات حولها منذ اليوم الأول لتدخل الاستعمار الغربى فى البلاد الإسلامية بهدف فرض القانون الوضعى وهدم القانونىة القضائية الإسلامية ، وإقامة القضاء الوضعى ، وذلك بهدف تفريع الإسلام من قوته الأساسية وهى (الحكم) الخيولة دون بناء المجتمع على أساس المنهج الربانى فى السياسة

والاقتصاد والتربية وغيرها . وكان الهدف الاساسى هو هدم الخلافة الاسلامية وتمزيق الوحدة الاسلامية ، ومن هنا ظهرت كتابات التغريبيين التى حاولت أن تشكك فى هذه الحقيقة وفى مقدمتها كتاب الاسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق وما كتبه أمثال خالد محمد خالد (وقد رجع عنه) وعبد الحميد متولى ومحمد عمارة ومحمد خلف الله .

وفى سنوات المد الشيوعى أولى الماركسيون اهتماما كبيرا بهذه القصة فأعادوا نشر كتاب على عبد الرازق وكتبوا له مقدمات واسعة وظهر أخيرا كتاب الاسلام والسلطة الدينية لمحمد عمارة ونرى الآن كتابات خلف الله ، وحسن حنفى ، وأحمد بهاء تشكك فى هذه القيم الاساسية وكذلك ما كتبه توفيق الحكيم عن تطوير الاسلام .

وقد أولى هؤلاء العلمايين بعض العبارات لتفسيرها على الهوى الذى يطمحون فى أن يحققوه ومن ذلك عبارة الرسول صلى الله عليه وسلم (أنتم بأعمى دنيكم) وهى لا تقصد مطلقا أن يصبح الاسلام دين صلاة وعبادة وأن يأخذ المسلمون ايدولوجيات الغرب فى شؤون الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصاد وإنما تعنى معنى التخصص الذى يوكل أمره إلى العارفين فى كل فن من فنون الحياة ، كذلك فإنهم يستعملون عبارة مهمة هى : اختلاف الاحكام باختلاف الأزمان وهذا فى أمر الفروع والمتغيرات ولكنه لا ينطبق على الثوابت وهى الحلال والحرام . ولا يمكن أن نفسح الطريق لافرار الربا أو الخمر أو الزنا ويغيب هن هؤلاء أن مفهوم الاسلام ربانى المصدر واسع الاطر ، وأن له ثوابته ومتغيراته ، وإن هذه الثوابت من الحدود والضوابط والاخلاق لا تتغير بتغير الأزمان والبيئات ، وأن موضع الاجتهاد هو بجانب المتغيرات مما لم يرد فيه نص ، وأن الاسلام فى ذلك يختلف عن المناهج الدينية الغربية أو الايدولوجيات البشرية التى تحتاج إلى تعديل وتحوير وإضافة وحذف لعدم قدرتها على مواجهة متغيرات العصور ، ليس الاسلام كذلك .

الفصل الأول

تاريخ القانون الوضعي

ثلاث حوادث أساسية دهمت البلاد أدت إلى تغريب شامل للقوانين المصرية :

(١) الإصلاح القضائي في عهد الخديو توفيق ١٨٨٣

وبه استبدل بالشريعة الإسلامية قوانين وضعية تحكم الأوضاع الكبرى هي : القانون المدني ، وقانون التجارة ، والقانون البحري ، وقانون المرافعات المدنية والتجارية وقانون العقوبات وقانون الاجراءات الجنائية .

وانشئت تبعا لذلك محاكم على النمط الاجنبي ولم يبق للشريعة الإسلامية إلا دائرة ضيقة : هي دائرة الاحوال الشخصية والوقف .

(٢) قيام ثورة ١٩١٩ وصدور دستور ١٩٢٣ :

وهي ثورة قامت على الاصول الإلحادية التي اعتنقتها الثورة الفرنسية ١٧٨٩ وسميت باسم الديمقراطية الحرة أو (الليبرالية) وقن دستور ١٩٢٣ هذه المبادئ التي تنصر خلافا لما يقرره الإسلام — على الحريات المطلقة وبخاصة حرية العقيدة الدينية ، فصارت الدعوة إلى التبشير مباحة ، وصار ارتداد المسلم مباحا ، واحتجبت الاصول الدستورية الإسلامية من الأذهان فمن قائل أن الانتخاب هو البيعة الشرعية ، ومن قائل أن قيام البرلمان بالتشريع هو من قبيل الشورى ومن قائل أن الإسلام يركز على الأساس الديمقراطي .

(٣) قيام حركة يوليو ١٩٥٢ واتحادها المبدأ الاشتراكي الذي أسفر — كما أعلن السادات — عن فشل كامل أو فشل مائة في المائة حسب تعبيره ، فقد أفضى بنا إلى الإفلاس في الداخل والهزيمة في الخارج وإلى ظهور مراكز القوى الطاغية التي ذافت منها البلاد الأمريين حتى صفت في ١٥ مايو .

هذا المبدأ الاشتراكي أشد خطراً من النظام الديمقراطي الحر فهو ينكر وجود الله ويزعم أن الاقتصاد هو الذى يصنع التاريخ .

ومن هنا كان القضاء المبرم على المكانة الضعيفة التى تركها النظام الوضعى الجديد للشريعة الإسلامية وذلك كصدور قانون الأحوال الشخصية ١٩٢٥ وقانون الوصية وغيرها وإلغاء المحاكم الشرعية ١٩٥٥ وتعديل نظام الأزهر ١٩٥٦ (مصطفى كمال وصفى) .

(٢)

ظاهرة اللائكية : فى العالم الإسلامى بدأت بحركة مصطفى كمال أتاتورك التى استهدفت إلغاء الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقانون الوضعى من ناحية وإسقاط الخلافة الإسلامية التى كانت علامة تجمع بين المسلمين وكانت ظاهرة اللائكية التى قامت فى تركيا من صنع النفوذ الأجنبى وكانت موضع حفاوة من الثوريين فى مصر والبلاد العربية ، ولكن سرعان ما استطاعت حركة البقطة الإسلامية أن ترفع عقيرتها بالدعوة إلى العودة إلى الشريعة الإسلامية والامل فى إعادة الخلافة الإسلامية وبعد سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ من أكبر الطغتن التى وجهت إلى قلوب المسلمين ، وجاء ذلك على أثر رفض السلطان عبد الحميد بيع فلسطين لليهود وتهديد الزعيم اليهودى (قراصو) رئيس المحفل الماسونى فى سالونيك للخليفة وقوله :

سترى كم يكلفك هذا الرفض .

وقد جاء إسقاط الخلافة بعد إعلان عهد بلفور ١٩١٧ ببضع سنين :

وقد بدأ الانزاع هذه التجربة بعد مصر فقد أخذ الانزاع بقانون سويسرا المدنى وقانون الجزاء الايطالى ، هذه القوانين كانت بمعدة عن عقلية المسلمين وذوقهم ومنازعتهم ومشاربهم ، قال مصطفى كمال : نحن أمة عصرية يجب أن نكون مصريين مطابقيين لأحوال الزمان لا للبداءى والتقاليد .

والواقع أنه ليس فى هذه القوانين ما يتفق مع الزمان والمكان وفرق بين

تركيًا من ناحية وبين سويسرا وإيطاليا ، وكان أخطر ما في ذلك قبول هذه القوانين دون تعديل أو تنسيق مع أحوال البلاد فضلا عن أن القوانين الأوروبية متأثرة بالتحاليم المسيحية والتشريع الروماني فهي تحتوي على مبادئ دينية ، أما الفقه الإسلامي فليس مشتقاً من الفقه الروماني ، وهو من نتائج مذاهبه اكل تطور وهناك قاعدة الضرورات تبيح المحظورات .

ولقد حقق التغريب في تركيا (دولة الخلافة الإسلامية) هدفين كاملين :

١ - إلغاء تطبيق الاسلام كلية ومحو معالمة من القانون والدولة والتعليم والثقافة .

٢ - إلغاء اللغة العربية كلية من الكتابة التركية والكتابة بالحروف اللاتينية .

(٣)

كانت فكرة علي عبد الرازق في كتابه (الاسلام وأصول الحكم) مخالفة مخالفة صريحة لمفهوم الاسلام الصريح الواضح ، فقد أنكر أن الشارع الاسلامي قد تدخل في أمر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية أو وضع قواعد وستنأ متعلقة بالتجارة والزراعة أو الصناعة :

يقول دكتور محسن البرازي : إن هذا الإنكار لانحلال لنا مرتكزاً على دليل بل يترامى لنا أنه مخالف للحقائق الراهنة ، ويكفي أن نحمل النظر في القرآن وكتب الاحاديث النبوية حتى نجد الآيات العديدة والفصول الطويلة التي تنبثق في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية . قال علي عبد الرازق : إن كل ما جاء به الاسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فإنما هو شرع ديني خالص لله تعالى ولمصلحة البشر الدينية لا غير ، ولو أننا أخذنا بنظرية علي عبد الرازق لذهبت بنا إلى ضد الغرض الذي يرمى إليه صاحبها ، ذلك الغرض الذي هو عبارة عن التفريق بين الامور الروحية والدينية وترك المسلمين أحراراً ينظمون مجتمعهم كما يشاءون وحسب ما تقتضيه حاجات الزمن وشئونهم

السياسية والاقتصادية والاجتماعية دون أن يكونوا مضطرين للرجوع إلى
النصوص الموجودة في القرآن والحديث ، ولعمر الحق لو اعتبرنا أن جميع مآنه
عليه المصدرين من الأمور الحقوقية والاجتماعية هو ديني روي خالصه وحده ،
كنا حينئذ مرغمين على أن لا نعرض لها بأقل تعديل أو تكيف بمقتضى حاجات
الزمن هذا وما يرضى عنه صاحب (الإسلام وأصول الحكم) لأن الأحكام
الدينية المحصنة أو المعتقدات يحث أن تبقى سالمه كاملة لا يمسها أدنى تعديل
فلا مندوحة لنا أمام الأحكام الصريحة الواردة في المصددين الذين منحنا العالم الاسلامي
شريعة تزاو كساتر الشرائع في الجميعه التشريعيه ، كذلك فإن الاسلام لم يقتصر
على الاكثريات للقضييه الاجتماعيه فقط بل أنه تطرق إلى بحيث العلائق
الاقتصاديه .

والحقيقه أن دعوة الشيخ على عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)
تعد كما يقول الاستاذ محمد المجذوب خرقا خطيرا في جدار الاسلام فتح الباب على
مصرعيه للجهله من قادة الشعوب الإسلاميه فاتخذوه منطلقا لتخريب مجتمعتهم
ووجعتهم أن القائل بهذه التخرصات وأحد من خريجي الأزهر وأحد رجال
القضاء في بلد الأزهر ، فآريه في قضايا الحكم هو دون ريب رأى الإسلام ،
ومن هذا اتخذت القننه الجديده طريقها الجريء إلى تقويض دعائم النظام
الإسلامي في نطاق السياسه التي أصبحت منذ ذلك اليوم العوبه الطواغيث يفتنون
عن طريقها في بيان المسلمين .

وقد أنتجت دعوة الشيخ على عبد الرازق مدرسة من الشعوبيين الذين ينطلقون
من هذا المفهوم الخاطيء ويحاولون أن يريفون مفهوم الإسلام الاصيل : بوصفه
دينا وذوله وقرانا ونظام حكم ، هذه المدرسه التي أنطلق منها فهمي هويدي وأحمد بهاء
وحسان عبيد القدوس وتوفيق الحكيم وعبد العظيم رمضان ومحمد عماره وخلف الله

(٤)

خضعت مصر والبلاد الإسلاميه لقانون نابليون أكثر من مائة عام وحجيت
الشريعة الإسلاميه وراء القانون الوضعي الذي فرض عليها وموت خلال ذلك

مرآحل جرت فيها محاولات لتعديل القوانين ، ولكن صيغة القائمين على اليقظة الإسلامية ، منذ الثلاثيات من القرن الميلادي كانت صادقة وعميقة وقد استطاعت أن تجد عدداً من المؤمنين بها من رجال القانون انفسهم ، فضلاً عن إعترافات رجال القانون الغربيين في موتمرات متعددة عقدت في سنوات ١٩٣٥ - ١٩٥٢ نشيد بالشريعة الإسلامية وتعتبرها مصدراً للقانون العالمي وأنها مستقلة عن القانون الروماني وأفضل منه .

ولكن القوى الاستعمارية ومن يؤيدها من رجال التعريب كانت عاملاً على ضرب هذا التيار والنيل منه فقد كانت إبرز أهداف التعريب الغربي هو ضرب الشريعة الإسلامية والحيلولة دون تطبيقها وكذلك أرزت ذلك القوى الماركسية وذات الولاء الصهيوني ، وقد خطت الدعوة إلى تصحيح الموقف خطوات أهمها إنشاء جماعة تجلية الشريعة الإسلامية برئاسة المستشار عبد الحليم الجندى الذى قامت بأعداد القانون المدنى ، وقد عدلت مصر دستوراً سنة ١٩٧٠ بإضافه مادة (الشريعة الإسلامية مصدر أساس للقوانين) ثم صححت حتى أصبحت (الشريعة الإسلامية هي المصدر الاساسى للقوانين) .

وقد إهدت فعلاً أغلب هذه القوانين وهى لسيل مراجعتها من علماء الأزهر ووضعها في الصياغة النهائية :

- ١ - قانون المعاملات المدنية - ١١٤٦ مادة
 - ٢ - قانون الاتبات - ١٨٢ ماده
 - ٣ - قانون القاضى - ٥١٢ ماده
 - ٤ - قانون العقوبات - ٦٣٥ ماده
 - ٥ - قانون التجاره البحرية - ٤٤٢ ماده
 - ٦ - قانون التجارة - ٧٧٦ ماده
 - ٧ - التشريعات المالية والاقتصادية (قانون الزكاه وخطر التعامل بالفائدة ، وضريبة التكامل الاجماعى .
 - ٨ - التشريعات الاجتماعية والتأمينات
- (م ١٧ - طريق النهضة)

وأبرز ملامح هذه المشروعات أنها مأخوذة من الشريعة الإسلامية دون التقيد بمذهب فقهي معين ، مع الخص على بيان الأصل الشرعي لكل نص من النصوص حتى يكون الرجوع إلى مراجع الفقه الإسلامي ، أما بالنسبة للعلاقات الاجتماعية والمعاملات المالية التي استحدثت ولم يتطرق إليها علماء الشريعة فقد بذل الجهد في استنباط الأحكام التي تتفق وطروفي المجتمع ، وروح العصر بشرط مطابقتها لروح الشريعة الإسلامية وأصولها ومن أمثلة ذلك معاملات البنوك والتأمينات وطرق استثمار المال (صوفي أبو طالب : يوليو - ١٩٨٣) .

وقال أسطفان باسيل : أنه عمل بالقضاء أكثر من عشرين عاما ويعلم أن الشريعة الإسلامية يجب أن يطالب بها المسيحي قبل المسلم لأنها ضمت كل ما فيه صالح البشر جميعا ، وهي بسماحتها لا تتدخل في شؤون الديانات الأخرى لأنها من عند الله سبحانه وتعالى .

كذلك فقد نشأت مجموعات رائدة من المستشارين والقضاة الذين حققوا ما يدعونه إليه أيمانهم في صدوروا الأحكام وفق قوانين الشريعة الإسلامية ولم ينتظروا حتى تقنن القوانين الجديدة كذلك فقد كتب كثيرون منهم في موالاته الشريعة وفي كشف فساد القانون الوصفي أمثال الاساندة حسن منصور ، فتحى وإلى جمال المرصفاوى ، محمود نجيب حسنى ، أحمد فتحى سرور ، مامون سلام ، يوسف قاسم ، حسنين عبيد ، محمد رشدى حمادى .

فالظاهرة الواضحة أن عشرات من القضاة ورجال القانون بوصفهم من رجل الاختصاص أصبحوا يتحدثون عن شريعة الله وضرورة عودة تطبيقها على المجتمع حتى تسير حياة المسلمين سيرتها الطبيعية : بقول المستشار حسن منصور : أن ما تتميز به الشريعة الإسلامية في مجال العقوبة هو بالنسبة للسام والمحكوم ، وأن القاضي الذى يصدر الحكم بالعقوبة يجد في عملة هذا أرضاء لنفسه وراحة لضميره لأنها دائما تستحضر عظمة الشارح للعيون وهو الله سبحانه وتعالى ، فهي مراقبة للحق وأمثال أمر الخالق ، وهو بذلك يخرج من دائرة المخطورات الثلاث : الكافرون ، الظالمون ، الفاسقون (الواردة في سورة المائدة) هذا بالنسبة للقاضى ، أما بالنسبة للمحكوم عليه فإن أداء العقوبة يؤدي إلى طهارته من

لخشاء الائم الذي هوى إلى دركة . وبالنسبة للمجتمع فإنه سينعم بالامن والاستقرار والطمأنينة .

هناك أعمال ضخمة من علماء القانون المسلمين المؤيدين للشريعة الإسلامية . في مقدمتها ما كتبه الدكتور محمد صادق فهمي (القاضي بالمحاكم المختلطة) الذي أخرج رسالة في الاثبات باللغة الفرنسية ١٩٣٣ ، وقد أولى الجزء الائم لما قرره علماء الشريعة الإسلامية وعلى رأسهم شمس الدين بن قيم الجوزية في كتابه (أعلام الموقعين) .

كذلك فهناك الكتاب الضخم النافع الذي حرره الشهيد عن القادر عودة ، التشرية الجنائي في الإسلام ، الذي ترجم إلى أكثر اللغات العالمية وتقرر تدريسه في الجامعات وهو أعظم مرجع كشف عظمة الشريعة الإسلامية في وجه القانون الوضعي في تفصيل دقيق في ثمانمائة صفحة يهبر الباحث بادلته وقوة منطقته .

كذلك فقد كتب المستشار على علي منصور بحثه المطول .

« نظام التجريم والعقاب في الإسلام مقارنة بالقوانين الوضعية »

المجلد الاول : عن (الحدود - القصاص - الديه) والمجلد الثاني (القصاص والدية في النفس وفيما دونها) .

ومنذ وقت طويل — وفي أبان الاحتلال البريطاني الذي كان يوسد للقانون الوضعي في مصر كانت هناك أعمال قانونية يتقدم بها مصريون إلى دوائر الجامعات الغربية تكشف عظمة الشريعة الإسلامية ، من ذلك أعمال عمر لطفي ومحمود فتحى وبينما كانت النظرية الفرنسية عن (استعمال الحق) في أوج قوتها بفضل مؤلفات الاستاذ جو سران إذا بالاستاذ محمود فتحى يتتبع نشاط الشريعة الإسلامية خلال ستة قرون تقريباً بتلك النظرية التي تنق في مرحلتها الأخيرة إلى إقرار أربعة ميادين وأسجة الحدود لاساءه استعمال الحق أكثرها ذات طبيعة اقتصادية يتما لم توفق النظرية الغربية إلا في تحديد ميدان واحد من تلك الميادين .

الفصل الثاني

ما يؤخذ على القانون الوضعي

تحدث خبراء الشريعة الإسلامية والقضاة والمستشارون الذين عملوا في القضاء عن الآثار التي ترتبت على تطبيق القانون الوضعي في بلادنا ويمكن استيعاب هذه الآثار في نقاط محددة :

أولاً : أخطر مآثر القانون الوضعي هو هدم الاخلاق والقضاء على الاعراض فإن جميع الجرائم الخلقية سواء ما نص عليه قانون العقوبات أو في قوانين خاصة ، مثل جرائم الزنا وهتك العرض وتعاطي الخمر أو الاتجار فيها تفتح الباب واسعاً أمام فساد المجتمع ، فجريمة الزنا هي في الشريعة الإسلامية كل اتصال محرم بين رجل وامراه سواء كان أحدهما متزوجاً أو كلاهما ، أما في القانون فهو خيانة العلاقة الزوجية ومن ثم فهو لا يقع إلا من الزوج ، وقد اختلفت القوانين الوضعية بشأن تلك الجرائم مذاهب ثلاثة :

(١) مذهب يعتبر الخيانة الزوجية فعلاً غير مؤثم كالقانون الانجليزي والقانون الروسي .

(٢) مذهب اعتبرها جريمة يعاقب عليها دون تفريق بين الزوج والزوجة كالقانون الألماني .

ومن هذه القوانين الأخيرة القانون المصري نقلاً عن القانون الفرنسي ، وقد اختلفت جريمة كل من الزوج والزوجة لاختلافها بيننا ، سواء في الاركان المسكونة للجريمة ، أو في العقوبة فهي بالنسبة للزوج لا تزيد عن الحبس ستة أشهر بينما تصل بالنسبة للزوجة إلى سنتين .

ثانياً : ليس عيب القانون الوضعي محصوراً في جرائم الاخلاق على الزنا وحده

وأنما هناك جرائم أخرى تكتمل منها بذكر جريمتين : (الأولى) هناك العرض إذا وقع برضا الطرفين فلا جريمة إلا إذا وقع الفعل على قاصر ولم تتجاوز سن الثانية عشرة ومعنى هذا أن الإنسان متى بلغ الثانية عشرة فهو حر في عرضه مع أنه يعتبر قاصراً في تصرفاته المالية الحاصلة قبل بلوغه سن الرشد وهو في الحادية والعشرون : أى أن القانون كان حريصاً على المال أكثر من حرصه على العرض .

أما الجريمة الثانية فهي جريمة الاعتياد على ممارسة الدعارة وهي جريمة لا تكمل إلا بالاعتياد على ممارستها وأن يكون ذلك مقابل أجر ورعهم أن الدعارة جريمة تخضع لعنصرى العرض والطلب فإن القانون لا يعاقب : العاهر أو المومس إلا إذا تكرر منها الفعل . وكان ذلك لقاء أجر أى أنه لا يعاقب على من ضبطت تمارس الفاحشة لأول مرة ولو بأجر ، وكذلك لا جريمة ولا عقاب على من قارفت الفاحشة بلا أجر ليجرد المنفعة ، ولو تكرر ذلك عدة مرات وأخيراً فإنه لا يعاقب على الرجل الزانى مع مومس مهما كانت حالته : أغرب أم تزوجاً أو غير محصن ، بل أن القانون يعتبره شاهداً في قضية الدعارة .

وقد أصبح واجباً بعد صدور الدستور في مادته التى تعتبر أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسى للقانون في مصر أن يتمتع عن تطبيق نص من القوانين القائمة على مخالفة الشريعة كنصوص القوائد الربوية ويبيع الغرر والمراهنات والعباقرة القمار والميسر والمعاملات المخالفة للشريعة .

ثالثاً : القانون الوضعى يستجيب دائماً للمتغيرات الاجتماعية ولو كانت أمراضاً وانحرافات تصيب المجتمع ، ومن الاستجابة لانحرافات المجتمع : الشذوذ الجنسى ، واللهو ، وشرب الخمر ، وفي ذلك خطر كبير على المجتمع إذ يحطم أى سياج أو إطار من القيم والمعنويات التى تحفظ المجتمع من التدهور ، والداعون إلى هذا التدهور بفلسفونه باسم الحرية والارادة العامة للشعب وأنه مصدر السلطات ويدور في بعض المجالس الخاصة في مصر أن حرمان الإنسان من الشذوذ هو إعتداء على حقوق الإنسان باعتباره أن الإنسان حر في أن يتمتع بعرضه ولذته كيف يشاء .

ولقول ذو مرجية (أ كبر فقه) الدستورى فى هذا العصر)
أن القانون الوضعى كان دائماً خادم لخدمة الحاكم مستخدماً لأغراضها بخالفاً
بذلك الأوضاع الطبيعية .

أما النظام الإسلامى فإنه يحيط بالمجتمع بسياج وأطار يمنعه من التدهور
والانحطاط ويحفظ عليه قيمه ومبادئه فيظل المخطور محظوراً والحلال حلالاً ،
وفى ظل النظام الإسلامى لا تبدل لأصول الحياة الاجتماعية وذلك مع المرونة
الكافية فى فروعها وبذلك يظل المجتمع صلب العود مستقيم الظهور قوى البنيان .

ومعنى هذا أن القوانين الوضعية تنصف بخصيصة استسلامية تعايش بها الفساد
وتتبعها ، مهما بلغ من النزول والاسفاف بينما تنصف الشريعة بخصيصة حافظة
تحمى المجتمع من التدهور والنزول (مصطفى كمال وصفى) :

رأبأ : أنه كان نتيجة لعقلية القوانين التى سنّها الخديو توفيق ١٨٨٣ أن تغير
شكل المجتمع الإسلامى تغيراً عظيماً ، وأصبحت الطبقة المثقفة من خدام الطبقة
الراقية الحاكمة وأصبح إدراك النظم الغربية عنوان الفهم والادراك السليم الذى
يجب أن يتجلى به المجتمعان فى مجتمع المحزون الذى ساد ذلك العصر ، وعلى العكس
من ذلك فإن الثقافة الدينية أصابها التدهور والانحطاط بسبب سياسة المستشارين
الانجليز فقصرت الوظائف الدينية على خدام المساجد والمؤذنين ، وعدم مستشار
التعليم إلى شحن المعاهد الدينية بعلوم تنوء بها ظهور الجبال ، ولا تجد إذنى فرصة
إلا فى وظائف المساجد والاقواف وبذلك أنصرفت الطبقة القادرة عن التعليم
الدينى وأتجهت إلى التعليم العام ، وصار أهل الدين عنوان التخلف والتأخر
وهذا للسخرية .

خامساً : كان ظهور القانون الوضعى فى الغرب نتيجة أن المسيحية التى عبرت
من الشرق كانت رساله اخلاقية وروحة محضة ، ولأنها كانت جزءاً من رسالة
موسى فقد كانت شريعتها فى التوراه ، فلما إستقلت المسيحية دون أن تكون لها نظام
وتشريع أخذت من الشريعة الإسلامية ما رآته ملائماً لها ووضع منه قانون
تأبليون المشهور ، واغلبه من مذهب مالك ثم جاء المسلمون ففرض عليهم

أن يجبروا شريعتهم وأن يقبلوا القانون الفرنسى والسويسرى حكما لمجتمعاتهم وعندهم أعظم ثروة فقهية فى العالم كله .

ومن هنا كان القانون الوضعى قانونا بشريا يعلى من أهواء الإنسان ويبرر مطامعه وشهواته وفارق كبير بين القانون الوضعى وبين القانون الربانى السماوى ، وعرفت المسيحية الاخلاق والوصايا والاخلاق الفردية وحدها التى تخولت من بعد إلى اللبى إليه ، أما الإسلام فقد عرف الربط بين الفردية والجماعية وجعل إلى جانب الاخلاق العقيدة والمعاملات على نمط فريد لأنه من صنع الحكيم الخبير ، وما تزال الحضارة الغربية والمجتمع الغربى المسيحى ينقل من الشريعة الإسلامية حثيثا : حقوق الإنسان ، حقوق المرأة ، حقوق الجار ، مسائل الزواج الطلاق والارث .

سادساً : لقد أتى الإسلام بمبادئ عامة أو أسس عامة يتعين أن يقيم عليها الحكم - لقدراى الإسلام وتيقن من ضعف الطبيعة البشرية فواجهها بطرقه عملية وجعلت المبادئ الإسلامية العامة الحاكم ، غير سلطوى والزمت بالأخذ برأى أصحاب الحل والعقد ، ورفض أن يأتى الحاكم رغم أنف المحكومين بل برغبة الشعب ، والإسلام بوصفه نظام حياة كما هو عقيدة وعبادة يفرض نظام الحكم كأساس جوهري لاغنى عنه ، ومن أجل ذلك وضع الإسلام نظامه ليشمل لكل أمور الدين والدنيا ونظم العلاقات معاً : علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بالإنسان والمجتمع ، وإقام تشريعات تختلف مع اختلاف الزمان والمكان وتشريعات لا تختلف ، وأعطى الإسلام تفاصيل دقيقة بحيث لا تحتاج إلى المزيد فسأله المال والمرأة ، أعطى الإسلام فيها تفاصيل دقيقة جداً باعتبار أن المال والمرأة كانا مشكلتين على مر التاريخ يسببان الكثير من الاضطرابات . وفى الميراث أعطى الإسلام تفاصيل دقيقة للغاية وفى نظام الحكم أتى الإسلام بالمبادئ العامة (دكتور خيرى عيسى) .

سابعاً : تختلف الشريعة عن القانون الوضعى فى أمور كثيرة : أهمها الصدق والوضوح أن القانون الوضعى قد وضع عقاباً على عدم الصدق ولكن الله تبارك وتعالى

جعل ضابط الصدق معه هو (لا يوجد صادق مع الله وكاذب مع الناس) لأن المحلم يعلم أن الله مطلع عليه (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) فأهم أساس في الحكم والسياسة في الإسلام هو الصدق من الرعية ، بمعنى وضع الأمور على ما هي عليه أمامهم في العصر الحديث ، في الإسلام أهل الحل والعقد ، أهل الفكر والفتوى وأهل الذكر الذين يسعفونك بالحل وقت الزوم .

ولذلك كان الصحابة يركزون دائماً على مسئولية الراعى من رعيته ويعطون الرعايه مفهومًا عامًا (للاسرة راع وللقرية راع ورئيس الدولة راع) فالإسلام يشجع فكره الرعايه ، السياسة بمعنى تولى الأمور مع الالتزام بقيم معينة ومبادئ ترعى ويسال عنها حيث يضع الإسلام طرقاً سلمية هادئة لتصحيح مسار أى راع ينحرف عن الطريق السوى ، كما الغى الإسلام الامتياز : الامتياز الذى أعطاه الحكيم هو السلطان .

وأهم أساس للرعية بعد الصدق هو الحق ، فالحق هو جعل الصدق يسود أمور الحياة بحيث يصل لكل إنسان ما يستحقه على قدر ما فرض له ما انفق عليه ، أن مفهوم الحق ، في الإسلام يختلف عن المفهوم البرجماتي ، وترتبط بالنتيجة والنفع ، الإسلام عنده هو الإنسان أولاً يقبض العمل بالنتيجة وينظر للإنسان قبل كل شيء والنية تدخل في مقياس الحقيقة . وفكره الحق ، في الإسلام ترجمت في نظامنا السياسية بفكرة العدل ، أن العدل يعنى التساوى ، وفي الإسلام فهو عدل نوعى كيفى ، وليس عدلاً كمياً ، فقد يكون التساوى في بعض الأمور تجاوزاً للعدل ، العدل في الإسلام هو إعطاء كل شيء حقه ، الناس سواسية ، إذا صلح الفود صلح المجتمع وبالحكمة فإن أساس الحكم في الإسلام : الصدق ، الحق ، العدل ، دكتور عبد الفتاح بركة ، ،

ثامناً : أن القانون الوضعى يعقد المشاكل ولا يضع لها حلاً خاصة ، أن القوانين الوضعية فجرت للمجتمع من المشاكل ما هو غنى عنها ، وذلك يرجع إلى طبيعة القانون الوضعى وما يوتب من آثار على تطبيقه وتحليله ، يقول دكتور محمد رشدى حمادى (رئيس محكمة أمن الدولة العليا) لقد كنت طوال عملى أحاول جاهداً أن أصل إلى البقين في أى قضية إنناؤها ولستكنى ذلك لا حظت

أن القوانين الوضعية لا تنتهى مشكلة إلا لتبدأ مشاكل أخرى مما يزيد الأمر تعقداً وتضطرب الحياة معها أكثر وأكثر ، ويرجع هذا إلى أن القوانين الوضعية وجدت أساساً نتيجة وجود إختلال فى المجتمع الإسلامى وجعلته هى بدورها يعيش مشكلات متلاحقة لأنكاد تنتهى مشكلة حتى تولد أخرى أكثر تعقيداً . ورغبة فى حل هذه المشاكل وتحقيقاً لراحة المجتمع وأمنه وأستقراره لأبد من البدء فى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية - أن القوانين الوضعية زادت من نسبة الشار فاهل القتل يتركون القاتل الحقيق ويهدمون غيره ليمتلي القاتل الحقيقى خارج أسوار السجن فيسهل عليهم الشار منه وهكذا يتبادل الطرفان الانتقام وتزداد الأمور تعقيداً لتشمل أفراداً وأسراً بل وقبائل أخرى باكملها والسبب قصور القوانين الوضعية فى معالجتها لقضية الشار بل إنها أوجدت بعداً آخر زاد الأمور تعقيداً فقانون الاحداث أصبح وكرراً للجريمة حيث يعمد أهل القتل إلى حدث يرتكب جريمة القتل للشار ثم يوضع بعد ذلك فى مؤسسة لرعاية الاحداث حيث يتولد خلال ذلك دوافع أخرى للممارسة هواية الاخذ بالشار . أن علاج قضية الشار تسكن وبلا منازع فى قول الله تعالى :

« ولستم فى القصاص حياة »

وهو علاج يصلح لكل المجتمعات سواء أكانت بدائية أم متحضرة ويكفى أن أفراد المجتمع سينعمون بالأمن والاستقرار بمجرد تطبيق أحكام القصاص .

نأسعاً : الإسلام يدرأ الحدود بالشبهات والحدود تطهر المجتمع من الفاحشه والشريعة الإسلامية ذات طبيعة وقائية ، تحول دون وقوع الجريمة ، بينما القانون الوضعى عقوبة على ما يقع وأحكام البشر صادرة عن علم محدود وعن بصر محدود وعن سمع محدود ، وأحكام العباد يعترىها فى الأعم الأغلب النقص والقصور والباطل والضلال ولم تفلح العقوبة الوضعية فى إقتلاع الجريمة ، فهى تنافس يوماً بعد يوم وتشكل خطراً يهدد أمن المجتمع ، وقد ثبت فشل العقوبة الوضعية لجريمة السرقة .

وبالمجلة فلا وجه للمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى .

الفصل الثالث

عقبات في طريق تطبيق الشريعة

عندما جاء الدستور المصرى ونص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسى للشريعة كان لك أيداناً بيده مرحلة جديدة في إرساء القيم الإسلامية بالمجتمع المصرى لا مجرد تعديل في نصوص القانون أو في صياغتها بما يتفق مع الشريعة الإسلامية السمحة ، ذلك أن التشريع لابد أن يرتكز على نظام اجتماعى يسمح به ويؤدى إليه باعتبار أن القانون هو مولود اجتماعى يستمد أصوله من المجتمع الذى ينبع فيه ، هكذا يصور الدكتور أحمد فتحى سرور هذه المرحلة الجديدة . ذلك أن تطبيق الشريعة الإسلامية من شأنه أن يؤثر في المجتمع ويعمق فيه القيم الإسلامية الصحيحة حتى يكون التشريع الإسلامى نباتاً طبيعياً صادراً من مجتمع إسلامى صحيح لا نباتاً غريباً في مجتمع من الإسلام . أن النص في الدستور على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع هي علامة البدء في تحويل المجتمع من مجتمع تسوده القيم الغربية الوافدة إلى مجتمع تسوده القيم الإسلامية لأن هذه القيم هي التربة الصالحة لغرس التشريع الإسلامى فيه ، أن مصدر بتاريخها وحضارتها التى هزت الدنيا كله لا يمكن أن تكون حالة في تشريعها على بلد أجنبى لذلك يجب ترسيخ القيم الإسلامية من الآن حتى يكون لدينا المجتمع الإسلامى الذى يقبل تطبيق هذه القوانين .

لقد صدر التعديل للدستور سنة ١٩٨٠ لى يؤكد الذاتية الثقافية المصرية النابعة من الحضارة الإسلامية .

ولسكننا نجد الآن أن هناك عقبات يحاول البعض أن يضعها في طريق تطبيق الشريعة . من هذا ، تلك المجموعة من العلمانيين الذين يحاولون تشويه تفسير الشريعة والاحكام والاعتماد على نصوص منتزعة من أصولها لتشيط الوجهة وتأخير

النهضة ، وهؤلاء هم العلمانيون إن شاء الله ، والذين لا يؤمنون
بأن الإسلام دين ودولة والذين يؤمنون بمسيح الإسلام ويدعون إلى أنه دين
روحي ولا هوتي ، وذلك لفتح أبواب الديمقراطية في مجال القوانين السياسية والاجتماعية
والاقتصادية .

وهناك دعوى التدرج في التطبيق ، وقد أجمع الباحثون والعلماء على أنه لم
يقع تدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية إلا الحذر ، وثبت في الأخير حرمتها بالنص ،
وأن دعوى التدرج تخالف كمال الشريعة :

« اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .
وقد مضى على الشريعة - كما يقول الدكتور جمال المرصفاوي - أربعة عشر
قرناً فكيف يقال بالتدرج مع أن دساتير العالم تحدد مبادئ لتنفيذها فور اكتمالها
وإعلانها ويسرى حكمها على المكافئ دون تدرج فلم يحتاج بهذا فقط في الشريعة
الإسلامية .

ويقول الدكتور محمد رشدي حمادي : أن أصحاب الدعوة إلى التريث قـوم
يحكمون أهوائهم في الوقت الذي تنادي فيه أحكام الشريعة وتعاليم الإسلام
بضرورة التجرد من الأهواء .

وهناك دعوى تهينة المجتمع الإسلامي بالكامل ، وهي دعوى واهية - كما يقول
الدكتور المرصفاوي - لأن أي مجتمع لابد من وجود الجرائم فيه وقد بدأت
الجريمة منذ قديم الأزل حين قتل قابيل أخاه هابيل وفي عهد الرسل نفسه تقع
الجرائم ونقائض الحدود ، وكانت سبباً في ندرة الجرائم ثم أننا نقسام بأي شيء
توجدون ذلك المجتمع الإسلامي مع أن ذلك لا يكون إلا بتطبيق تعاليم الإسلام
وهناك دعوى رابعة : وهي أن المجتمع فقير ، وهي دعوى مرفوضة ،
لأن التشريع جعل ضوابط محددة في توقيف العقوبة ، فشلاً السارق لا تقطع يده
إلا بشروط توافر المطعم والمشرب والملبس وأن يكون المال محرماً وغير ذلك
من الشروط الدقيقة التي إذا تخلف منها شرط سقط الحد بالشبهة ووجب له
عقوبة تعزير .

وهناك دعوى خامسة هي وجوب إعداد جيل من القضاة مدربين على الحكم
بالتشريعة الإسلامية وهي — كما يقول الدكتور المرصفاوى — دعوة مردودة
لأن القضاة المصريين خاضوا تجربة سنة ١٩٤٧ المتعلقة بتطبيق الشريعة الإسلامية
حين الغيت المجالس الحسبية وأجبل إختصاصها إلى المحاكم الشرعية ونجحوا في
هذه التجربة ، كذلك في سنة ١٩٥٥ حينما الغيت المحاكم الشرعية والمجالس المليية
وأجبل الإختصاص إلى المحاكم العادية فقد قام القضاة في المحاكم العادية بتطبيق نصوص
الشريعة الإسلامية ونصوص الطوائف المليية دون أى عناء والمساله تحتاج فقط
إلى صياغة للنصوص الشرعية بوضوح وكذا المذكرات التفصيلية
التي يجب أن تكون سهلة وأضحة .

الفصل الرابع

مؤامرة تطوير الإسلام

منذ عقد مؤتمر برنستون صيف ١٩٥٣ الذي شهد عدد كبير من الأسماء الالامعة في اندونيسيا والهند والباكستان وإيران والعراق وسوريا ومصر ولبنان لم ينقطع الكلام عن ما أطلق عليه مؤامرة تطوير الإسلام : فقد أعد هذا المؤتمر مجموعة من المستشرقين محترفي التبشير ومن المخططين الذين رسموا خطة طويلة المدى لتغيير معالم الإسلام بالتحشيك في أسس العقيدة الإسلامية كالإيمان بالوحي والإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن الذي إنزل عليه .

الدعوة المسمومة إلى تطوير القيم والعقيدة والأخلاق قام بها مخططون وعقدت لها مؤتمرات وجند لها كتاب لامعون ! !

وكان أحدث ما يتصل بتطور خطوات هذا العمل مؤتمر التخليف الحضاري الذي عقد في الكويت ١٩٧٤ ومنها مؤتمرات أخرى استهدفت تزييف التاريخ الإسلامي أو تنصير المسلمين أو غيرها من المخططات المرتبطة كلها بالهدف الأساسي الذي تأمرت عليه القوى المتجمعة للسيطرة على عالم الإسلام والتي خططت منذ وقت بعيد من أجل "تفريغ" المسلمين ومجتمعاتهم من الإسلام الحقيقي وفرض إسلام خاضع للفكر الغربي العالمي . وقد عمدت هذه القوى إلى احتضان البهائية والقادائية لضرب الإسلام من الداخل وتحقيق أهدافها المسمومة .

لقد نبئت منذ وقت بعيد قضية (تفريغ الإسلام من مفاهيمه الصحيحة) تحت اسم (النظور والماصرة والتحديث) ومحاصرته لتضييق دائرة نفوذه وقصرها على شؤون العبادات والغائما للمعاملات التي يقوم عليها تنظيم المجتمع فلما تحقق في العقود الأخيرة تصميم البلاد الإسلامية على إعادة تطبيق الشريعة الإسلامية بعد أن توقفت أكثر من مائة عام وحل محلها القانون الوضعي تفنق

الذهن التبشيري الاستشراقي عن فسكرة (تطوير الإسلام) وتوسعت الكتابات المؤيدة لتلك الخطط حول تطوير الدين وتطوير الشريعة وتطوير اللغة وتطوير التاريخ وهي كلها محاولات لضرب القواعد الأساسية الثابتة التي إقامها الفسکر الإسلامی من خلال مفهومة الاصل الواضح :

الثوابت والمتغيرات .

وهي القاعدة التي ازاحتها الحضارة الغربية المعاصرة من طريقها حين نقلت ثمرات الفكر الإسلامی فی عصر النهضة وقبلت (المنهج العلمی التجريبي الإسلامی) ثم فرغته من قاعدته الأساسية القائمة على روابط العقل والقلب والروح والمادة وماقرره الإسلام من قيم ثابتة لا تتغير مهما تغيرت العصور والبيئات : وهي قيم الحق والعدل والخير والرحمة الاخاء البشرى وكيف وضع الإسلام قاعدة حركة المتغيرات داخل دائرة الثوابت .

وكان (ديكارت) ومن جاء بعده هم الذين فصلوا بين المعنويات والماديات وازاحوا مفهوم (احلاقية العلم والحضارة والمجتمع) على النحو الذي يعرفه جميع الباحثين والذي أشار إليه الاخ المسلم الأستاذ (رجاء جارودى) فى مختلف أبحاثه وقال أنه هو مصدر الحيرة والازمة الشديدة فى الفكر الغربى الحديث وقد ظل يبحث عن حل لهذا أكثر من ثلاثين عاما حتى إهتدى إليه بمفهوم الاسلام الجامع .

وقد تفتق ذهن المتأمرين خصوم الإسلام عن هذه الفكرة : (ففكرة تطوير الإسلام) وتوسعوا فى دراستها ففهم من تكلم عن إعادة النظر فى الدين وتطويره (والدين فى الغرب بمعنى اللاهوت أو العبادات) ومنهم من طالب بوضع تجربة الدين وتجربة النبوة والمعجزات والصلاة والحياة الآخرة موضع البحث وخصاصها لقواعد علم النفس الحديثة التي تقوم على (الحدس) والتي تخضع نفسها للتغير والتبدیل والتي تحاول أن تجعل من الدين مسألة ذوقية وهمية ليس لها وجود حقيقى فى خارج نفس صاحبها الذى يتذوقها كما أشار إلى ذلك الأستاذ (ميلر روز) فى بحثه المعروف بل لقد تطاول هذا الباحث وتحدث عن أسلوب الله تبارك وتعالى فى العمل .

وهناك الجهود المبذولة لتطوير الشريعة الإسلامية بحيث تصبح أداة لتبوير القيم الغربية وقبول الواقع الذي تفرز المنحرف والفساد والمسموم الذي تمر به الحضارة العالمية اليوم وملك الأزمات والتمزق النفسى ويوجب أصحاب هذه الجهود فى احتواء المسلمين دخول دائرة الفكر الغربى المغلفة ودائرة الحضارة الغربية والاستسلام لها والانصياع فيها بحيث يزول عنهم ذاتيتهم الخاصة وطابعهم المفرد الذى صبغهم به الإسلام ودعاهم إلى المحافظة عليه والدفاع عنه ووضع موضع قداسة العقيدة نفسها حتى ليضحى المسلم بنفسه إذا كان ذلك بديلا لزوال ذاتيته . وهم بذلك الإصرار الذى يرددونه جميعا أنما يريدون أن يزيلوا ثوابت الشريعة الإسلامية وأحكامها الرادعة على للفاسقين والسارقين والمجرمين ويتأولوا الأوضاع القائمة دون أن يواتموا هذه المجتمعات مع شريعة الله .

ولقد دعت هذه المؤتمرات صراحة ودون موارد إلى ماستمه « تطوير القيم » وكان من أهم توصيات مؤتمر أزمة التطور الحضارى عام ١٩٧٤ مانص عليه على الوجه الآتى :

« أهمية تطوير القيم وإنماط السلوك الإيجابية والمؤثرة فى صنع التقدم والاهتمام بالثقافات الشعبية » .

ويهدف (تطوير القيم) إلى إزالة مختلف الأحكام الخاصة بالآخلاق والفضيلة وحماية العرض والبكارة وحماية مهمة المرأة الأساسية فى بناء الأسرة ورعاية البيت وتربية الطفل وإدخال القيم الغربية فى الآخلاق وهى القيم التى تسخر من العرض والى تدفع وراء صديق العائلة وتبادل الزوجات واختلاط الأعراض ، ولا ريب أن قضية المرأة المسلمة من كبريات القضايا التى أولاهها الاهتمام جماعة المستشرقين والمبشرين بهدف هدم البيت الإسلامى من الداخل وتفريغه من الإيمان والعبادات وخلق أجيال منحرفة منهارة ممزقة حتى يسهل السيطرة على هذه المجتمعات واحتوائها فى العقود القادمة وبعد ذلك سخرت بالحجاب

والنقاب وتعدد الزوجات ، هذا مع حرصهم على تطبيق أوضاع من الأحوال الشخصية المدمرة مخالفة لكتاب الله أو معتمده على نصوص غير جامعة .

وإذا كان كرومر منذ عام ١٨٩٢ قد وضع هذه الخطة للتغريب حين قال :
(الإسلام بطبيعته العالمية عدو للحضارة الأوروبية والمسلم غير المتخلق باخلاق
الأوربيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الأيام لذلك سيكون المستقبل للمترين
تربية أوروبية ، سرحل عن مصر على أن تحكم بايد مصرية وهقول بريطانية) .

ومن ثم بدأت تلك الخطة التي ترمى إلى العمل لأعداد أجيال تابعة ، غير أن
اليقظة الإسلامية ما لبثت أن طمت هذه الخطة وفتحت الطريق أمام الأصالة
الإسلامية ، وكانت الهزيمة والنكبة والنكسة سنوات (١٩٤٨ - ١٩٦٧) كلها
دلائل واضحة أمام المسلمين والعرب على أن الطريق الذي سلكوه في التبعية
لا يؤدي ، وأنه لابد من التماس المنهج الرباني الأصل والتماس أسلوب العيش
الإسلامي الأصل ، فلكل أمة منهجها وأسلوبها ، ولكن القوى الخارجية المسيطرة
ما تزال تعمل على أن يتحول العرب والمسلمون عن إخلاصهم وقيمهم إلى إخلاق
وقيم وافدة لا تتفق مع ميراثهم ولا عقيدتهم ولا تاريخهم الذي عاشوه أربعة
عشر قرناً . .

ولكل ليس معنى هذا أن الفكر الإسلامي فكر مغلق ، أو متعصب
أو جامد . أنه فكر رباني المصدر قام على أسس واضحة جامعة متكاملة ،
وله مرونته الوافرة ، وقدرته على الانخذ والعطاء ، والتعامل مع متغيرات
المجتمعات والعصور ، شريطة المحافظة على قيمه الأساسية التي لا يقبل صدعها
أو تشويهها ، وهو بحكم مفهومه الأصل في الثوابت والمتغيرات قادر على
الافادة من التنظيمات والأساليب والوسائل الحديثة جميعاً شريطة أن ينقلها إلى
دائرتها على أنها (مواد خام) يشكلها في كيانه ويصهرها في وجوده دون
أن يقبل تنظيمات أو أيديولوجيات ، وأساسه الأول هو المحافظة على التوحيد
والإيمان وأخلاقية الحياة والحضارة ، وعلى هذا النحو يستطيع المسلمون صنع

التقدم ويقبلون من المضارة خيرها وإيجابياتها ويشكلون ذلك وفق مفاهيم الإسلام : القائمة على العدل والرحمة والأخاء البشري . .

أما تطوير القيم بمعناه الذي عرف من كتابات دور كايم وفرويد وما ركس والقول بأن التطور مطلق والأخلاق نسبية ليست ثابتة وأن القيم تتغير بتغير الزمان فهذا ما لا يقره الإسلام . عليه الدعاة ذوو الاسماء الأمامية . أن الإسلام كما يقول المستشرق مادي : يحكم السلوك في القول والمعاملات وأن الاخلاق قيم ثابتة ، عن الدين ولا تتغير مع الزمن فهي لا تخضع للتغيير والتطوير أما الدين فهو العادات والتقاليد لأنها من صنع المجتمع كذلك فإن الدين الذي يبرر والتغيير هو الصناعة والممار ، أما القيم الإسلامية (من اجتماعية وإخلاقية) فإنها لا تتغير بتغير الزمان أو المكان ومن أمثال ذلك الكذب والفحش والسرقة والذنوب والانحراف فكل هذه رذائل منذ أول يوم في هذه الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

أن النفس الإنسانية لا تتغير ، ولكن الذي يتغير هي وسائل الحياة والمعاش ، أن القول بأن القيم الدينية والإخلاقية تتطور أو تتغير مع الزمن من شأنه أن يجعل الدين مرتبطا بالمصر ويكون تابعا لمدنته ، ولقد جاء الإسلام ليحطم كل ذلك ويحرر الناس من هذه التبعية . .

أن المناداة بتطوير القيم وربطها بعادات الناس وميلهم من شأنه أن يجعل الإسلام ماركسيا ، أو أن يكون لدعاة الجنس واللذة إسلام يجعل ممارسة هذا اللون تسيبعا لقدرة الله تبارك وتعالى واعترافا بحمل الخلق كما يزعم بعض دعاة هذه المذاهب اليوم ، ومن شأن هذه الدعوة أن تحطم عقيدة الإسلام ، هذا ما تصح به كرومر . في كتابه « بريطانيا العظمى في مصر » حين قال :

« فإذا أمكن للمبادئ الإسلامية أن تتطور مع الزمن المتطور عند ذلك سوف يتحرر ملايين البشر من هذه العقائد » .

وهذه الدهوى ما تزال تملأ قلوب وعقول دعاة الاستشراق والشيوعية (م - ١٨ طريق النهضة)

والغريب يحضونها أو يبدون قليلا منها ولكنهم يؤمنون بأن هذه مهمة لهم
لابد أن يعملوا لها ، وعلينا نحن أن نعرف الاهداف ونكشف المخططات .

وإذا كانت مؤامرة التطوير لا تتوقف عند ميدان واحد من ميادين الثقافة
والفكر والمجتمع — وتحظى قضية المرأة منها بالخط الوافر — فإن تلك الدعوة
إلى بعث التاريخ القديم هدف أصيل كما أشارت مقررات مؤتمر الكويت فإن هناك
عناية مبذولة إلى إحياء الفولكلور وبعث التاريخ القديم السابق للإسلام وهناك جهود
مشتركة بين الاثنين في سبيل إذاعة أخبار يومية متجددة - حول الأصنام والقبور
وأموال ضخمة تنفق على علماء الآثار ليعيدوا الناس مرة أخرى إلى القرعونية
والفينيقية والبابلية والآشورية مع أن أشد علماء التاريخ تعصبا أعلنوا بما لا يقبل
الشك أن الإسلام قد أوجد (انقطاعا حضاريا) وتاريخيا بين عصره ومأسبقه
من العصور وإن إعادة الحياة إلى هذا التاريخ مستحيلة لأنه لا يملك لغة ولا ثقافة
ولا تراثا ماعدا الأمواه والاحقاد التي تملأ بعض الصدور ، والهدف معروف
وهو محاولة إعادة الأمم الإسلامية إلى أصولها الأولى السابقة للإسلام بما يقضى
على روح الوحدة الإسلامية ويمكن لهذه الأمم أن تخضع لنفوذ الحضارة للغربية
والفكر الأسمى ، وإن تنصر فيه ويحول تميزها وتذهب ذاتيتها ويرتبط بهذا
إعلاء التراث الوثني القديم في الوقت الذي تجري فيه السخرية بالتاريخ الإسلامي
الباذخ وما الحديث عن جليجاميش وادونيس وتموز وغيرها من أساطير في الشعر
الحديث إلا واحدة من هذه المحاولات المأكرة .

أن هذه العبارات التي تجري على السنة بعض الكتاب اليوم إنما هي منقولة
من كتابات البهائيين والقاديانيين وهي محاولة لتجديد فكرهم لضرب الإسلام من
الداخل ولن يستطيع هؤلاء الدعاة أن يجدوا متقبلا لما يقولون به أو ينشرونه
مادام يعارض أساسا حقيقيا من أسس الإسلام : في أصول العقيدة أو في عبادة
الحضارة الوثنية المادية الإباحية أو الدعوة إلى الجنس ، ومن العجيب أن يحمل
لواء القضايا الفكرية جماعة من القصاصين عاشوا حياتهم كلها في مجال محدود ولم
تيسر لهم دراسة الفكر الإسلامي بحيث تكون لهم مقدرة حقيقية على أن يقولوا
فيه كلمة جادة أو صادقة يسمع لها ويقتنع بها الناس وهم محجوبون عن الناس

لأنهم لم يقدموا طوال حياتهم إلا مواد التسلية وترجية الفراغ وما عهدهم أحد
موجهين أم قائمين بكلمه خالصة يريدون بها وجه الله فقياس القمم الشوامخ
مقياس باطل لأن الأبطال الحقيقيين لا تعنى بهم الصحافة عنايتها بسيد دوريش
وإبراهيم ناجي وعبد الحليم حافظ أن ظاهرة سيطرة القصاصيين على الحياة الفكرية
الحديثة مع أنهم لا يملكون ادوات الفهم والاستيعاب للفكر الإسلامى أو العالمى
أمر جد خطير .

أحكام قضائية على أساس الشريعة الإسلامية

أصدر الأستاذ محمد محمد تمام رئيس محكمة السويس الجزئية حكماً في القضية رقم ٨ سنة ١٩٨٠ جنح أثبت فيه أن القوانين الوضعية المعمول بها في مصر والمخالفة للشريعة الإسلامية باطلة بطلاناً يندرج بها إلى درجة الانعدام من الناحيتين الشرعية والقانونية . جاء في الحكم ما يلي :

وحيث أنه يلزم القول بدائه أن القوانين الوضعية المعمول بها في مصر والمخالفة للشريعة الإسلامية باطلة بطلاناً يندرج بها إلى درجة الانعدام من الناحيتين الشرعية والقانونية .

أولاً : من الناحية الشرعية فإن تلك القوانين المخالفة لأحكام الشريعة باطلة بطلاناً مطلقاً وهي والعدم صنوان ويجب على جميع المسلمين في جميع مواقعهم سواء أكانوا من رجال السلطة القضائية ، أم من رجال السلطتين التشريعية والتنفيذية أم من أفراد الناس العاديين أن يمتنعوا عن تطبيق وتنفيذ أو إحترام كل حكم وضعي يخالف أحكام الشريعة الإسلامية والادلة على ذلك مستعدة من نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ثم من الاجماع وهي المصادر الأولى للتشريع الإسلامي .

لقد أمر الله سبحانه بالحكم طبقاً لما أنزل وجعل من لم يحكم طبقاً لذلك كافراً أو فاسداً أو ظالماً (وإن أحكم بينهم بما أنزل الله) المائدة (أنا أنزل لنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما إراك الله) النساء ، بل أنه لا خيار للمسلم أمام ما اختاره الله ورسوله ولا رضاء له إلا بما رضى الله ورسوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) .

وقد قطعت نصوص القرآن الكريم بوجوب اتباع الشريعة الإسلامية أو مبادئها العامة أو روحها التشريعية صراحة أو ضمنا فلا يجوز للمسلمين أن يتحدوا غير شريعة الله قانونا وكل إتباع لغير قانون الله إتباع للهوى (فإن لم يستجبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى الله) ، (ثم جعلناك له على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع لهواه الذين لا يعلمون) .

بل أن وأجب التحاكم إلى الشريعة الإسلامية وعدم التحاكم إلى القوانين الوضعية - بل في مخالفتها وعدم الرضا بها والكفر بأحكامها - وأجب المسلمين كافة ، فيجب على أحاد الناس أن يطلبوا من القضاة ومن أولى الأمر تحكيم الشريعة الإسلامية فيما يطرحونه من منازعات وإن يرفضوا تحكيم القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية .

والقول بأن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر وعلى ذلك فيجب علينا طاعة : القوانين التي يضعونها وإن الحكم وحدهم هم المستولون عن تلك القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية أمام الله سبحانه وتعالى : فهذا القول لا يستند إلى سند شرعي أو عقلي أو منطقي فالآية الكريمة قد أوجبت طاعة الله وطاعة الرسول أساسا .

أما طاعة أولى الأمر فإنها لا يكون إلا إذا كانت أوامرهم موافقة لأوامر الله وأوامر الرسول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) .

ومن هنا فإن طاعة أولى الأمر لا يكون إلا إذا كانت أوامرهم موافقة . لأوامر الرسول ، وقد قال رسول الله (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق) .

وقد انعقد إجماع الأمة الإسلامية على أنه لا طاعة لأولى الأمر إلا في حدود ما أتول الله وعلى أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد سار على ذلك الخلفاء

الرشدون في خطبهم وفي سلوكهم ، إذن فالشريعة الإسلامية هي قانون الدولة الإسلامية الأعلى والأساسي (دستورها) فما وافقها من قوانين وضعيه صحيح وأوجب الإعمال وما خالفها باطل وأجب العصيان ، فالشريعة الإسلامية قد أنزلها الله سبحانه ليحكم بها في كل مكان وزمان ولا يمكن أن تلغى أو تنسخ لأن القاعدة الأساسية في الشريعة الإسلامية (وفي القوانين الوضعية) أن النصوص لا تنسخ إلا بنصوص من مثل قوتها أو أقوى منها ، أى من نفس الشارع أو من له سلطان يشريعى أعلى من إصدار النصوص المراد نسخها وما بين أيدينا من كتاب وسنة لا يمكن أن ينسخ بعد أن أنقطع الوحي وأختار رسول الله الرفيق إلا على ، وليس لأولى الأمر في ظل الشريعة الإسلامية حق التشريع إلا سن التشريعات التنفيذية التي تستهدف ضمان تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية وذلك على أساس مبادئ الشريعة الإسلامية وروحها التشريعية وفي حدود ما سكنت عنه الشريعة ولم تود بشأنه نصوص خاصة - ويقول القاضي العظيم الأستاذ عبدالقادر عوده أنه (من المتفق عليه أن من يستحدث من المسلمين أحكاما غير ما أنزل الله ويترك بالحكم بها كل أو بعض ما أنزل الله من غير تأويل يعتقد صحته فإنه يصدق عليه ما قال الله تعالى كل بحسب حالة . فمن أعرض عن الحكم بحسب السرقة أو القذف أو الزنا لأنه يفضل غيره من أوضاع البشر فهو كافر قطعاً ، ومن لم يحكم به لعلة أخرى غير الجود والنكران فهو ظالم أن كان في حكمه مضيقاً لحق أو تاركا لعدل أو ومساواة والافهو فاسق) .

(الاسلام وأوضاعنا القانونية للأستاذ عبدالقادر عوده)

وفي صدد التدليل على بطلان القوانين الوضعية فإنه يلزم بداهة بحث ما إذا كان هناك سند شرعى يقوم عليه تطبيق القوانين الوضعية أصلاً في مصر (وفي غيرها من البلاد الإسلامية) وذلك منذ أن بدأ تطبيق القوانين الوضعية وذلك يقتضى بحث الكيفية التي دخلت بها تلك القوانين إلى مصر فقد بدأ دخول تلك القوانين في عهد محمد علي الذي إستجلب إلى مصر بعض القوانين التجارية والحربية (المحدودة) وفي عهد الحديو إسماعيل ثم إنشاء المحاكم القنصلية على أثر توسع الامتيازات الأجنبية في مصر بسبب إزمه الديون .

وكانت لهذه المحاكم سلطة الحكم فيما يرتكبه رعايا الدول الأجنبية المستحقة بتلك الامتيازات من جرائم على المواطنين المصريين ، وكذلك سلطة الفصل في القضية .

وعندما وجدت المحاكم المختلطة كان أغلب قضائهما من الأجانب وطبقت في هذه المحاكم القوانين الفرنسية منذ سنة ١٨٧٢ وبدا من خضوع الأجانب لقوانين مصر (الشريعة الإسلامية) خضع المصريون للمحاكم المختلطة التي استتال خطرهما إلى السلطة التشريعية إذ كان من حق الدولة المستحقة بالامتيازات الأجنبية ألايسرى عليها ما تشنه مصر من التشريعات إلا بعد موافقة جمعية عامة لقضاة المحاكم المختلطة وبعد عام وأحدهم احتلال الانجليز لمصر وبعد سبع سنوات من إستيلاء القوانين الفرنسية وتطبيقها في المحاكم المختلطة هم الانجليز تطبيق القوانين الفرنسية في أنحاء مصر وقصروا تطبيق الشريعة الإسلامية في المحاكم الشرعية بعد أن حددوا اختصاصها (بالأحوال الشخصية) أما ما عداها فقد أصبحت تختص بها محاكم سميت بالمحاكم الأهلية التي أصبحت تطبق القوانين الفرنسية التي كانت تطبقها المحاكم المختلطة وأصبح المصريون جميعاً خاضعين لهذه المحاكم وأصبح في مصر انفصال غريب وخطير بين ما يسمى بالقضاء الشرعي وما يسمى بالقضاء الأهلي ، كل منهما يطبق شريعة مختلفا تماما عن الآخر ونسب الناس نوع الشريعة التي تطبقها تلك المحاكم وأنها منافية للشريعة الإسلامية والدين الإسلامي وسار الأمر على ذلك ونشأت في مصر أجيال من المثقفين ، ثقافة قانونية أجنبية (فرنسية) قائمة بتلك الثقافة وجاهلة تماما أو شبه جاهلة بأحكام الشريعة الإسلامية ونحوها المحاكم الأهلية إلى محاكمنا هذه ونحيت الشريعة الإسلامية واستقرت الأوضاع الجديدة وأصبحت مألوفا للناس الذين ما عاهدوا ينكرونها أو يعملون على تغييرها وسارت الأمور على هذا النحو حتى يومنا هذا ويلزم القول أنه لا يوجد سند شرعي لتطبيق القوانين الوضعية ، في مصر ، ذلك أنه أولاً لم يسبق إستيلاء القوانين الوضعية وتطبيقها في مصر إستفتاء الشعب أو أخذ رأيه أو موافقته على ذلك ، رغم أن موافقة شعب مصر على تنحية الشريعة الإسلامية وإحلال القوانين الوضعية محلها أمر غير جائز شرعاً وقد ادخلت تلك القوانين إلى مصر بناء

على امر حاكم غافل مستبد لا سند لها من الشرعية القانونية وبما أن الدستور المصري المعمول به (دستور ١٩٧١) لا يوجد به نص يوجب أو يحجز تطبيق القوانين الوضعية المخالفة للشرعية الإسلامية وذلك حتى قبل التعديل الأخير (إضافة مادة الشرعية الإسلامية مصدراً للقوانين) حتى ولو افترضنا خلوها من النصوص التي توجب تطبيق الشرعية الإسلامية ، وتفصيل ذلك أنه باستقراء أحكام الدستور تبين أنه قد ناط بصفة أساسية وظيفية التشريع بالسلطة التشريعية ولم يرد بين نصوص الدستور ما يوجب أو يحجز لمجلس الشعب أن يسن قانوناً مخالفاً للشرعية الإسلامية والنص سالف الذكر لا يتضمن مخالفة الشرعية الإسلامية فقد أعطت الشرعية الإسلامية لأولى الأمر حق التشريع إلا أنها لم تعطهم هذا الحق مطلقاً من كل قيد فحق أولى الأمر في التشريع مقيد بأن يكون ما يعضونه من تشريعات متفقاً مع نصوص الشرعية ومبادئها العامة وروحها التشريعية وتعيين حقهم في التشريع على هذا الوجه يجعل حقهم مقصوراً على نوعين من الشرعية (١) تشريعات تنفيذية (٢) تشريعات تنظيمية على أساس مبادئ الشرعية الإسلامية فيما لم يأت منه نصوص خاصة ويشترط في هذا النوع من التشريعات أن يكون قبل كل شيء متفقاً مع مبادئ الشرعية العامة وروحها التشريعية وعلى ذلك فإن النص الدستوري المشار إليه وجميع نصوص الدستور ليس فيها ما يعد سنداً شرعياً لتطبيق القوانين الوضعية المطبقة في مصر لا يقوم على أي سند من الشرعية وإنما يستند إلى الثبات الواقعي واعتقاد الناس عليها والفهم لها واستمرار تطبيقها لزمن طويل وغفلة الناس عن مخالفة تلك القوانين للإسلام بل وأكثر من ذلك فإن الدستور المصري المعمول به لا يقف عنه حد تقديم السند الشرعي للقوانين الوضعية وإنما يبطلها ويقوض أساسها ويهدم كل قيمة لها . فأولاً وردت عدة نصوص في الدستور توجب احترام ومراعاة أحكام الشرعية الإسلامية ، منها الأسرة أساس المجتمع وتكفل الدولة التوفيق بين وجبات المرأة نحو الأسرة وعملها في المجتمع ولاشك أن نص الدستور بأن (الإسلام دين الدولة) كاف في حد ذاته لإبطال القوانين الوضعية المخالفة للشرعية الإسلامية ، ذلك بأن الدولة باعتبارها كائن معنوي لا يتصور أن يكون لها دين وإنما مفاد هذا النص أن الإسلام هو دين الغالبية الساحقة للمصريين ، ولما كان الإسلام شريعة وعقيدة ،

الأمر الذى أكدته الدستور باحتبارة مصدراً للتشريع فإنه يجب أن يستمد قوانين الدولة من الشريعة الإسلامية وأن تكون جميع القوانين المعمول بها فى الدولة متفقة وأحكامها وإن جميع القوانين المخالفة لها باطلة ومعدومة الوجود ومجردة من كل قيمة ، بل أن الأمر أصبح بالغ الوضوح بعد التعديل الأخير الذى أصبحت بمقتضاه المادة الثانية للدستور تنص على أن (مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع) .

وحيث أن البعض يرى أن القوانين الوضعيه وأجبة التطبيق ، وهذا رأى فى نظرنا لا يستند إلى أى . . . شرعى أو يقوم على سند عقلى أو منطقى الأهم إعتياد الناس على القوانين الوضعيه وإستمرار تطبيقها لزمن طويل — والعقولة على الطريقة التى دخلت بها بلادنا ومخالفتها للإسلام الذى ندين به ، وبوى إنصار هذا الرأى أن القوانين الوضعيه القائمة وأقع لا بد أن ينص فى الدستور صراحة على الغائها وأحلال الشريعة الإسلامية محلها ورغم أن هذا الرأى مردود عليه بما سلفنا فإنه يضاف إليه التعديل الدستورى الأخير الذى ينص على أن (الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع) .

وقد ترتب عليه أن أصبحت الشريعة الإسلامية على قمة المصادر الرسمية للتشريعة ولم يعد هناك مكان للمصادر الأخرى فى ظل الشريعة الإسلامية الفنية بأحكامها الدقيقة المفصلة لكل شئ . ، ذلك أنه من المستقر عليه فى فقه المصنفين أن التشريع لا يلقى إلا بالتشريع فى درجته أو أعلى منه مرتبة .

وقد كانت المادة الأولى من القانون المدنى تعتبر الشريعة الإسلامية مصدراً رئيسياً من الدرجة الثالثة وعدلت هذه المادة بمقتضى التعديل الدستورى الأخير والغى الترتيب الوارد بالمادة الأولى من القانون المدنى وأصبحت الشريعة الإسلامية هى المصدر الأول للتشريع التى يقوم أساسها البنيانى القانونى فى الدولة ولم يعد يسبقها أى مصدر آخر .

وقد قررت محكمة عليا فى العديد من أحكامها أنه إذا تعارضت القوانين الأدنى مرتبة والسابقة فى الدستور مع أحكام الدستور وجب التزام أحكام الدستور

واهدار ما سواها بما يعنى أهمال الأحكام المخالفة للدستور وعدم اعتبارها
وتجريدتها من كل قيمة والتصرف على أساس إنعدامها وعدم وجودها وأنه
إذا أورد الدستور نصاً لزم أعمال هذا النص يوم نفاذ الدستور وتغيير النصوص
المخالفة للنص الذى أوردته الدستور قد نسخت ضمناً بقوة نفاذ الدستور .

وحيث أنه ترتيباً على ما تقدم فإن القوانين السابقة على التعديل الدستورى
الذى نص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع تعتبر منسوخة
في أحكامها المخالفة للشريعة الإسلامية وتعديل بما يتفق وأحكام الشريعة الإسلامية .

وحيث أنه وأحداً بما سلف بيانه من قرارات قانونية فإن القدر المتيقن
والذى لا يمكن أن يثار بالنسبة له أى خلاف أن التعديل الدستورى سالف
الذكر قد ترتب عليه فور نفاذه بطلان جميع القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية
وبمجرد صدور هذا التعديل فقد لفظت تلك القوانين أنفاسها الأخيرة
وفارقت الحياة .

(الدعوة - يوليو ١٩٨١)

الفصل الخامس

الاقتصاد الربوي

منذ سيطر النفوذ الاجنبي على مصر والبلاد العربية والاسلامية فقد وضع يده على خيوط الاقتصاد الوطني جميعاً ، وحولها إلى مصارفه وخزائنه وجعلها سداً للديون التي كان قد إقترضها الحكام وأهل النفوذ ، وكانت مؤامرة الاستدانة دائماً مقدمة للاحتلال والسيطرة ، وقد حفظ التاريخ الحديث ثلاث مؤامرات أحدها على خديو مصر إسماعيل وعلى شاه إيران وعلى باي تونس كانت مقدمة للسيطرة الاستعمارية والاقتصادية على هذه الاقطار وقد تبع هذه السيطرة توجيه الاقتصاد وجهة غربية خالصة ، باستنزاف مصادر الثروة من البلاد الاسلامية بأجس الاسعار وفتح أسواق تجارية للمنتجات الواردة من البلاد المسيطرة وسيطرة مجموعات من الاجانب على الاسواق والمواد الأساسية والقيام بعمليات المراقبة للتجار والزراع تحت تأثير المغريات الوافدة وفي مقدمتها الخور والآقصات والمنتجات السكمالية .

وهكذا صنع الاحتلال البريطاني نظاماً ربوياً اقتصادياً مسيطراً تتحرك فيه التجارة والزراعة والصناعة في البلاد خلال فترة الاحتلال ، ما عدا محاولات ، قليلة جرت بانشاء صناعات وطنية كالتي قام بها طلعت حرب وأحمد عبود وغيرهما غير أن مصر في المرحلة التالية لم تستطع أن تستقل اقتصادياً ، وظلت خاضعة لنفوذ الاقتصاد الغربي ثم جاءت مرحلة الارتباط بالاقتصاد الشيوعي ، وفي كلا المرحلتين عاشت مصر مرحلة قاسية من أشد مراحل التبعية والبحث عن مصادر لاستيراد العملة الصعبة وقامت على أمتلاكها مصادر الطعام الأساسي كالقمح في سبيل زراعة محاصيل أخرى تدر موارد إجنبية ، ولا يزال الاقتصاد المصري يعاني من عاملين :

العامل الأول : التضخم والاخر السيولة ، وكانت عملية الحصول على القروض من الدول الغربية ولا نزل عاملا هاما في توجيه الاقتصاد وعدم القدرة على تحريره فضلا عن هجر الدول العربية ذات الموارد النفطية الواسعة عن استثمار عائدها في البلاد العربية والاسلامية .

ولا ريب أن اختواء الاقتصاد الاسلامي وسيطرة الدول الغربية والاشتراكية عليه هو من أخطر المعوقات التي تحول بين المسلمين وبين امتلاك ارادتهم وتكوين مجتمعهم القادر على الحركة الحرة ، وعلى استثمار موارد الواسعة المذخورة الآن في البنوك الأجنبية والتي هي سدا حقيقيا للاقتصاد الغربي ، دون انتفاع المسلمين بها أساسا لبناء حضارتهم الجديدة .

ويعيش العالم الاسلامي في مجموعتين : مجموعته لها موارد الضخمة التي لا تحصل منها إلا على قدر معين بينما تودع مخزائنها في المصارف الغربية . ومجموعة نامية تحتاج إلى قروض لرفع مستوى حياتها الاجتماعية ، وتوظيف مواردها في تسديد بعض هذه الديون .

وقد تجاوزت ديون العالم المتقدم على العالم النامي ٤٠٠ مليار دولار :

وقد نمت بريطانيا من الهند ومصر وهولندا من أندونيسا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وأمريكا من جنوب ومن أفريقيا قدراً ضخماً من الموارد (كالبنترول والسكر والمانجيز) وكانت من المصادر الهامة من مصادر التصنيع والتقدم الذي حققته الدول المستعمرة ، وتعمل الدول الكبرى على إيقاع فائض المسال العربي عن طريق : المواد السكمالية والسلاح .

وهناك ٥٠ مليون أفريقي وأسيوى من الدول الفقيرة يتساقطون من الجوع .

وهكذا نجد أن العالم الإسلامي كله يقع في قبضة الدولتين الكبيرتين والنظامين الرأسمالي والشيوعي ، وإن المسلمين مازالوا عاجزين عن التحرر من سيطرة الاقتصاد الغربي بعقبة .

وهكذا نجد أن المسلمين خسروا : منهمم الاقتصادى الأصيل ، الذى عالمهم القرآن ، وطبقة المسلمون أربعة عشر قرناً ، وسيطر عليهم النظام الربوى العالمى بكل مخاطره وأثاره وفساده ، وأندفعوا وراء الاستهلاك والترفيه ومظاهر الحضارة وكلها عوامل تدمر الشخصية ويقتل فيها عناصر التماسك والقوة وتجعلها خاضعة متحللة منارة .

غير أن حركة اليقظة الإسلامية قد كشفت للمسلمين مدى الانحطاط الذى تحيط بالالاقتصاد الإسلامى لوقوعه فى براثن الربا وسيطرة الدول الغربية عليه ، والاثار المترتبة على ذلك فضلاً عن غضب الله وعقابه ومن ثم إنطلقت صيحة الامتناع عن الادخار إلا فى البنوك الإسلامية وقد اضطرت كثير من المصارف إلى إنشاء دوائر خاصة الادخار الإسلامى جعلت أعمالها فى دائرة المطابقة المصوح بها من الإسلام .

(٢)

نعم ، لقد واجهت حركة اليقظة الإسلامية هذا النظام الربوى وكشفت عن سمومة وأخطاره ، حيث يتكامل خطره مع القانون الوضعى والتعليم العلمانى وفساد معطيات الحضارة ووسائل التسلية والترفيه وتبنت فى السنوات الأخيرة تياراً اقتصادياً إسلامياً جديداً يقوم على نظام الإسلام وهو وإن كان لا يزال بخطوخطواته الأولى ولكنه يتقدم بسداد وحزم ليقدم النموذج الإسلامى للعالم كله فقد حققت المصارف الإسلامية فى ثلاث سنوات أكثر مما سحقت المصارف الربوية فى خمسمائة عام .

وقد ضمت دار المال الإسلامى ٢٤ مصرفاً (بالإضافة إلى ١١ مصرفاً أخرى) فى ٤٤ دولة إسلامية و ٢٠ شركة تمكافل وعشرين شركة استثمار وأربع شركات للأعمال .

وتحاول هذه المصارف جميعاً تجميع أموال المستثمرين المسلمين لتوظيفها وفق أصول الشريعة بعيداً عن الربا وقد بلغ رأس مالها المطروح ألف مليون دولار

وتتضمن شبكة متكاملة لخدمة الأغراض المالية والتجارية والاستثمارية في مجال الزراعة والصناعة على أساس إسلامي كبديل للنظام الربوي والاقتراض بالفائدة وستكون مشاريعها بالمشاركة في الربح والخسارة . (١٤٠١ هـ) .

ولكن عالم الغرب لا يسلم بسهولة بل أنه يحاول أن يثير الغبار في وجه هذا الاتجاه لصرف المسلمين عنه ، كما يحاول فرض سيطرته من ناحية أخرى حيث يحاول دون تمكين البلاد الإسلامية من الحصول على التكنولوجيا وبفرض ربط تصدير النفط بالحصول على بعض المشاريع التكنولوجية في مجال الصناعة والزراعة ولكنهم يرفضون تماماً تزويد المسلم بالعلم الاستراتيجي مع أن النقط إلى جانب أنه وقود فهو سلعة إستراتيجية عميقة التأثير وبعيدة المدى .

(٣)

يقول الدكتور أحمد النجار الأمين العام لاتحاد البنوك الإسلامية : أن كثيراً من إساتذه الاقتصاد الغربيين في ألمانيا ويوغسلافيا وفرنسا وإنجلترا وأمريكا يفهمون حقيقة حركة البنوك الإسلامية أكثر مما يفهمها إساتذة الاقتصاد في كثير من البلاد الإسلامية :

وأن هناك من تزعج من أذخال الإسلام ومفاهيمه في الأجهزة الاقتصادية بإدعاء أن أمور الاقتصاد يجب أن تقوم على المنطق والأرقام ولا يمكن أن تقوم على العقائد ، وفي مؤتمرات عقدت في لندن وباريس وأمريكا تبين أنه من السهل إقناع الاقتصاديين الغربيين بالفكرة ولكن من الصعب إقناع بعض الاقتصاديين المسلمين بها .

أن تجربة البنوك الإسلامية بدأت في نطاق محدود ولكنها كانت بداية طريق جديد من الفكر الاقتصادي العالمي لأنها تميزت بدخول الإسلام بما يشتمل عليه من ثروة روحية وخلقية في مجال النظم المصرفية والفكر الاقتصادي الذي يحل مبدأ (المشاركة محل الفائدة) فالبنك الإسلامي يعمل ليشتري طالب التمويل ما يلزمه لتسيط مشروعه ويقدم جديده للبنك يقدم خبرته وأمكاناته على صورة

يمثل فيها التعاون ضرورة للطرفين ويزيد على ذلك أن يأخذ التمويل صفة الجبرية والبنك الاسلامى لهذا يوجه نشاطه كله نحو التنمية :

البنوك التجارية تدعى أنها تشارك فى الاستثمار ولكنها فى الحقيقة تبيع النقود مقابل الثمن لمن يريد ، والربح الذى تحققه هذه البنوك ليس نتيجة مشاركة فى الحياة الاقتصادية ولكن نتيجة الاتجار فى النقود باعتبار أن النقود فى ذاتها سلعة تباع بربح هو الفائدة ، وحلقة القوائد اللامنية هى التى أدت إلى ظاهرة التضخم العالمية ، فإذا الغينا نظام القوائد ووضعنا نظام المشاركة سيكون قد وضعنا الأساس الاقتصادى السليم للتنمية .

إن حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم حدد جوهر التعامل الاقتصادى فقال : الذهب بالذهب والفضة بالفضة والحنطة بالحنطة والقمح بالقمح والتمر بالتمر والملح بالملح ، يدا بيد ، مثلا يمثل ، فإن اختلفا فبيعوا كيف شئتم . .

والاصناف التى عددها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بوظيفة النقود فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمى النقود من أساءة إستخدامها حتى لا تختل المقاييس وبهذا الحديث فإن الاتجار بالنقود حرام والاتجار بغيرها حلال لأن النقود فى المفهوم الاسلامى ليست سلعة ولكنها أداة لتحرريك الطاقات فى المجتمع وتحقيق التنمية والسبيل إلى ذلك أن يشارك رأس المال فى العمل فى تحقيق التنمية وهذا ما تقوم به البنوك الاسلامية .

وإذا كانت البنوك التجارية تهتم بذوى الدخول الكبيره فإن دور البنوك الاسلامية هو أن تمد يدها إلى كل مسلم مهما يكن دخله لأن كل شخص يمكن أن يدخر ولو بضعه قروش ، فإذا اتسعت دائرة المدخرين لتشمل المجتمع كاه فإن البنوك سوف تجد لديها من الاموال ما يكفها لتتعلق فى العمل ومادامت هذه البنوك لا توجه أموالها إلا فى مشروعات إنتاجية مشرة وراعية ، وتحسن إدارتها والإشراف عليها فإن المجتمع كله سوف تتحقق له التنمية الرشيدة من خلال هذه البنوك الاسلامية ولكن البنوك الاسلامية وهى بداية تغيير جذرى

في المهام المصرفية والاقتصادية مشكلتها الاولى الآن : هي توفير الكفايات
المديرية الفاعمة لفاضة العمل فيها والتعمق في دراسة أحكام الفقه في البيوع
والتجارة والافراض وغيرها . لقد بدأت البنوك الاسلامية عملها بالاستعانة
بمخبرات من البنوك التجارية وأصبح معظم العاملين فيها ممن تربوا في بنوك
ولا يتصور أن البنوك يمكن أن تعمل بدون فوائد ، لذا كان من الضروري
أن ينشئ الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية . معهداً متخصصاً لاعداد الكوادر
المسلحة بالوعى الاقتصادي الاسلامي . وتأتي وأحد بذلك تكتمل للبنوك
الاسلامية عوامل النجاح : الفلاسفة والاقراد القادرون علمياً وعملياً على
إقامة صرح الاقتصاد الاسلامي . فليس قوة من الشريعة ليثبتوا للمسلمين
أن الاسلام قادر على علاج مشكلاتهم . فالاقتصاد بشكل علمي متقن ،

(٣)

لقد كان لهذا الاتجاه الجديد آثاره الواضحة في مواجهة عقبة من أضخم
العقبات وفي وجه تطبيق الاسلام ، ومن ثم بدأت تشكل جماعات من الاقتصاديين
الاسلاميين الذين يقننون مفهوم الاسلام الاقتصادي ويشرحونه ويفسرونه
ويضعونه في قوالب عصرية صالحة للتطبيق .

وبذلك إنتهت تلك المرحلة التي بدأها رفاة الطمطاوى وخير الدين التونسي
(١٨٣٠) تقريباً وهي مرحلة الانهيار بالنظم الغربية وتبررها بدعوى أنها إسلامية
الأصل ، والمعروف أنه عندما وصل رفاة الطمطاوى وخير الدين التونسي إلى
باريس وإنصلا بالفكر الغربي لأول مرحلة من رحلتها من المشرق اكتشفا أن ما تلقياه
هو شيء قريب مما يعلمون من فقه الاسلام وعلمه حتى ظنا أنه يمكن نقله أو اقتباسه
بوصفه بضاعة المسلمين قد ردت إليهم ، وكان هذا فيما ساذجا لحقيقة الاقتباس
والنقل الذي تم في الغرب لعلم المسلمين ومفاهيمهم ، ذلك أن الغربيين عندما
أخذوا علوم المسلمين قد أخضعوها لآمرين :

اولا : أخضعوها لآطار فكريهم المسيحي وابوناني والروماني القديم
ثم أخضعوها لآمواتهم فنزعوا عنها طابع الاسلام قائم على الاخوة البشرية

والرحمة والغيرة على العرض) فإن الفكر الغربي في هذه المفاهيم الثلاثة خاضع للفكر اليوناني فقديم الذي تجدد تحت اسم قتل الضمياء على يد نيئشه ، أو الإباحة في العلاقات بين الرجل والمرأة أو من حيث إستغلاء العنصر على الأتوام الأخرى يدعو الرجل الأبيض صانع الحضارة في هذه العناصر الثلاثة تجاوز الفكر الغربي مفاهيم الإسلام وخضع لمفاهيم الفكر البشري القديم المتجدد إذ ذلك ، أما شيخينا (الطمطاوى والتونسي) فإنهما لم يتنبها إلى هذه الفوارق حتى جاء الدكتور محمد عبد الله العربي وجيل آخر من الشباب المسلم الذي درس القانون في الغرب دراسة أكاديمية بعد مائة عام (١٩٣٠) وقالوا : أن الأمر مختلف تماما ، وإن المسلمين لا يستطيعون الاعتماد على الفكر الغربي في بناء المفاهيم المستحدثة في القانون أو الاقتصاد أو السياسة أو العلم أو الحضارة .

بقول الدكتور العربي : أن الفكر السياسي الغربي يرى أن الأديان السماوية ليست لها رسالة في أمر الدولة وشؤون الحكم فهذه من شؤون الدنيا التي يتفرد البشر بتنظيمها على أساس ما القيصر لقيصر وما لله لله ، واسكن الإسلام وضع الأصول التي يجب كل مجتمع إنساني أن يسير على نظامها .

والمسلمون اليوم يستأنفون بناء نظامهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي في إطار الإسلام بعد أن خضعوا طويلا نتيجة الاحتلال الأجنبي للانظمة الغربية الوافدة .

(٤)

في إطار حركة اليقظة الإسلامية يتجمع العلماء الآن والخبراء ليقدم خبرتهم وفهمهم للمنهج الاقتصادي الإسلامي وبناء المنهج الإسلامي في المعاملات الاقتصادية ، ذلك المنهج الذي اتفق الجميع على أنه طوق النجاة الأنظمة الاجتماعية العالمية شرقيه كانت أم غربية ، شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية وقد كشفت لمباحث الخبراء عن أن تراثنا الإسلامي الوفير مليء بالكثير من الحلول لمشكلاتها وإن الإسلام يقدم النموذج الأمثل وقد عرضت الابحاث الإسلامية لمفهوم المنهج الاقتصادي فقدمت المقومات التي تحقق لإقتحام هذه العقبة ، وتفتح الطريق إلى التطبيق الإسلامي .

وقدم الدكتور شوقي الفنجري تصوراً صحيحاً جامعاً للاقتصاد الإسلامي
فيقول أنه كالعنصر الواحد ذات وجهين :

أولها : وجه ثابت يتعلق بالمبادئ والأصول الاقتصادية الإسلامية حسبما
وردت بنصوص القرآن والسنة كأصول الحرية الاقتصادية المقيدة ، وأصل
التنمية الاقتصادية الشاملة وأصل ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع .

ثانيها : وجه متغير يتعلق بالتطبيق ، أي كيفية أعمال الأصول الاقتصادية
الإسلامية ومواجهة مشكلات المجتمع المتغيرة كبيان نظام الملكية العامة ومدى
تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، وإجراءات تحقيق كفاية الإنتاج أو متابعة
تنفيذ خطط التنمية والاقتصاد وبيان مقدار حد الكفاية ومن ناحية أخرى
هذه المجموعة من الحقائق :

أولاً : أن دور دارسي الاقتصاد الإسلامي (مذهباً ونظاماً) هو دور
الكاشف لا المنشئ ، فهو ليس كأي باحث اقتصادي حر في بحثه يتوصل إلى
الحدود الاقتصادية كيفما يشاء وإنما هو مقيد في الكشف عن الحكم في المسائل
الاقتصادية بنصوص القرآن والسنة وذلك إذا وجد النص فإن لم يكن فهو مقيد
بالاجتهاد لاستظهار الحلول الاقتصادية الإسلامية لتلك القضية وذلك بالطرق
الشرعية المقررة من قياس وإستصلاح واستصحاب ، ولا يعتبر الحل الاقتصادي
إسلامياً إلا بقدر التزامه بنصوص القرآن والسنة وإتباع الطرق الشرعية المقررة .

ثانياً : الاقتصاد الإسلامي اقتصاد متميز له ذاتيته المستقلة ، فإن بحوث
الاقتصاد الإسلامي مازالت تنصف بالصفة العلمية محدودة للغاية وذلك
لأن تدريسه كمادة مستقلة هو بدورة حديث للغاية ، ذلك أن جامعات العالم
الإسلامي تدرس الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي ولا تدرس الاقتصاد
الإسلامي .

وللاقتصاد الإسلامي وجهان :

الوجه الأول : مجموعة الأصول الاقتصادية الإسلامية المستقلة من صريح

نصوص القرآن والسنة وهي على ما سبق بيانه إلهية بحته (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ومن ثم فإنها منزله عن الخطأ وصالحه لكل زمان ومكان .

الوجه الثاني : هو مجموعة التطبيقات الاقتصادية الإسلامية سواء كانت في صورة نظام أو نظم على المستوى العلمى أو في صورة نظرية ، أو نظريات على المستوى الفسكرى ، فهذه كلها إجتهاديه بحيث يجوز الخلاف حولها ويقل التغيير والتبديل باختلاف الأزمنة والامكنة ويقبل اختلاف الاجتهادات حسب الظروف والتقدير ، بحيث لا تتجاوز الأصل الثابت بنص القرآن والسنة وهو ما لا يناول سوى التفاصيل والتطبيقات وهو ما عبر عنه الأصوليون بقولهم (تغير الأحكام يتغير الأزمنة والامكنة) وقولهم بأن إختلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان وقد عبر عنه الشيخ ابن تيميه :

(أنه إختلاف تنوع لا إختلاف تضاد) وقد كان ابن حزم يتخذ إتجاهها جماعيا بينما يتخذ ابن خلدون إتجاهها فرديا .

ثالثاً : الاقتصاد الإسلامى بجميع بين الثبات والتطور ، الثبات من حيث الأصول أو المذهب الاقتصادى والتطور من حيث التطبيقات أو النظم الاقتصادية

(٣)

قدرة الاسلام على حل مشاكل المجتمع الاقتصادى :

لا جدال فى أن الإسلام يعد مصدراً أساسياً لتقديم حلول فعالة لمشكلات الهامة فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، فالإسلام نظامه الاقتصادى الذى يحقق هذه النتائج عندما يلتزم ما خلاص وقد شهد غير المسلمين بل المسلمين بأن الإسلام مازال حتى الآن بقوة الروحية والخلقية التى تجلب التقدم والتكافل ، فيقول هاملتون جب : « لو كان الإسلام مازال فى قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة ليس هناك أى قوة سراء يمكن أن تنجح مثله تجاها باهراً فى تأليف الاجناس البشرية المتنافرة فى جهة واحدة أساسها المساواة » .

مخالفو ارد الرئيس متوافره لدينا ولدينا التقنية والمعرفة العلمية ولدينا التاريخ ومع ذلك فنحن نتطلع الى الآخرين عند اختيارنا للمنهج الذى نهتدى به بدلا من البحث عنه فى واقع تراثنا وحضارتنا ومعتقداتنا ، وعلى ذلك يتعين علينا ادراك القيم الإسلامية ومبادئ الاقتصاد الإسلامى ثم تطبيقها عمليا فنهجنا الإسلامى أولى بالاتباع (عبد العزيز حجازى) .

يستطيع الإسلام اليوم والعالم يبحث عن النظام الاقتصادى العالمى ومع الحيرة التى يعيشها عالم المسلمين وسط النظم الوضعية التى يطبقونها ، أن يقدم المنهج الذى يحقق الرفاهية للشعوب ويسد الفجوة بين الاغنياء والفقراء ويقرب المسافة بين الشعوب المتخلفة والنامية والمتقدمة ، تلك التسميات التى ارتبطت فى الازمان بقوانين الاحصاء وأنبعت عن قوانين السماء :

والسؤال هو : هل حقق التقدم الاقتصادى المعاصر « سعادة الإنسان ، واين السكينة التى يتطلع إليها البشر ، بل أين الوفاية الحقيقية أى يتطلع لها الإنسان ، أن الشعوب القادرة تضرب بثروتها وما تفيض به على الشعوب المحتاجة فهو قليل ، وهى تضع الحواجز السياسية بين العالم الغنى وعالم الفقر ، وتملك الثروة التى وهبها الله لها . »

(٣)

للإسلام رأى فى قضايا التنمية والاستثمار والانتاج والاستهلاك والتمويل والتكافل والادارة والمحاسبة ، وفى قضية الانسان والسكان .

ويرى المنهج الإسلامى على أسس واضحة :

المحور الأول : العبودية لله (الخضوع والطاعة) والتوحيد للخالق الرازق لا شريك له ، ومن غير هذا الايمان بالوحدانية والقدرة الالهية يفقد المنهج الإسلامى ودعائمه الأولى ويختصر الفكر الاقتصادى فى أمور وضعية ، يعيشها وتشكو منها ويحاول التغلب عليها أو للتخلص منها فلا يقدر ، من أجل هذا لا بد أن يقوم الفكر الإسلامى فى الاسلام قبل كل شئ على العقيدة بالتوحيد .

المحور الثاني : إنطلاقاً من مفهوم العبودية لله سبحانه وإن الثروة من خلق الله وإن المال مال الله وهو للمالك لكل شيء ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، وإن الإنسان خير خلق الله إستخلفه في الأرض لأعمارها والعمل بشريعة الله ، وخلقه في أحسن تقويم وعلمه البيان وترك له حرية الاختيار وفتح له آفاق العمل وطالبة بأن يكدح إلى ربه كدحاً ، وإن ليس له إلا ما سعى ، وإن سعيه سوف يرى وأنه سيثوق الجزاء الاوفى ، وهكذا تتأكد الركيزة الثانية للاقتصاد الإسلامى وهى : أن الانسان هو الهدف .

وإن تمييز الإنسان بنعم العقل والتفكير والتدبير تفرض بالضرورة التكليف والاعتراف بمجموعة من المسلمات والضرورات للفوظيفة الحياتية للإنسان وهى :

١ - الخضوع لحكم الله ويتطلب ذلك قدراً من القناعة والرضا بما قسم الله من الارزاق .

٢ - العمل ، السعى ، الكدح ، أتيغاء مرضاة الله .

٣ - الاعتراف بالدرجات (فضلنا بعضهم على بعض درجات) .

٤ - المحاسبة عن الاعمال (الاعتراف بالثواب والعقاب في الدنيا والآخرة)
والواضح أن الكثير من مشكلات المجتمع الحديث والمعاصر ترجع إلى الخروج عن واحد أو أكثر من هذه المسلمات أو الضرورات .

فالمجتمعات التى تعتنق المادية وتعتبر الإيمان بالله ضرباً من الشعوذة ، تفتقد الروح الإيمانية ، والمجتمعات التى تنتشر فيها الأمية وتقتصر فيها الافراد عن البحث والمعرفة أو تلك التى تسود فيها البطالة الظاهرة أو المقنعة أو تلك التى تسود فى الانقفاع بثرواتها يقال عنها دول متخلفة ، أما تلك التى تسيطر فيها أحكام السلطة الفوقية أو يتحكم فيها القوى الحزبية (الشمولية) لتحقيقاً للمساواة الكاذبة بين أفراد المجتمع .

وتقتضى فيها على روح الحرية والمنافسة والتكافؤ فى الفرص التى أنعمها الله

لعباده تفقد الإنسان أحد المقومات الرئيسة للحياة القديمة وكل هذه الانحرافات تؤدي بالاجتماع إلى التخلف وبالإنسان إلى الضياع وحتى تستقيم الحياة لأبد من أن يطبق منهج الله في المعاملات باعتبار أن الإنسان مستخلف في الأرض فعليه التسلك بالحقوق والقيام بالواجبات وطاعة الاوامر والابتعاد عن النواهي .

المحور الثالث : إذا كانت الثروة من خلق القادر والمال مال الله والإنسان مستخلف في الأرض فإن الانتفاع بنعم الله وخيراته يستوجب تنفيذ أوامره وتجنب نواهيه فإنه مسئول عن تنمية هذه الثروة في كل نشاط حلال وحسب أولويات تتعلق بمتطلبات الإنسان حسب إمكانياته وقدراته المتوافرة ، والتي يمكن توفيرها في المجتمعات الأخرى التي تتكامل بعضها مع بعض ، ومعنى ذلك بالضرورة تحديد الأهداف التي تروجى من تطبيق المنهج ، ومعنى هذا أن (الرفاهية) لا يمكن تحقيقها إلا بعد تحديد (حد الكفاية) الكفاية كما تدعو إليه رسالة الاسلام (عبد العزيز حجازي) .

اللامح العامة

السمة المميزة للاقتصاد الاسلامي هي القرآن والسنة

الوكة خير علاج للازمات الاقتصادية .

لا تناقض بين الدنيا والآخرة وإباحة الطيبات .

بتقاء مرضاة الله هي الأساس .

وأمر الله هي هداية لتحقيق مصلحة الإنسان وليس بغيره .

بمصلحة الإنسان لتحقيقها .

الاستهلاك والمعنى لأجله ما هو فرض أو مباح أو حرام .

حسن النية والتمسك عما مناط الثواب على الاستهلاك .

(أن المسلم إذا أنفق نفقة على أهلها وهو محتسبها كانت له صدقة)

- أن النية تحول العادة إلى عبادة .
- دعا الإسلام إلى الانفاق : وأعظم الثقة على الأهل .
- الانفاق من غير كفران لأنعم الله أو تجاهل الآخرة أو رفض مشاركة المحتاجين ومن غير ترف وتعد .
- حاجات الإنسان الضرورية هي موضوع المشكلة الاقتصادية .
- وقد عدده الإمام محمد بن الحسن الشيباني بقوله : إن الله تعالى - خلق أولاد آدم خلقاً لا تقوم أبدانهم إلا بأربعة أشياء :
- ١ - الطعام ، (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين)
- ٢ - الشراب (وجعلنا من الماء كل شيء حي) .
- ٣ - الملابس (يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سوء آتكم وريشاً)
- ٤ - المسكن (وخلق الإنسان ضعيفاً) .
- حاجة الإنسان إلى مسكن يقيه الحر الشديد والبرد القارس والعلاج والتعليم والأمن حاجات ضرورية تسكفل بها النظام الإسلامى .
- وقد أعطى الإمام الشيباني إعتبار العلاج والصحة من الضرورات (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) و (ولا تقتلوا أنفسكم) .
- ثانياً : أن لب المشكلة الاقتصادية : حاجات الإنسان من غذاء وكساء وادوات لإنتاجه نتيجة قصور الإنسان في محيطه المحدود عن إنتاج كل ما يلزمه وهو يعبر عن ذلك بعبارة (أن سعى الإنسان بما هداه له الله التماسه لفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله ، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من الغذاء غير موفيه له بمادة حياته ولو فرضنا فيه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم) .

ثالثاً : التمييز بين السلع الضرورية والكمالية ، فإذا ارتفع مستوى معيشتهم

وحققوا مزيداً من الرفاهية فانهم يتحولون إلى السلع الكمالية فما يزيد أموال
الرفه والذهة وذلك من خلال نشاط الصناعة والتجارة .

رابعاً : الأرض كلها هي ميدان النشاط الإنساني فغاية هذا النشاط الواسع
المتراعى الأفاق هو ابتغاء فضل الله ومعنى ذلك أن السعى في الكسب وتحصيل
الرزق لا خطأ فيه ولا عيب بدلالة وصفه - فضل الله - واسكن لا تلبث الآية
أن تعود إلى ذكر الله حتى لا يتحول النشاط الاقتصادي تجارة أو صناعة
أو زراعة إلى عمل يتجرد من دوافع الإنسان الفاضله وحوافز الانسانيه الساميه .

(٥)

حاجة العالم إلى النظام الإسلامى :

أولاً : لقد تبين أن النظام الاقتصادى العالمى أخفق وإن العالم أمام طريق
مسدود وطالبت الدول بنظام عالمى جديد ، سبب الاخفاق هو تمسك الدول
الصناعيه بالنظام القائم وعدم موافقتها على إدخال أى تغيير عليه ، حيث فى أستطاعة
الغرب ضرب أى محاولة من الدول النامية للتحكم فى تصدير سلعها ، حتى المنظمات
الدولية التى إنشئت لتقديم المساعدات للعالم الثالث فى أدوات فى يد الدول
المتقدمة صناعياً تستخدمها لتكريس نفوذها ومصالحها الاستراتيجية والسياسية
والتجارية وهى تحرم الدول التى تعتبرها معادية للغرب ، والدول التى تتلقى
المساعدات تقدمها لها بشروط فاسية وقوانين ربوية تجعل الدين الاصلى يصل إلى
ثلاثة أمثاله عن انتهاء السداد .

ثانياً : يرى الدكتور مصطفى السعيد أن الصيحة للمطالبة بنظام عالمى جديد
أصبحت تجد إستجابته فى عالم الغرب بعد أن كانت تحت تأثير إعتقاد جازم بأن
التقدم المادى المضطرد قد شارف حد الكمال غير أن الرقى المادى لم يحقق السعادة
المرتجاة للجنس البشرى فما زالت الشعوب المتخلفة مغلوطة على أمرها تستغلها
الدول الصناعية المتقدمة وقد ضاعت روح التمييز الحق والباطل وأصبحت
الانانية والعبث يحقون الغير وعدم الاكتراث بالمسؤوليات الاولية وبالحفاظ على
حرية الحركة من السمات الجديده لهمجية العهود الاول .

ثالثاً : أن موقف الإسلام من الربا موقف حاسم لا يقبل التراجع مهما برره بعض المفتين أَرْضَاءَ لِأَصْحَابِ الْمَصَالِحِ . وقد أجمع علماء المسلمين في مؤتمر البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٥ على أن كل الربا قليله وكثيره حرام ، لا فرق في ذلك بين ربا القرض الانتاجي أو القرض الاستهلاكي ولا بين الوديعة لأجل أوقائده صندوق التوفير فيمكن لأبد من قيام المصرف الإسلامي الذي لا يتعامل بالربا لا أخذاً ولا إعطاءً .

فرساله المصرف الإسلامي هي :

١ - الفاء سعر الفائدة على معاملاته .

٢ - توضيح مسار الاقتصاد لما فيه خير البشرية .

والربا هو الزيادة التي يتألفها الدائن من المدين نظير التأجيل في معاملة الدين بينهما ، أما (الربح) فهو الزيادة التي يتألفها البائع من المشتري على قيمة السلعة في معاملة البيع وبإزاء الربح تستعمل كلمة الخسارة إذا ما بيعت السلعة بقيمة أقل من قيمتها المتكسفة .

ويقول غير المسلمين : إنما البيع مثل الربا ، أي أن الزيادة التي توجد في البيع على قيمة السلعة التكليفية هي مثل الزيادة التي توجد على رأس المال في معاملة الدين وقد رد القرآن على اعتراضهم بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) أي أن الزيادة في المال في البيع شيء آخر فقد أحل الله الأولى وحرم الأخرى ، فمن أراد المنفعة فعليه أن يحترف البيع بنفسه أو يشارك غيره فيه ولكن حرام أن يطلب الزيادة باقراض الناس أمواله .

ولا يتيح الإسلام للإنسان أن يضع رأس ماله ويأخذ ربحاً محدوداً عليه ، فإنه إن كان مشريكاً حقاً فيجب أن ينال نصيبه في الربح وفي الخسارة معاً أيًا كان الربح وأيًا كانت الخسارة فالربا هو كل زيادة مشروطة على رأس المال أي ما أخذ بغير تجارة ولا لعب وزيادة على رأس المال فهو ربا ، الفوائد الزائدة

على رأس المال جاءت بغير مشاورة ولا مخاطرة ولا شيء من المتاجرة فهذا هو الربا الحرام ، والحرام لا يملك ويجب التصرف فيه بالتصدق ، وقال البعض يقدم جواز أخذه صدقه .

ولقد كانت الزكاة هي الوسيلة المثلّية لتوسيع قاعدة الاستهلاك الذي يدفع بدوره عجلة الانتاج ويتيح فرض العمل لمزيد من الناس .

التنمية في إطار إسلامي هي أوسع في مفهومها من مجرد التنمية الاقتصادية والتنمية في الاسلام ليست مجرد زيادة في الانتاج ، مع أن هذا ضروري وأساسي .

ولكنه مجرد وسيلة لهدف أبعد وهو : تأسيس نظام اجتماعي هادئ ، أن مجرد الوصول بالانتاج إلى أن الأقصى ليس هو ما نطمح إليه بل الهدف المروجة بين زيادة الانتاج وعدالة التوزيع ، وبذلك يكون هناك استثمار كامل للمصادر من جهة وتحقيق العدالة والمساواة لافراد المجتمع من جهة أخرى ، لما إذا زاد الانتاج وزاد استغلال الانسان ومعايانه فهذا ليس هو النقط من التنمية الذي يسعى إليه الاسلام ، وهذا ما تعانى منه المجتمعات الاسلامية حالياً أن المجتمع الاسلامي قد واجه هذا التحدي من قبل عندما تدفقت الثروة على المسلمين من الافطار المفتوحة وقد واجه عمر بن الخطاب يومها هذا التحدي لا بتشجيعه قيام نخبة تستأثر بالثروة بل بتوزيع الثروة بحيث يفيد منها جميع أفراد المجتمع واستخدامها لتنمية أوسع ، هكذا أقام عمر بن الخطاب نظاماً حيويًا للامن الاجتماعي . أن تكافؤ الدول الاسلامية ولو بشكل وحدات متقاربة جغرافياً ضروري جداً لمستقبل إقتصادي آمن والتكامل الاقليمي المناسب يحل كثيراً من المشكلات الاقتصادية . التكامل الاقليمي والاعتماد الاقليمي المتبادل يجب أن يكون محور خطط المستقبل وأقامة المصانع قرب المواد الخام ووجود اليد العاملة ، وتأمين تدفق السلع بين مختلف الاقاليم الاسلامية وتأمين الاكتفاء الذاتي لهذه الاقاليم ، استغلالاً أمثل للمصادر .

مباحث

تحديات في وجه الثقافة العربية الإسلامية

أولاً : مناهج الثقافة

ثانياً : ، الأدب

ثالثاً : ، اللغة العربية

رابعاً : ، التاريخ

خامساً : ، العلم

سادساً : ، الفلسفة

سابعاً : ، الفن

the first of these is the fact that the
the second is the fact that the
the third is the fact that the
the fourth is the fact that the
the fifth is the fact that the
the sixth is the fact that the
the seventh is the fact that the
the eighth is the fact that the
the ninth is the fact that the
the tenth is the fact that the

the eleventh is the fact that the
the twelfth is the fact that the
the thirteenth is the fact that the
the fourteenth is the fact that the
the fifteenth is the fact that the
the sixteenth is the fact that the
the seventeenth is the fact that the
the eighteenth is the fact that the
the nineteenth is the fact that the
the twentieth is the fact that the

the twenty-first is the fact that the
the twenty-second is the fact that the
the twenty-third is the fact that the
the twenty-fourth is the fact that the
the twenty-fifth is the fact that the
the twenty-sixth is the fact that the
the twenty-seventh is the fact that the
the twenty-eighth is the fact that the
the twenty-ninth is the fact that the
the thirtieth is the fact that the

the thirty-first is the fact that the
the thirty-second is the fact that the
the thirty-third is the fact that the
the thirty-fourth is the fact that the
the thirty-fifth is the fact that the
the thirty-sixth is the fact that the
the thirty-seventh is the fact that the
the thirty-eighth is the fact that the
the thirty-ninth is the fact that the
the fortieth is the fact that the

the forty-first is the fact that the
the forty-second is the fact that the
the forty-third is the fact that the
the forty-fourth is the fact that the
the forty-fifth is the fact that the
the forty-sixth is the fact that the
the forty-seventh is the fact that the
the forty-eighth is the fact that the
the forty-ninth is the fact that the
the fiftieth is the fact that the

the fifty-first is the fact that the
the fifty-second is the fact that the
the fifty-third is the fact that the
the fifty-fourth is the fact that the
the fifty-fifth is the fact that the
the fifty-sixth is the fact that the
the fifty-seventh is the fact that the
the fifty-eighth is the fact that the
the fifty-ninth is the fact that the
the sixtieth is the fact that the

the sixty-first is the fact that the
the sixty-second is the fact that the
the sixty-third is the fact that the
the sixty-fourth is the fact that the
the sixty-fifth is the fact that the
the sixty-sixth is the fact that the
the sixty-seventh is the fact that the
the sixty-eighth is the fact that the
the sixty-ninth is the fact that the
the seventieth is the fact that the

the seventy-first is the fact that the
the seventy-second is the fact that the
the seventy-third is the fact that the
the seventy-fourth is the fact that the
the seventy-fifth is the fact that the
the seventy-sixth is the fact that the
the seventy-seventh is the fact that the
the seventy-eighth is the fact that the
the seventy-ninth is the fact that the
the eightieth is the fact that the

the eighty-first is the fact that the
the eighty-second is the fact that the
the eighty-third is the fact that the
the eighty-fourth is the fact that the
the eighty-fifth is the fact that the
the eighty-sixth is the fact that the
the eighty-seventh is the fact that the
the eighty-eighth is the fact that the
the eighty-ninth is the fact that the
the ninetieth is the fact that the

the ninety-first is the fact that the
the ninety-second is the fact that the
the ninety-third is the fact that the
the ninety-fourth is the fact that the
the ninety-fifth is the fact that the
the ninety-sixth is the fact that the
the ninety-seventh is the fact that the
the ninety-eighth is the fact that the
the ninety-ninth is the fact that the
the hundredth is the fact that the

the hundred-first is the fact that the
the hundred-second is the fact that the
the hundred-third is the fact that the
the hundred-fourth is the fact that the
the hundred-fifth is the fact that the
the hundred-sixth is the fact that the
the hundred-seventh is the fact that the
the hundred-eighth is the fact that the
the hundred-ninth is the fact that the
the hundredth is the fact that the

the hundred-first is the fact that the
the hundred-second is the fact that the
the hundred-third is the fact that the
the hundred-fourth is the fact that the
the hundred-fifth is the fact that the
the hundred-sixth is the fact that the
the hundred-seventh is the fact that the
the hundred-eighth is the fact that the
the hundred-ninth is the fact that the
the hundredth is the fact that the

the hundred-first is the fact that the
the hundred-second is the fact that the
the hundred-third is the fact that the
the hundred-fourth is the fact that the
the hundred-fifth is the fact that the
the hundred-sixth is the fact that the
the hundred-seventh is the fact that the
the hundred-eighth is the fact that the
the hundred-ninth is the fact that the
the hundredth is the fact that the

أولاً: مناهج الثقافة

في مجال الثقافة الإسلامية : تتجمع سحب التفریب والشعوبية ومحاولات تعزیم الطریق المضى الذی أضاءة الإسلام ، لیبذروا مظلمة خایا فی میدان اللغة والراث والتاریخ الإسلامی والمضارة بجد تلك التحديات التي تهدف إلى إخراجها جميعا من الاصلالة واحتوائها بالمطروحات الواقدة التي تفسد طابعها الإسلامی الاصلیل ووجهتها الربائیة شأنها فی ذلك شأنها فی مجال الاقتصاد والقانون والمجتمع والتعليم .

ولقد كان الهدف من ذلك وأضحى هو تأخیر الفكر الإسلامی عن الوصول إلى غایته فی فتح الطریق أمام تحقیق الارادة الإسلامیة فی بناء المجتمع الإسلامی واستئناف الحضارة الإسلامیة عطاءها من جدید .

ومن هنا فقد كان لابد من إعادة النظر فی مناهج الثقافة الإسلامیة والفكر الإسلامی ، یوضع مناهج جدیدة تعبر عن أرادتنا ، وعلى الجامعات الإسلامیة أن تسد أمانته الالتزام الإسلامی والدفاع عن قیم الاسلام وتصحیح المفاهیم التي أفسدها النفوذ الاجنبی وكان النفوذ الاجنبی قد أنشأ هذه الجامعات على أنها مؤسسات بلا هوایة ، وجعل إبرز أعمالها دراسة فكر الاغریق والرومان فی القديم وفلسفات الغرب فی الحدیث ، ودراسة تاریخهم وأبطالهم دون دراسة فكر الاسلام وحضارته ، أو دراسها دراسمشوها ملیتا بالدرس المقصود لكي یكون المواطن المسلم حضما عنیدا لثقافته ودينه .

(٢)

ولما كانت الثقافة العربیة (إسلامیة الانجاة والانتها) فقد واجهت من تأثیر النفوذ الاستعماری الوافد تحديات خطيرة من دعوات تريد أن تنیع ذاتیة الثقافة الاسلامیة وتختلط بینها وبين الثقافات تحت اسم عالمیة الثقافة أو دهورات تريد أن تفصل بین حلقات التاریخ المتصلة تحت اسم (المعاصرة والمحدثات) وكل هذه الدعوات إنما تستهدف فكرة الارتباط الدقیق بین الثقافة الاسلامیة

العربية التي تعيشها وبين جذورها العميقة المتصلة بالاسلام والتراث الاسلامي العربي في عصوره المختلفة .

كذلك فإن هناك شبهات كثيرة ماثرة حول قيم الثقافة ووجهتها وخصائصها وعلاقتها بالفكر والدين والمعرفة مما يتطلب تحريره والكشف عن وجه الحق فيه .

والثقافة ليست مجموعة من الافكار ولكنها نظرية في السلوك وبها يرسم طريق الحياة إجمالاً فيما يتمثل عليه الطابع العام الذي ينطبع عليه شعب من الشعوب ، وهي تمثل الوجوه المميزة لمقومات الأمة التي يتميز بها عن غيرها من الجماعات بما تقوم به من العقائد والقيم واللغة والمبادئ والسلوك والمقدسات والقوانين والتجارب ومن ثم فشكل مجتمع له ثقافته التي يتسم بها ولكل ثقافة مميزاتها وخصائصها التي تحدد شخصيتها وبالجملة فإن الثقافة « طريقة خاصة ، تميز أمة بعينها عن أمم أخرى ، ومعنى هذا أن الثقافة العربية الاسلامية تختلف عن الثقافة الغربية في أن مقومات كل منهما تختلف عن الأخرى .

فالثقافة العربية اللغة الإسلامية المصدر تستمد كيانه من الاسلام والقرآن واللغة العربية وتراث الادب المنزلة ، بينما تجد الثقافة الغربية (أياً كان نوعها غربية أو ماركسية) إنما تستمد مصادرها من الفكر اليوناني واللغة اللاتينية وتفسيرات المسيحية التي وصلتها ، — ومن هنا يبدو الفارق وأضحى بين مصادر الثقافات ، ويتجلى بوضوح دعوة النفوذ الأجنبي إلى ما يسمى بوحدة (الثقافة) العالمية ، ولوقبل وحدة (المعرفة) العالمية لكان ذلك مقبولا ، لأن المعارف تضم المعارف والعلوم العامة التي هي ملك للبشرية كلها ، ذلك أن الثقافات الإنسانية وخاصة ومتصلة بأعماقها لا تنفك عنها ، ومن أجل ذلك فهي لا تنحصر ولا تنزب في بوتقة واحدة ، ولكنها تتلاقى وتتمازج ، ويأخذ بعضها من البعض الآخر ما يضاد وجوده أو يتعارض مع الأصول الأساسية لمقومات فكره وكيانه وذا نيتته .

ومن هنا فالتنازع بين مطروح الغرب الفاسد في دعوته إلى أن تقبل الأمة

الاسلامية الثقافة والحضارة معاً ، ونحن لا نقبل ما يتعارض مع قيمنا ومفاهيمنا وأساليب عيشنا وهي دعوة مسمومة مضللة تستهدف تحطيم معنويات إمتنا وتدمير مقوماتها والقضاء على شخصيتها وهدم ذاتيتها ودفعها لأن تذوب في بوتقة الامة والعالمية فتفقد وجودها وتصبح غير قادرة على مقاومة الغزو والاستلاب .

وتختلف الثقافة العربية الاسلامية عن الثقافات الغربية الوافدة في جماعتها ونسكها فقد استقامت على كلمة الله الحق بالتوحيد واستمدت من القرآن الكريم قيمها الاساسية : عبادات ومعاملات واخلاقاً ، نظام مجتمع ومنهج حياة ، جامعة بين العقل والقلب ، والروح والجسم ، والدين والعالم ، والدنيا والآخرة .

ودلك بينما أن الثقافات الغربية تقوم على أساس الفصل بين الألهوت والحياة وعزل الامور الروحية عن الامور الجسدية ، وتقوم على الانشطارية في عالم الفكر والانقسامية في عالم الحياة كذلك فإن الثقافة العربية الاسلامية تقدم اولية الخلق على الجمالي وتوازن بين الروحي والمادى ، وتنسجم بضبط الرغبات الحسية والانسجام بين معطيات العقل ومعطيات الروح .

والثقافة العربية الاسلامية ليست شرقية ولا غربية ، وهي ليست مركبةا للثقافتين ولكنها ثقافة مستقلة لها ذاتيتها الخاصة ، استمدت وجودها من القرآن الكريم والاسلام واللغة العربية ، وقد قامت على أساس التكامل بين القيم وهي في هذا تختلف عن الثقافات الغربية التي تعلى من شأن المادى على الروحي وتفصل بينهما وتعلى من شأن الجمالى على الخلقى . وقد اذنت للثقافة الغربية الاسلامية بين جوانب العقل وجوانب الوجدان ورفضت أعلاء المعتزلة للعقل وأعلاء الصوفية للوجدان وحافظت على المفهوم المتكامل الجامع .

ثانيا: مناهج الأدب

إن خصائص الأدب العربي التي تميزه عن الآداب العالمية المختلفة في الشرق والغرب ترجع إلى البيئة التي نشأ فيها والفكر الذي تشكل في إطاره والتحديات التي واجهته في طريق مسارة الطويل . وقد أعطى القرآن الأدب العربي العامل الأعظم في ثباته وظهور فنونه وعلومه ومناهجه ، وهو الذي أغنى العربية بالأساليب والمضامين ، والأدب العربي لا يمكن أن يدرس في ضوء مناهج وضعت لأدب أخرى ، ذلك أن أساليب النقد والبحث إنما توضع للأدب بعد ظهورها ، ولذلك فهي مستمدة منها وليس العكس ، أن مذاهب الأدب التي يحاول النقاد محاكاة الأدب العربي إليها في جملتها مذاهب غربية وضعت مسمياتها ومناهجها بعد قيام ظواهرها في الآداب الأوروبية وهي في الحقي ليست مذاهب وإنما هي أسماء عصور كالكلاسيكية والرومانسية وغيرها وهي تتمثل في مجموعها بتاريخ الأسم التي وضعت هذه المذاهب ، فلماذا نقل لتكون قوانين يخضع لها أدبنا الذي يختلف في تكوينه وطابعه وتاريخه وبيئته ومظاهر حياته عن هذه الآداب ، أن اختلاف المصادر والمنابع بين الأدب العربي والآداب الغربية يجعل من العسير خدوع الأدبين لمقاييس واحده أو لقوانين واحدة ، والمعروف أن الآداب الغربية جميعا تستمد مصادرها من الأدب الهليني والفلسفة اليونانية والحضارة الرومانية فقد أنتجة الأدب الأوروبي الحديث منذ أول ظهوره في عصر النهضة إلى هذه المنابع وربط نفسه بها ، ولأريب أن الأساس التي تقوم عليه الآداب الغربية بمختلف فنونه وبيئاته تختلف أخلاقا وأضحا عن الأساس التي يقوم الأدب العربي الذي أستمد مصدره أساسا من القرآن الكريم والإسلام والقيم العربية الأصيلة التي تلاقت مع مفاهيم الإسلام وانصهرت معها .

وقد واجه الأدب العربي عدداً من النظريات الوافدة في مجال النقد الأدبي منها بعض الأدباء في نطاق الدعوة إلى تجديد الأدب العربي ، وقد خالفت هذه النظريات منطلق الأدب العربي وجذوره ، وعارضت ذاتيته الإسلامية للعربية الخالصة واصطدمت بمراجعة النفس والعقلي ، ومن هنا فقد سقطت وأحدة بعد

أخرى ، ولم نجد مجالاً للعمل والنماء والتشكل مع الأدب العربي ، ذلك أن هذه النظريات في أصولها قد إنطلقت من طوابع الأدب الأوروبية وذاتيتها وتشكلت وفق مضامين تلك الأدب وأعتمدت أساساً على النظريات التي بدأت في دائرة العلم الطبيعي ثم فرضت نفسها على الفلسفات والأدب وهي النظريات التي اعتبرت الإنسان حيواناً خاضعاً لظروف البيئة خضوع مختلف الأشياء لها ، وهي نظرية مادية خالصة لا تتفق مع روح الأدب الذي يقوم على أساس ترابط وأضح بين المادية والروحية وبين العقل والقلب والتي تعتمد قاعدة التوحيد الإسلامية أساساً لمنطلقها .

ويقوم منهج النقد الأدبي العربي (الحديث) الذي فرضه بعض الأدباء بعد الحرب العالمية الأولى على الأدب العربي على أساس مادي خالص فهو مبنى على أساس النظريات التي استمدت مناهجها من نظرية دارون في التطور وأصل الإنسان : هذه النظرية التي قامت في دائرة العلم الطبيعي ثم نقلها الفيلسوف هيربرت سبنسر إلى مجال المجتمع فطبقها على مبادئ الأخلاق ثم جاء برونتير الناقد الفرنسي فطبقها على الأجناس الأدبية ، هذا فضلاً عن المفاهيم التي أعتمد عليها دعاة المذهب الغربي في النقد الأدبي ، والتي استمدوها من برونتير هذا ومن تين وسانت بييف وهم يرون أن الإنسان ماهو إلا أثر من أثار البيئة بمضامها الاجتماعية الواسع وأنه لا يكاد يفرق عن النبات والحيوان في انقضاء الحول ولإنعدام الإرادة وما يتصل بهذا من أن الفضيلة والرذيلة ليست إلى حد كبير إلا نتاجاً لعملية تلقائية مثل الأحاسيس والقلويات فضلاً عما ترتبط هذه النظرة جميعها به من أثر نظرية النشوء والارتقاء من حيث إنزال الإنسان من مكان البطولة إلى مكان الحيوان الذي يعيش تحت رحمة القوى المحيطة به وقد نما هذه للنظريات الباحث الفرنسي اليهودي (دوركايم) ، من مفاهيمه التي تلقاها بعض أديبائنا هؤلاء في جامعة السربون .

وجعلوا من كل هذا الخليط أساساً لنظريتهم في النقد الأدبي التي جرى تطبيقها على المتنبي وأبن خلدون والمعري ثم جرى تطبيقها على الشعر الجاهلي وعلى أدب القرن الثاني للهجرة ، وكان لها ذلك الأثر العميق من التضارب الذي أصاب القيم م ٢٠ - طريق النهضة

الأساسة للأدب العربي والفكر الإسلامى والثقافة والتى ذهب الباحثون المسلمون فى تمقب أنارها قلم يصلوا إلى هذا المعنى إلا منذ وقت قريب - بين تبين محاولة إخضاع الادب العربى للمنهج الاجتماعى الذى رسمه دوركايم والذى يعترف بأن الإنسان حيوان لاجتماعى وإن مختلف قيم المجتمع ليسب أصيلة فيه ، والمنهج النفسى الذى التقطه الادباء من نظرية فرويد والذى يرى إن الإنسان عبد لشهواته وإن الجنس هو المحرك الاول لكل تصرفاته .

وقد غلب المذهب الاجتماعى على دراسات الادب والتاريخ ، وغلب المنهج النفسى على دراسات التراجم والشعر ، ومن هنا ظهرت تلك الاراء الغربية التى تمسك بها بعض الادباء والتى لا تفق من قريب أو بعيد مع مفاهيم الفكر الإسلامى والثقافة العربية الإسلامية .

وقد عارض كثير من الباحثين هذا المنهج الوافد فى نقد الادب العربى كذلك هناك خلاف عميق حول إخلافية الادب فقد كان من أبرز مادعا إليه المذهب الغربى فى الادب هو تحرير الأدب من طابع الأخلاق ودفعه إلى تصوير الفرائر والأهواء فى غير ما قيد وذلك باسم حرية الأدب التى أطلق عليها مصطلح الفن للفن ، وقد استهدفت هذه الدعوة التى أتت نطاشها وقامت من أجلها المناظرات والمحاضرات فضلا عن ذلك الفيض الضخم من القصص الفرنسيه المكشوفة التى جرى ترجمتها وتقديمها بأسعار زهيدة والقائما بين أيدى الشعب والقيبات استهدفت الاستخفاف بالقيم الأخلاقية والغمز لكل ما يتصل بالعقائد الدينية والسخرية بالفضائل والبطولات والدعوة إلى الإطلاق بدون حرج والمجراة على المقدسات بل أن ذلك قد جرى تطبيقه فى بيئات مختلفة منها بيئة العلم الأساسية وقد لقيت نظرية حرية الادب ومعارضة الأخلاق نقدا وإعراضا مصدره تعارضها مع طابع الادب العربى أصلا وكشف الباحثون عن أن حرية إبنى نواس وبشار لم يكن مصدرها الادب العربى أو مفاهيم الإسلام الاجتماعية وإنما مصدرها تطلعاتهم الحسية واهدافهم الشعوية إلى أردوا الجهر بها لهدم مقومات الادب العربى الأصيلة وأعلاء مفاهيم المحوسية والاباحية التى تنحدر منها الادب العربى بعد الإسلام .

ثالثاً : مناهج اللغة العربية

وأجهت اللغة العربية محاولات ضخمة من أساليب التغريب والغزو الفكري ،
رغبة في فصل اللغة الفصحى اللغة المكتوبة والفصل بين بيان القرآن الكريم وبيان
الكتابة العامة ، والهدف هو عزل القرآن الكريم عن الحياة الفكرية والادبية ،
على النحو الذي عزلت به السكتب القديمة عن اللغات والمعاصرة ، ومن ذلك الدعوة
إلى العامية ، فقد حرص عدد كبير من المشرقين أن ينصحووا المسلمين والعرب ،
بالنخلص من اللغة العربية كما تخلصت الشعوب الأوروبية من اللغة اللاتينية ، وتغليب
لهجاتهم في كل قطر حتى تصبح كل لهجة منها لغة إقليمية كما فعل الأوروبيون
باللاتينية حين أوردوها المتحف وإقاموا من لهجاتهم لغات هي الفرنسية
والانجليزية والألمانية الحالية ، ولطالما ألح بعض دعاة التغريب على هذا المعنى
فرددوه واتخذ به بعض كتاب العرب ، مع أنه ليس هناك شبه للمقارنة بل
هناك فوارق عميقة منها (أولاً) أن اللاتينية ماتت كلغة للشعب بموت الدولة
الرومانية وبقيت لغة الكنيست والعلماء ، أما الشعب فكانت اللغة على لسانه
تتكيف بتكيفات مختلفة حسب الامكنة أو الازمنة والعناصر .

وقد حاول الاستعمار والتغريب أن يقول بأن اللغة العربية لغة أمة هي
الامة العربية وإن كل قطر من شأنه أن يكتب لغته وإن هذا الامر يستدعي
أن يتناول هذه اللغة على النحو الذي يرضاه ويراه محققاً لهذه الغاية ، وطرح
القضية على هذا النحو يحمل طابعا خطيرا من التمويه والتزييف والتجاوز .

وقد يمكن أن يكون صحيحاً في أى بلد من بلاد العالم وفي مواجهة أى لغة
ولسكنه يصبح هسيماً جداً حين يطرح بالنسبة للغة العربية ، ولوان اللغة العربية لم
ترتبط بالقرآن والإسلام لكان يمكن أن يكون هذا القول فيه مجال للنظر .

أما وقد إنزل القرآن منذ أربعة عشر قرناً باللغة العربية فائشاً عالم الإسلام
الفكري والاجتماعي والديني فقد أصبح للغة العربية وضع مختلف لاشبية له في
أى لغة أخرى ؛ إذ لم يعد للعرب وحدهم حق التصرف في اللغة العربية ولم تعد
اللغة العربية لغة إقليمية تخص قطراً بل لم تعد الامة العربية نفسها مطلقة الارادة

في التصرف فيها هذه هي الحقيقة التي واجهت محاولة التغريب والغزو الثقافي منذ قام وانكوكس في مصر وماسنيول في الشام وكولان في المغرب ثم تابعهم بعد ذلك سلامة موسى والحدودي مارون غصن ولويس عوض وغيرهم بهجمة اللغة العربية .

وقد حورت اللغة العربية الفصحى منذ وصل الاحتلال الغربي إلى بلاد الإسلام حوريت في البلاد الإسلامية نايقافها وتنمية الهمجات القديمة واللغات الغربية فكل مستعمر قد عمد إلى فرض تعليم لغة ، أما في البلاد العربية فقد حوريت اللغة العربية بحصرها في الجوامع والاستعاضة عنها بالعامية الدراجة ، وكذلك جاءت الدعوة إلى إلغاء الحرف العربي والاستعاضة عنه بالحروف اللاتينية وجرت حملة واسعة بالأدعاء بهجز اللغة العربية عن إداء مهمتها إزاء المصطلحات الحديثة وصعوبة تعلمها وتعاملت الأصوات بالدعوة إلى عصر اللغة العربية وأدخال الكلمات العامية إليها وقد تصدى لهذه الحملات عدد كبير من المفكرين المسلمين والعرب في مقدمتهم علي يوسف وهصافي صادق الرافعي وأحمد زكي الملقب بشيخ العروبة وعبد العزيز جاویش وعبد الدين الخطيب والدكتور محمد حسين وكشفوا زيف هذه المحاولات كلها وأبانوا عن مقدرة اللغة العربية ومرونتها وعارضوا كل هذه الشبهات .

ومن هذه الدعاوى المسمومة دعوى « تطوير اللغة » وهناك من يفهم هذا فيقول :

أنه تطوير الفصحى حتى تقرب من العامية لا العكس الذي إلهو من الأمور الطبيعية وإنما يعني أصحاب هذه الدعوة المريبة التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو تزيد فإذا تحللتنا من القوانين والأصول التي صانت لغتنا خلال هذه القرون المستطاوله كان منيعة ذلك تبليبل الالسنه وتوسيع رقعة الاختلاف بين الاقطار العربية حتى تصبح عربية الغد شبيهاً بتختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الأول أو عربية اليوم ، وتصبح قرله القرآن

والتراث العربي والإسلامي كله متعذره على غير المتخصصين من دارسي الآثار ومفسري الطالاسم .

كذلك فلا بد من الإشارة إلى محاولات النفوذ الأجنبي لمقاومة نمو اللغة العربية .

والنسكين للغات الأجنبية : الفرنسية والانجليزية على الخصوص فقد قطع الاستعمار الغربي الطريق على توسع العربية بين مسلمي العالم حيث كان من الطبيعي أن يمتد بامتداد الإسلام إلى مختلف المناطق بحسبانها لغة الثقافة والدين .

رابعاً : مناهج التاريخ

إن أخطر ما واجه كتابه التاريخ في مرحلة الاحتواء والتغريب تلك المحاولات الوافدة لتفسير تاريخ الإسلام من خلال نظريات وضعية تطابق مع أيديولوجياتها وبيئاتها ولبرز ذلك لتفسير الغربي اللبيرالي القائم على الفردية والحرية والنظرة الاستهلاكية والتفسير الماركسي القائم على النظرة المادية وكلا النظريتين قاصرة وغير صالحة للتفسير التاريخ الإسلامي الذي تقوم وقائمه على مفاهيم مختلفة تماماً عن مفاهيم المادية والفردية والتي تستمد روحها من الإيمان العميق بالله والتصهبة في سبيل العقيدة وبذل النفس رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله .

ذلك إن الإسلام الذي يقوم منهجه على تكامل الروح والمادة ، والحياة والموت والدنيا والآخرة والنفس والجسد ، والثواب والمتغيرات والسكلى والجزئى ، لا يمكن أن يفسر بمنهج جزئى إنشطارى كمناهج الغرب ، سواء كان مادياً أو روحياً خالصاً .

ولذلك فإن هذه المحاولات كلها التي تحاول أن تضع الإسلام في صف الديمقراطية مرة أو الاشتراكية مرة أو الحرية مرة ، كلها قاصرة فالإسلام له ذاته الخاصة وتكوينه الجامع المنفرد الذي قد يلتقي ثمة مع جانب من هذا

أو ذاك ولسكنه إن يكون إلا هو وحده الذى تعجز المناهج المادية ونظريات التفسير الجزئية عن إستيعابه وفهمه .

ولقد أوجه التاريخ (الإسلامى) حملة ضخمه من حملات التعريب والغزو الثقافى تستهدف إلى أثاره الشبهات والشكوك حوله ، بهدف وضعه موضع الازدراء والانتقاص ، فى نظر أهله ، وحتى يفقد أهميته من حيث أنه قوة أنبعاث وبقظة .

وكان هدف التعريب ولا يزال ينصب على (إختلاق تاريخ إسلامى منفرد) .

حتى إن ينتزع من المسلمين ثقتهم فى ما ضيهم الفاجر ومن أنفسهم كسليين ، ويسلخهم من تراثهم الفكرى وتاريخهم الإسلامى فيصبحون بلا ماض فتضعف معنوياتهم ، وبذا تسهل السيطرة عليهم فكرياً وثقافياً ، مقدمه للسيطرة عليهم عسكرياً واقتصادياً ، وقد جرت المحاولات لاحتلال مناهج الغربى فى تفسير التاريخ الإسلامى بدلا للدراسات الإسلامية وفرضت كتب التاريخ الغربى فى المدارس والجامعات وجعلت مناهج الغرب فى دراسة التاريخ هى الجواز إلى تخريج المؤرخين العرب والى صدارتهم .

وقد امتلات هذه الدراسات بالتطاول على أعلام الإسلام وقادته وتوابعه والتشهير بمؤلاه العظام فى كل عصر ، عن طريق تزيف طائفة من الأخبار المشكوك فيها والقصص والاعتماد على مصادر غير أصيلة أو مطعون فى صحتها لا لتماس هذه الشبهات حول بطولات رجال التاريخ الإسلامى ، وأباح بعض المتصدرين فى الجامعات ، للخيال أن يذهب مذهبه فى ابتكار الصور التى تقرب للناس حقائق التاريخ ، وبذلك جرى تصيد الروايات من هنا وهناك لمحاولة دعم لإراء محرفة معدة أساساً لاثارة الشبهات وما تزال هذه المحاولة تتخذ للتأمر على التاريخ الإسلامى قديماً وحديث .

فقد أشار الشيخ أبو بكر بن العربى فى كتابه (العواصم من القواصم) إلى هذه المراجع المشهورة حين قال : انحنوا من المنسوين والمؤرخين وأهل

الأدب فأنهم أمل جهالة بحرمات الدين وعلى بدعة مصرين فلا تبالوا بما رويوا ولا تلقوا رواية إلا عن إمامة الحديث :

وثمة خطر آخر خطير وأجة التاريخ الإسلامى فى العصر الحديث :

ذلك هو مفهوم التاريخ فى الفكر الغربى ، فقد ظهرت عدة تفسيرات تحاول أن تفرض نفسها على فهم التاريخ منها التفسير الجغرافى ، والتفسير البيولوجى والتفسير الاقتصادى والتفسير الاجتماعى والتفسير الدينى .

وقد حاول كل من الباحثين أن يؤكد تفسيره وتغلبه على كل العوامل ويرى البعض أن العامل الجغرافى هو العامل الأول لإعتقاد على التضاريس الأرضية ومصادر الثروة وتوزيع الحياة والأحوال الجوية ويرى غيرهم أن أثر الوراثة هو العامل الأوحد أو الأهم .

ويريد آخرون أن عامل البيئة هو القوة المؤثرة فى حياة الناس .

ويريد ماركس : إن العامل الاقتصادى هو العامل الأساسى فى حركة التاريخ .

ويريد توينبى (التفسير الاجتماعى والحضارى) أن مواضع التاريخ الصحيحة هما المجتمعات الإنسانية ومدنيتها لا الشعوب والأقطار ، ويرى فرويد أن العامل الأساسى ليس سوى أزمت نفوس الأفراد التى دثت إلى الانقلابات الهائلة فى التاريخ ويرى أصحاب نظرية التفسير البيولوجى للتاريخ : أن التاريخ سيتناول حياة الإنسان من حيث هو إنسان ويتمحور فى أثر الزمن فيما هو إنسانى بمحت والبيولوجيا هى تبحث عن أثر الزمن فى السكائنات الحية من حيث النمو والانحلال والتطور وهناك تفسير هيجل السياسى ، وكل هذه النظريات مجرد احتمالات وفروض ، ونظرات محدودة قاصرة ، ومركزة على جانب واحد ، ولعلها جميعا تمثل مجموع العوامل المؤثرة فى التاريخ على أقدار قاصرة وأدوار متفاوتة ، ولقد عجزت كل نظرية من هذه النظريات فى أن تحقق الغرض أو أن تثبت سيطرتها بمفردها على تفسير التاريخ .

أما مفهوم الإسلام لتفسير التاريخ فهو لا يأخذ بعامل واحد من هذه العوامل

ولم يكن مفهوم جامع يستمد طابعه الأساسي من الفهم لإرادة الله العليا المحيطة بالسكون والأشياء وبالأرباط الوثيق بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة وبين إرادة الإنسان ذات الأثر الجوهري في التعبير وبين العوامل المادية والروحية والنفسية جميعاً ، فليس لعامل واحد مهما كان قدرة الانفراد بالتأثير وترى النظرية الإسلامية أن العوامل المعنوية : روحية وأدبية ونفسية لها آثارها للتعبيرية التي تزيد كثيراً عن العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي يركز عليها الفكر الغربي في مرحلته المادية التي يعيشها في هذه القرون .

خامساً : مناهج العلم

حاولت أطروحات الفكر الغربي الوافد أن تفسد مناهج المسلمين للعلم من خلال محاولات كثيرة قائمة على المغالطة والانحراف :

أولاً : ادعى الغربيون أن المسلمين لم يقدموا إلا ترجمات العلوم اليونانية إلى الغرب وأنهم لم يكن لهم دور حقيقي في بناء منهج العلم الحديث وكانوا في ذلك متعسفين لإزاء الحقيقة التي يعرفها العالم كله وهو أن المنهج العلمي التجريبي أنشأه المسلمون وأنه نشأ في أحضان الإسلام وقام على مفهوم القرآن :

« قل أنظروا ماذا في السموات والأرض ،

« قل هاتوا برهانكم ، « أن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ،

ثانياً : حاول الغربيون طرح مفهوم مادي للعلم ينسكرك خالق السكون وصالع الحياة — جل شأنه — والوقوف عند المحسوسات وإنكار ما وراءها من دين وغيبات ووحى رسالات السماء واعتبار ذلك كله من الوهم الذي يغرق فيه الجهلاء .

واستعمل مفهوم العلم المادي علواً كبيراً حتى ادعى أنه يستطيع أن يفهم الحياة وأن يحكم الحياة ثم لم يلبث العلم أن تحطمت في وجهه هذه الزهوة الكاذبة حين هجر من فهم كنه الحياة فعاد العلميون بقررون أن العلم يقف عند تفسير ظواهر

الاشياء وقرر العلماء أن العلم إنما يقدم مجموعة من الفروض الظنية لتفسير الطبيعة .

ثالثاً : حاول الفلاسفة أن يقدموا للبشرية مناهج إجتماعية ولادولوجيات سياسية واقتصادية على أنها نظم وتشريعات تحل محل الدين وقد تبين فساد هذه المناهج وعجزها عن تحقيق إقامة المجتمع السليم ، وبان عوارها ، ولم تلبث أن احتاجت إلى الإضافة والحذف ثم كشفت الأيام عن أنها تحمل أهواء البشرية وأنهما لا يستطيع أن تسامى المنهج الرباني .

رابعاً : انحرف العلم عن الطريق الصحيح في تجريته الحضارية المعاصرة ، واتجه نحو أمرين غاية في الخطورة أولهما الإسراف في الاستهلاك وتحويل الموارد الضخمة من المعطيات والموارد إلى أدوات التجميل والتحلل والفساد ولتترف فكان ذلك من أخطر عوامل إهدار وتبديد الثروة البشرية .

ثانيهما : إتجاه العلم إلى صناعة أدوات التدمير والقتل والإبادة والتوسع في مجال القنابل الذرية والهيدروجينية وبذلك أصبح العالم عرضة للدمار .

ثالثهما : وضع مقدرات العلم المادية الواسعة في أيدي الدول صانعة الحضارة وحرمان الأمم الأخرى منها خاصة وأن المواد الأولية لهذه الصناعات والاختراعات صادرة عن البلاد المختلفة وقد استطاع النفوذ الاجنبي نهب هذه الثروات بأقل الاتمان وحرمان أهلها منها وإعادة بعض منتوجاتها إلى هذه البلاد بأغلى الاتمان ، كذلك فقد سيطرت الدول الكبرى على المواد المالية الناتجة عن مصادر الثروة والاحتفاظ بها في مصرفها دون أن تتمكن هذه الدول من إقامة صناعات بها في بلادها .

خامساً : كان لفتوحات العلم أثرها البعيد في الفسكرك الغربي وبانغ هذا الاثر غاية في الادهاء بقدره العلم على القضاء على الدين وإعطاء الطبيعة موضع الله سبحانه وتعالى من أسباب الإرادة والقوة والحركة ، فاخفى بذلك تماماً من افق العلم وأبحاثه ونظرياته : الصانع الاكبر والمخالق الاول الذي خلق من العدم

ومن غير مادة موجودة ، وكان لهذا آثاره العامة على الحضارة والمجتمع والحياة حين أعلى شأن العلوم المادية مع القديس العقل وتاليه الطبيعة بينما تراجعت العلوم الإنسانية في كل ما يتصل بالنفس والروح والمعنويات والدين والأخلاق وكان هذا من أكبر وأخطار التي واجهت العالم المعاصر وسرما أطلق عليه أزمة الإنسان الحديث .

وكان من أخطر نتائج هذا الاتجاه المظلم محاولة تفسير العلوم الإنسانية بالأساليب التجريبية أو تطبيق تجارب الحيوان على الإنسان وقال الباحثون أن جسم البشرية قد تضمضم تضخما خارقا للعادة ، بينما إنكمش عقل البشرية وروحها فلا تستطيع فهم الحياة .

وقد تأكد الآن أن العلوم الإنسانية لا تفسر بالمذاهب المادية وأن العلم عاجز عاجزا كاملا عن القضاء على الدين وقد أكد الدين الحق أنه هو الذي يستطيع أن يضع الإطار الأخلاقي للحياة والعلم ، ويرسم المنهج الذي تقوم عليه العلاقة بين الله تبارك وتعالى وبين الإنسان .

وقد أقام الإسلام منهج العلم ومنطقه من حرية البحث والتجربة على أساس الأخلاقية : أخلاقية القيم والنقوى الربانية حتى لا يستعمل بنفسه أو تستغل به طائفة من الناس فيهددوا البشرية أو يحرموها ثمرته ، وحتى لا يكون أداة لآبادة الأمم أو إثارة القلق والاضطراب في المجتمعات .

سادسا : منهج الفلسفة

لم يقف الفكر الاسلامي أمام علوم الامم الا اذا تعارضت مع مفهوم التوحيد وعندما ترجمت الفلسفات القديمة من آثاره اليونان والهنود والفرس وهي تشمل العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية وما يسمى فلسفه الالهيات فإن هذه الاخيرة هي التي حدث الخلاف بشأنها بين الاسلام وبين الفلسفات الهلينية والغنوصية على السواء لانها عجزت تماما عن ان تصل إلى تحديد الصلات بين الله سبحانه وتعالى وبين الكون والبشر على نحو صحيح ، فكان هناك القول بالتعدد في الفلسفه الشرقيه والقول بان الله (جل شأنه) لا يحيط علما بالجزئيات تعالى الله عما تقولون علوا كبيرا لذلك عجزت عن أن تفهم أن العالم مخلوق لله فقالت بقدم العالم وعجزت عن تحديد علاقه بين الله سبحانه وتعالى وبين العالم وقالت بوحدة الوجود وأن الله سبحانه حال في الكون وهذه كلمه تتعارض مع فكره التوحيد الاساسيه التي جاءت بها الاديان لذلك عجزت عن فهم النبي فقالت بالدهرية وانكرت بعث الاجسام وكما قالت الفلسفه يحنمية ارتباط السبب بالمسبب وجهلت قدرة الله تبارك وتعالى على خرق الاسباب ، وعندما نقلت الفلسفات الشرقيه والغريبه إلى افق الفكر الاسلامي جرت المحاولات في اذائتها في مفهوم الاسلام ولكن هذه المحاولات عجزت بنتجه الفساد الجندري مع مفاهيمها ومن هنا كانت ردود الفعل الاسلاميه على ماخالفت فيه الفلسفه مفهوم التوحيد وكذلك اختلاف مفكرو الاسلام وعلائه وفقهائه مع الفلسفه في مسائل كثيرة واهمها مسائل الاخلاق فانكروا المذاهب الابيقورية وانكروا الاديان الوضعيه التي تقوم على الاداب الاخلاقية منفصلة عن عقيدة التوحيد كالبوذية وانكروا مفهوم الفناء الذي جاءت به الفلسفات الهنديه .

ومفهوم النفس الذي الذي يعتزل الحياة وانكروا التناسخ والحلول والاتحاد ومشاعبه الملك للنساء والاموال وانكروا اعلاء العقل وإفراذه

بالنظر كما انكروا افراد الحدس والوجدان بالنظر ، وعارضوا
المثل الاعلى اليوناني الذي يقوم على الجمال والعري والاباحية وعباده قوة
الاجسام وتآليه الابطال وانكروا اللاادرية والشك الهدام .

وكان هذا هو موقف الاسلام من الفلسفة عندما ترجمت في القرن
الثالث الهجري فقد رد منها الفلسفة الالهية التي تسمى علم الاصنام وقبل منها
الفلسفة الرياضية والطبيعية وقام علماء المسلمين ينكرون هذه المفاهيم
ويعارضونها وفي مقدمتهم أحمد بن حنبل والشافعي والغزالي وأين نتيجة
بما يكشف أن للإسلام منهجه الفكري الاصيل والمستقل والمتميز عن
المفاهيم الفكرية الأخرى ؛ وكيف أن الإسلام لم يقبل التبعية لأي منهج
فكري آخر فضلا عن الفوارق العميقة بين منهج حضارة اليونان القائمة
على الوثنية وعبودية الفرد والاباحية ، فكيف يمكن لحضارة الإسلام
القائمة على التوحيد والاخاء البشري والمستولية اخلاقه أن تقبل
منهج اليونان .

ولما جاء الفيلسوف الاجنبي إلى عصر والعالم الاسلامي وكان من أخطر
مخاطراته طرح مفاهيم الفلسفات اليونانية والحلينية والفروصينة مقدمة للفلسفة
الحديثة جاء المستشرقون إلى الجامعة المصرية القديمة ليعلموا أن الفلسفة العربية
ليست الا الفلسفة اليونانية مكتوبة بالعربية ، وكان تركيزهم على السكندري
والقارابي وابن سينا وما كان هؤلاء الا تلاميذ للمدرسة اليونانية وجاء
أطفي السيد فترجم باسمه أبرز كتب ارسطو واستعملت الدعوة إلى أن
(ارسطو) هو شيخ الفلسفة والمعلم الاول للمسلمين ودعا لطفي السيد المسلمين
والعرب إلى إتخاذ ارسطو وفلسفته منطلقا إلى النهضة الجديدة وكانت كتابات طه
حسين وخيره من بعد دهوة ملحة إلى هذا الطريق والحقيقة أن ارسطو
لم يكن منطلق النهضة الغربية المعاصرة في عصر النهضة أو ما بعدها ،
ذلك أن أول عمل قامت به هذه النهضة هو نقض ارسطو وتزييفه والحيلة
على منهجه مع اعتبار منهجه عامل التجميد الذي عاش فيه الغرب معقلا قرونا
حتى جاء منهج التجريب الاسلامي الذي أطلق الطاقات إلى عصر العلم الحديث

ولقد كان علماء المسلمين انطلاقاً من القرآن الكريم هم الذين إنشأوا المنهج العلمي التجريبي الذي كان أول حجر في بناء الحضارة والعلم الحديث بشهادة (درابر وبريفولت وجوستاف لويون) في القديم وسارتون وهو نيكوجارودي وغيرهم في العصر الحديث وما صدر في هذا الشأن كتاب عنوانه (شمس الله تشرق على الغرب) وكتاب (أوروبا أدت في آسيا) إذن فلم يكن لطريق السبيل صادقاً في دعواه ولم يكن طه حسين أميناً حين نقل إلينا هذا المعنى ، ذلك أن المسلمين نقدوا أرسطو منذ عصر الترجمة وما نقده به الغربيون كلن بعض ما قاله المسلمون وقد رفض الغربيون أرسطو كقائمة لرفض أريجانون اليونان وقبول المنهج التجريبي الاسلامي الذي رفعهم إلى ذروة التكنولوجيا الآن وصدق الدكتور محمود قاسم حين قال :

لقد نقلوا المسلمين إلى أرسطو ونقلوا أنفسهم إلى منهج المسلمين ذلك أن أرسطو هو الذي سيضع المسلمين مرة أخرى داخل القوقعة المنطقية التأملية المغلقة ويحرمهم من ثمرات التجريب الذي أنشأه ونمسه العرب والمسلمون .

سابعاً : منهج الفن

يقوم المفهوم الاسلامى للفن على استحاله التناقض مع الفطرة ، فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب الاتخالف أو تناقض دين الاسلام فى شئ ، فإذا خالفت الفنون الدين فى أصوله ودعت صراحة أو ضمناً إلى رؤية من أمهات الرزائل التى جاء الدين لمحاربتها وعاقبت الإنسان عن أن يعمل بالفضائل التى جاء الدين لايحاجها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقى فى النفس والروح إذا خالفت لفنون الدين فى شئ من هذا أو شئ غير هذا فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت القطره إلى التى قطر الله الناس عليها - هذا هو الفن كما عبر عنه الدكتور محمد أحمد القمراوى ومفهوم الفن فى الاسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر الفكر يتكامل مع والادب الإجتماع والاخلاق والدين والحضاره وهو فى الاسلام له طابعة الاصيل الواضح المبين لمفهوم الفن فى الطاقات والحضارات الأخرى : قوامه الاخلاق وطابعه التوحيد يتساقى بالمرائر ويرتفع بالنفس الانسانية إلى السكمال دون أن يبتعد عن الواقع - والفن فى نظر الاسلام أداة لتجميل الحياه ووسيلة الاسعاد الروحى والنفس يتحرير الانسان من عالم الاهواء والعزائر ، وإطلاقة فى نظرة حرة إلى السكون والوجود يعرف منها قدره الله تبارك وتعالى وعظمه ويزود بها ايماناً .

غير أن النفوذ الاجنبى الذى أظل البلاد الاسلاميه ، حاول أن يزيّف مفهوم الفن العربى الاسلامى بادخلال مفاهيم الوثنيه والماديه التى عرفها الفن فى الغرب فقد كان الفن اليونانى بطابعة المادى والوثنى يجعل الأولويه للتماثيل المسيحيه أعجاباً بالاجساد وعبادة لصور الجمال ومظاهر القوة ولمكن الفن الاسلامى مستمداً من مقوماته الاساسيه يجعل البيان والشعر والادب فى مقدمة الفنون ، الكلمه البليغة والتسكيره الموحية ، وذلك انتقالاً بالانسان

من عالم المادة إلى عالم الفكر ، فالنامل أوسع العوالم والتفكير في خلق الله اعظم معطيات العقل والروح : (نون والقلم وما يسطرون) وبذلك أصبح رائد الفن : البيان الذى يتمثل في اسمى صورته بالقرآن الكريم وبذلك دفع الاسلام الفكر البشرى إلى الامام إنتقالا من مفهوم الماديات إلى مفهوم المعنويات ، وسلك المعنويات والماديات اطار جامع متكامل . وبذلك فقد حرر البشرية من مفهوم المادية الخالصة التى تقدر الجسد والشهوات والغرائز والوثنيات وتقيم لها المهرجانات والطقوس ودفع البشرية إلى الانتقال من تجسيد البطولة في صورة مادية إلى تكريم عمل الإنسان نفسه .

وأبرز سمات الفن في الفكر الغربى لا تجد في مجال الفكر الاسلامى مجالا لها ، فالاسلام لا يقر الصراع بين الالهة والإنسان أو بين القدر والإنسان على النحو الذى يقوم عليه الفن الغربى ، ولا يؤمن المسلم بأن الإنسان يثبت ذاته بمصارعة القدر والالهة ولا بأن البطل الصالح يتحطم في يد القدر والالهة وكل هذه المعاني المأساوية مستمدة من فكرة (الخطيئة) الاصلية ، كما أن المسلم لا يؤمن بتعدد الآلة ولا بتجسيد الآلة في صورة وشن حسى ملموس كالتماثيل العديدة في العقائد الغربية في ذلك الخلط العجيب بين المسيحية والهلينية - كذلك فإن المسلم لا يعبد الجسد ولا أى نوع أى من العبادات الوثنية التى يقدم لها القرابين وكل ما يتصل بذلك من أساطير الجسد والجمال عند الاغريق وهى خافلة بالمبازل لا تجد في افق الإسلام قبولا ، المسلم لا يؤمن بعبادة الطبيعة أو المحسوسات ، كذلك فإن الإسلام لا يقر تجسيد البطولة في صورته مادية ليس فقط حفاظا على مفهوم التوحيد من خطر الاتصال بالتماثيل والاصنام التى كانت تمثل عبادات ما قبل الإسلام ، ولكنه ارتقاعا بالفس الإنسانية من أن تتمثل في مفهوم مادى ، بينما جاء الإسلام محرراً للبشرية من التجوئة بين الماديات والمعنويات .

وهكذا حقق الفن الإسلامى مذهبا جديدا مستمدا من حقائق الإسلام
 فكان فنا منطلقا وتحريدا معبرا وليس جامدا ، وأن المرقشة فى الفن
 الإسلامى حيث لا مبدأ لها ولا منتهى ، إنما تمثل مفهوما من مفاهيم
 التوحيد لأنها تسمى وراء الله (تبارك وتعالى) الذى هو الأول والآخر
 ومنه تبدأ الأسباب واليه تنتهى المسببات ، والرقش حين يمتد بلا نهاية
 إنما يسمى وراء الصورة للثلى وهذه اللانهاية إنما تحمل دلالات هامة
 للروح الإسلامية التى أمنت بالله تبارك وتعالى غير المنظور وغير المحدود
 والمضى إليه انجذبت قلوب المؤمنين لترتفع إلى مستوى هذا المثل الأعلى
 عن طريق العمل الصالح أو طريق الاجتهاد والابداع .

وهكذا نشأ الفن الإسلامى من حقائق الإسلام
 فكان فنا منطلقا وتحريدا معبرا وليس جامدا ، وأن المرقشة فى الفن
 الإسلامى حيث لا مبدأ لها ولا منتهى ، إنما تمثل مفهوما من مفاهيم
 التوحيد لأنها تسمى وراء الله (تبارك وتعالى) الذى هو الأول والآخر
 ومنه تبدأ الأسباب واليه تنتهى المسببات ، والرقش حين يمتد بلا نهاية
 إنما يسمى وراء الصورة للثلى وهذه اللانهاية إنما تحمل دلالات هامة
 للروح الإسلامية التى أمنت بالله تبارك وتعالى غير المنظور وغير المحدود
 والمضى إليه انجذبت قلوب المؤمنين لترتفع إلى مستوى هذا المثل الأعلى
 عن طريق العمل الصالح أو طريق الاجتهاد والابداع .

الباب الثامن

إقتحام العقبات

كان هدف خطط الغزو الفكرى والتغريب الذى نسجه القوى الكبرى حين زحفت للسيطره على العالم الإسلامى فى جولة جديدة بعد أن انتهت بالهزيمة الساحقة فى الحروب الصليبية ، والحيلولة دون قيام الامة الإسلامية فى القارة الإسلامية بامتلاك ادارتها وبناء مجتمعا وإستئناف بعثها الحضارى والثقافى وكانت الخطة محبوكه معقدة متصلة الأواصر ، على النحو الذى كشفت عنه حلقات هذا البحث وكانت القوى الكبرى تعرف تماما :

أولا : أن الحضارة الغربية شاخت ونضب معينها وانحرف طريقها .

ثانياً : أن هذه الامة القائمة فى القاره الوسطى بين آسيا وإفريقيا هى الامة التى تملك مقدرات الحضارة والنهضة وإقامة المجتمع الإنسانى الكريم .

ثالثا : أن هذه الامة تملك المنهج الربانى الأصيل الذى لا ينحرف ولا يضطرب والذى يقيم العدالة والرحمة والأخاء البشرى للعاملين .

رابعا : أن هذه الامة تملك مصادر الترواث الكبرى وتملك الطاقه وتملك التفوق البشرى .

خامسا : أن الإسلام والتحديث لا يتناقضان ، وإنما يرفض المسلمون التغريب والتبعية والاحتواء والانصهار فى بوتقه الحضارات القائمة .

سادسا : أن الصحوه الإسلامية القائمة الآن هى حركة حقيقه ذات جذور عميقة وإنها نابعة من الرغبة فى إمتلاك الإدارة وإقامة المجتمع الإسلامى وإنها لا تشكل تهديدا للعالم غير الإسلامى .

سابعا : أن الغرب ينطالع البعض إلى أفق جديد ويطالب بنظام عالمى جديد بعد إعلان فشل النظام الليبرالى الغربى الاشتراكى والماركسى والشيوعى وليس هناك غير الإسلام .

وهذه الحقائق ترددها الآن جميع الأفلام الغربية المنصفه التى عاشت فى قلب المعركة ، بل أن هذه الحقائق وغيرها وقد دفعت عدداً من

المسكرين الغربيين الذين كان لهم دورهم الخطير في التحولات الرأسمالية والماركسية وغيرها إلى اعتناق الإسلام باعتباره هو الملجأ الوحيد للبشرية .

ولكن هناك قوى غربية لها أهداف ومطامع تحاول أن توقف هذا التيار وتصد هذه الموجة العارمة وتعمل على تأخير نهضه ومحاولة تحطيم إمتداداتها حتى تحتوى مفاهيم الإسلام في المقاومة وجهاد الغاصب والمرابطة والأعداد واليقظة في مواجهة أى عدو أو دخیل .

وهي تعمل ببيت عوامل الفساد والاباحة والتحلل والترف والحرام على هدم هذه الاجيال الجديدة وتفريقها من القدرة على المقاومة والثبات وحماية الزمار ، حتى يمكن تحطيمها والقضاء عليها .

وهناك ظاهرة استنزاف ثروات المسلمين عن طريق الاستهلاك والمغالة في المطاعم والمشرب والملبس والمخاقل والمراقص والفساد فضلا عن نهب ثروات المسلمين وتخريب اقتصادهم بأحتوائه والسيطرة عليه .

ولاريب أن هذه المحاولات كلها ترمى إلى تهدير المجتمع الإسلامى والاقتصادى الإسلامى وإزالة الهوية الإسلامية والقضاء على الذاتية وغرس قيم دخيلة في نظام القيم السائدة في المجتمع وفرض أعراف مغالطة للإسلام على الناس في طعامهم وشرابهم وملبسهم ومسكنهم ، وأخراجهم من قيمهم وأعرافهم وتقاليدهم التى بناها الإسلام في أربع عشر قرنا وهذا فضلا عن ضالة الجحيم الذى يتحول فيه التوجيه الإسلامى حيث لا تنفس له في الصحف المسامات الكافيه ، ولا بتجاوب دعوته مع التيار العلمانى المسيطر والذى لا يريد مهاجمة فساد الأخلاق وانحراف المجتمع لأنه هو الذى يغذيها عن طريق القصة والمسرح والأغنية مع استغلال ظاهره الانحراف الفردية لاضفاء ظلها على المجتمع كله .

ومن ذلك ما يذمه الشغبويون والتخريبيون من سموم وشبهات ترمى إلى تغيير الهوية الإسلاميه واسلام وجدان الامة وعقليتها إلى الاستفراج

ومن ذلك قول أحدهم أن الحضارة الإنسانية حضارة واحدة وأن التمسك بالماضي يحول دون مواجهة تحديات العصر بهدف أن يظل المجتمع الإسلامي مجتمعا تابعا لإستهلاكيا فقط لأنناج الغرب المتقدم .

وهم يحاولون اتهام [العودة إلى المنابع] بأنها ترمى إلى الرؤية السلفية ويريدون بالسلفية في العصر الحديث ما كان يريد بها طه حسين حين تحدث عن القديم وغيره عن التراث وغيره عن الرجعية ولكنها مصطلحات تخفى وراء الهجوم على الإسلام علانية .

والحقيقة أن هناك هوية إسلامية تجمع المسلمين في جميع أنحاء العالم ، هذه الهوية ترتبط بالثوابت في فكر الإسلام وعقيدته لأنها تعمل على أساس ثابت وهي ليست إسلامية بمعنى أنها دينه على مفهوم الغرب فالإسلام دين ونظام معا في آن واحد وأن الاختلافات التي يدعون أنها تحول دون ثبات الهوية مع العصور أو البيئات هي خلاقات فرعية قليلة لا تزيل (الأصول) الكبرى التي رسمت ضمير الأمة الإسلامية ووجدانها وعقلها خلال أربعة عشر قرنا وأن نظرة متعمقة في الثقافات الإسلامية الموجودة في الهند وأندونيسيا وغرب أفريقيا لا يوجد بينها تباين حيث أنها من حيث الأساس مرتبطة بالقيم الإسلامية الأساسية أما أوجه الخلاف فهي من المسموح به في دائرة المتغيرات وهي تنصل بالجغرافيا أو عوامل المناخ أو بعض الآثار التاريخية القديمة وهي خلاقات قليلة لا تغير من الملاح العامة الأساسية وهي ضرورية لأنها تدخل في إطار المتغيرات وهي ليست هوية دينية بمعنى الدين في الغرب ولكنها هوية إسلامية بمعنى المفهوم الإنساني الشامل أن الانتهاء في مفهوم الإسلام هو المحافظة على اللغة والعقيدة والمقومات الاجتماعية من أن تنهار في وجه المتغيرات التي تقدمها الحضارة الغربية التي ترمى إلى احتواء المجتمعات الإسلامية وتذويبها في بوتقة الإمبريالية والعالمية .

نعم لقد تراجعت الرابطة الدينية في العصر الحديث أمام رابطة الجنس والوطن واللغة ، بدأ هذه التراجع في الغرب ثم حملت رياح التعريب والغزو الفكري هذا المفهوم إلى المجتمع الإسلامي الذي تغرب وفرضت عليه العلمانية ومفاهيم الفصل بين الدين والروح والمادية والوثنيات والقانون الوضعي والاقتصاد التربوي والتعليم العلماني .

كان هذا التراجع في الغرب ناتجا من الانحراف الذي عجزت به المسيحية الغربية - وهي غير المسيحية المنزلة - من دفع المجتمع إلى العلم أو الحضارة أو التقدم وفرضت نفوذها وسيطرتها على المجتمع الغربي وعزلت الطوائف غير المسيحية فكان لابد أن ينكر هذا القيد أمام طبيعة المساواة البشرية التي أصبح الدين بعنصريته هذه حائلا دون إهلاك الإرادة الحرة أما في الإسلام فالامر يختلف إذ أن العلم والرابطة القومية والوطنية جزء منه كما أنه إقام نظام الاخاء البشري لكل بني الإنسان وحمى الاديان والعقائد وأهلها ويجمعها وكنائسها ولم يقف في طريق العلم ولكنه دفعه إلى الامام وجعل خير الارض للناس جميعا ولم يجعل للجنس ما يستغلاء خاصا أو لوطن ما سيطرة خاصة .

وإذا كانت الرابطة الدينية في العصر الحديث قد تراجعت وحلت محلها القوميات والاقليميات والوطنيات فمرجع ذلك إلى أن الذي قاموا عليها في الغرب افسدوها ولم يقدموها للبشرية على صورتها الحقيقية وسوف يميدها الإسلام مرة أخرى على صورتها الحقيقية بعد أن تبين فسادها وخطورها وتقطيعها للأرحام وآثارها البعيدة في هدم الاخاء الإنساني .

والحقيقة أن المسلمين يملكون بعصر التحديات التي أصبحت مكشوفة أمامهم تماما ويعرفون مصدرها واهدافها ولم تعد خافية عليهم ويعرفون مخططهم الذين يتآمرون ويخططون ولكن على المسلمين أن يجمعوا أراذلهم على إقتحام العقبة بتحرير مجتمعاتهم من التعريب والتبعية ، لمواجهة هذه الصراعات

والصدامات والفن والحروب الداخلية وهزيمة الجيوش العربية أمام اسرائيل ١٩٦٧ فليس ثمة سبيل للتغلب على هذه الصعوبات سوى الرجوع إلى الإسلام والتمسك بتعاليمه فهي وحدها القادرة على إعطاءه القوة الحقيقية لإمام هذه التحديات ولا بد أن تكون روح النضال صادرة من الإيمان بالله فلا يزال الغرب يدفع بسمومه وفتنه ويزداد عنفا كلما رأى علامات التقدم والنهضة والصحو .

وهما الآفتان الثانى استعملتا الحضارات منذ القديم وأصابتا الحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامى هما الترف والإستلام للتغريب .

فلا شك أن آفة الترف والأفراط فى اللهو وتغلغل العناصر الغربية فى جسم الأمة وإستخدام البطانة التى هى من دون المسلمين فى المناصب الكبرى ، وما يزال التغريب هو العدد الحقيقى أيضاً للامة الإسلامية فى هذا العصر وفى كل عصر ، التغريب هو تسميم الفكر الإسلامى بالتلبس بمفاهيم الأباحين والزنادقة والشعوبيين والسفهاء مايتقل ويترجم من تراث الأمم ، هؤلاء الدعاة إلى تاريخ ماقبل الإسلام والذين يفصلون بين العروبة والإسلام والذين يهدمون الإسلام عن طريق هدم اللغة العربية والدعوة إلى الفكر الحر لتهديم القيم والأخلاق .

ترجمة الفلسفات الوافدة التى تثير الشكوك والفحش والى تقسم المسلمين بالفتنة الفكرية إلى شيع تتحارب ومذاهب يحمل بعضها الضغينة لبعض الآخر فتحل بذلك من قلوب المسلمين العقدة المقدسة والعروة الوثقى التى كانت من أم لإسرار قوتهم .

وهناك بعض الطوائف الدخيلة على الإسلام كالتقاديةنية والبهائية والباطنية التى تطلق المعونة والتوجيه من النفوذ الأجنبى والمبشرين وهم يعدونها لما اسموه " ضرب الإسلام بالإسلام " هذه الطوائف تقدر زعمائها

وترفعهم فوق مرتبة البشر وتشرح لاتباعها عالم يأذن به الله مستغلة اسم
الإسلام لهدم الإسلام .

إن المعنى الذي حاول الاستعمار إسقاطه من النفسية الإسلامية هو إبراز الإسلام
كعقيدة وتربية ، لم يكن يوماً من الأيام راضياً بالذل ولا مسانداً للخضوع
ولامعينا على العبودية في أى وقت من الأوقات فقد ربي الإسلام معتقية على
الاعتزاز الكبير بكرامتهم ورباهم على الإيمان بأنهم خلقوا ليعرضوا
وجودهم فوق هذه البسيطة ولينزعوا مكانهم تحت الشمس لا ليكونوا
عبداً ولكن ليكونوا سادة ولم يكن الإسلام حليف الطغيان ولا حليف
الظلم ولا حليف الاستعمار والظاهرة التي تكشف عنها دراسة التاريخ
الإسلامي هي المقاومة فالإسلام هو الذي استطاع أن يحرر المسلمين والعرب
من رق الدول المستعمرة ذات العدة والعدد ، رغم أن المسلمين لم يكن
لهم سند ولا مورد وإنما كانت قوتهم الأساسية التي أجهزوا بها التفويض
الاجنبي هي قوة الروح والفكر والعقيدة واليوم وبعد أن حرر الإسلام
المسلمين يجب أن يدفعهم إلى إقامة مجتمهم ونظامهم ، كان للإسلام في
المرحلة السابقة عامل تحرر وهو اليوم عامل تقدم .

أولاً : أخطاء مناهج التعلم

أولاً : أول أخطاء مناهج التعليم هو صدورها من فكر مادي وثني غربي، ذلك أن ما يطبق في البلاد العربي والإسلامية من مناهج توضع في كتب ومقررات هو مأخوذ أساساً من معاهد التبشير والكلية اللاهوتية ومدارس الارساليات وهو من محصلات الفكر الغربي المسيحي الزعة البوناني الاصيل بمفاهيمه التي تختلف عن مفاهيم الإسلام أساساً ولا يلتقي معها إلا في أقل القليل فهي أولاً لا تستجيب لحاجات الطالب النفسية ، ومتطلبات نموه في بيئة تختلف عن أسلوب الحياة من الغرب ، وحيث تصدر تلك المنطلقات من عقيدة وسلوك وعرف مختلف ، هناك حيث لا نعيم بالعرض ولا بالعفاف ولا بالغيرة ولا بالبكارة وهذه الاشياء جميعها لا قيمة لها ولا اعتبار لها بينما هي في مجتمعاتنا الإسلامية من صميم القيم الاخلاقية والاجتماعية .

وهذا ما يسمى « تناقض الاساس النفسي والاجتماعي »

ثانياً : الازدواجية في النظم التعليمية : من حيث إدخال مناهج وأنظمة تختلف مع طبيعة المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية وهي تمثل المجتمع الغربي وتحيدهاته وتجب على تساؤلاته ، ومن هنا دخلت مناهجتنا ودراساتنا مناهج وتصورات تتناقض مع الإسلام .

إن ما نتطلع عليه اليوم في مطالع القرن الخامس عشر الهجري وبعد مائة سنة من النفوذ الاجنبي المسيطر على التعليم والقانون والاقتصاد تتطلع إلى الجامعة التربوية الإسلامية بدلا للجامعة العلمانية في إطار واضح قائم على :

• إعادة صياغة وتأسيس العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل النظرة الإسلامية الكلية المكون والحياة والإنسان .

• تقديم الأدب العربي للعصر ونظرياته النقدية في إطار إسلامي .

- عرض المشاكل المعاصرة في ضوء حلول الإسلام لها .
- إن لا يوغل علم العقيدة في مهاجمة مدارس الكلام والمنطقيين والفلاسفة بل ندرسها في إطار عصرها وتحدياته .
- نقد الفلسفات القديمة والتيارات المعاصرة .
- وضع ضوابط للانفتاح على الثقافات العالمية للاستفادة من تجربة المجتمع الإسلامى الأول في مواجهة الحضارات العالمية .
- إعادة صياغة مناهج العلوم الاجتماعية من تاريخ واجتماع واقتصاد وسياسة وتربية وعلم نفس .
- تطوير نظرية تربوية إسلامية تنبثق عن فهم الكتاب والسنة واستلزام تراث الفكر التربوى الإسلامى مع الاستفادة من المعطيات السليمة للنظريات التربوية المعاصرة بعد صبغها بصبغة الإسلام .

وهذا الفصل الواضح بين مناهج المجتمع الإسلامى وبين مناهج الغرب ضرورة حتمية للحفاظ على الذاتية الإسلامية ووجهتها المنوط بها تبليغ رسالة الله تبارك وتعالى للعالمين فإذا فقدت خصيصة القائمة على التوحيد إنهارت مهمتها ونحن نعرف أن الروح المهيمن على نتاج الغرب وحضارته بعيدة عن الإيمان بالله تبارك وتعالى ورسالاته .

وقد انطلقت النظريات الغربية التربوية من فلسفات مادية ، وتصورات علمانية ومعظم فلاسفتها من الماديين والعلمانيين ، وفطرة إلى واقع المجتمعات الغربية تكفل الحكم على معطيات التربية الغربية : التحلل الخلقي ، الاحساس بالضياع ، الرغبة في العدم ، تصاعد الجريمة ، تحدى القانون والعنف وشريعة الغاب في التعامل مع الآخرين .

لقد اعتبر فرويد ، الإنسان عيداً للجنس الذى يتحكم فى مشاعره وسلوكه ويكون محور نشاطه الخاص والعام ، واعتبر د ماركس ، الاقتصاد

هو محور هذا النشاط وكلاهما متأثر بتطريه دارون عن أصل الإنسان التي تهبط به إلى الحيوان ولذلك فإن مشاعره وفكره وسلوكه جميعاً يرتبط بهذه النظرية فهو إما يدور حول محور الجنس أو محور الاقتصاد .

أما نظرة الإسلام فيها تكريم الإنسان بوصفه مخلوقاً عاقلاً مكلفاً (ولقد كرّمنا بني آدم)

كذلك فنحن مطالبون بصوغ النظرات الإسلامية في علم الاجتماع والاقتصاد واستقراء التراث للوصول إلى المبادئ والنظريات التي سبقت نظريات الغرب . وأمامنا :

سحنون : آداب المعلمين .

القاسي : الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين .

الخطيب البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .

ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم .

فنظرية استقلال السلطات المنسوبة إلى (مونتسكيو) في استقلال السلطة فقد سبق إليها الإسلام قبل مونتسكيو بأكثر من عشرة قرون وتعيين القضاء واستقلالهم يتم من قبل الخليفة نفسه ولا يخضع لولاة الأمصار ، ولم يكن الخليفة قادراً بعد تعيينهم على التدخل في شؤون القضاء وأحكام القضاء .

كذلك فنحن مطالبون بإعادة صياغة التاريخ الإسلامي والعالمي من منظور إسلامي والإفادة من مناهج النقد التي ألفها رجال الحديث تحت عنوان مصطلح الحديث .

فالمسلمون أمة لها تراث خصب يستطيع أن يشدها إلى ماضيها ويكسبها شخصية متميزة في حاضرها .

ونحن نعلم أن عصر الأحياء في الغرب سبق عصر النهضة وبدأ من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر واستفاد الأوروبيون من منهج البحث

التجريبى عن المسلمين وقد أقر (برنزا ندرسل) بأن العرب كانوا سادة التجريب ولكن لم يفتنوا إلى أنهم فعلوا ذلك فى إطار المنهج القرآنى بدلاً من التنظير اليونانى حيث أن القرآن الكريم هو الذى لفت نظر المسلمين إلى الطبيعة وقواها الظاهرة والكامنة ودعاهم إلى الكشف عن أسرارها وقوانينها عن طريق:

الاختبار والتجريب

باستخدام العقل والحواس مبنياً أن الطبيعة مسخرة للإنسان الذى من واجبه التعرف على قوانينها والإفادة من تسخيرها له وكذلك صوغ النظرات الإسلامية فى مجال الاجتماع والاقتصاد وفى مجال الأدب فإن أبرز مفاهيم الأدب الإسلامى : التزامه بالحلال والحرام وعدم الاستسلام للعصر ودعوة العصر إلى الالتقاء بالحدود والضوابط حيث لا يخضع الأدب الإسلامى لقوانين وقواعد الأدب الغربى ، وذلك لاختلاف الأطر والطرق وهى هناك قائمة على فكرة مادية محدودة ، وعلى هوى وظن فلا بد من التحرر من قيود المذاهب النقدية الغربية .

ثانياً : التحديث فى إطار الأصالة

إذا كانت التربية الإسلامية هى قضيتنا الأولى فإن قضيتنا الثانية هى : التحديث فى إطار الأصالة:

ذلك إن هناك مغالطتان واضحتان ترددهما كتابات الغربيين حول الصحوة الإسلامية ، أولاهما إن هذه الصحوة الإسلامية تشكل تهديداً للعالم غير الإسلامى وهو قول مردود بدليله وحجته .

الثانية : إن الإسلام والتحديث نقيضان لا يلتقيان .

والواقع أن الإسلام قد دعا إلى أمرين دعاءً متصلاً :

التحديث والتقدم ، ولكن مفهومه لهما يختلف عما يطامع فيه التجريب

باحثوا المسلمون داخل الحضارة الغربية أو لإخضاعهم لمفاهيم الغرب عن العلم والحضارة . والدعوة المرزولة التي تجرى دلى السنة الثمريين اليوم ، هى أن هناك حضارة واحدة وإن على المسلمين أن يقبلوا الانصهار فى هذه الحضارة وتقبلوا مفاهيمها الفكرية والثقافية قبل مفاهيمها المادية والعلمية ، ولكن المسلمين يفرقون بين المعرفة وبين الثقافة ، فالمعرفة عالمية والثقافة قومية ، والمسلمون أمة عريقة لها منهج حياة ونظام مجتمع كامل متسق مرن ، أعظام مختلف الاجابات والحلول لمشاكل السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية ، هذه التى تسمى أسلوب العيش فهم ليسوا فى حاجة لنقل أسلوب آخر ، أو اقتباسه أو الخضوع له ، ولأن أسلوب عيشهم يقوم على حقيقة التوحيد والاخاء البشرى والالتزام الخلقى فهو يختلف عن أسلوب عيش الغرب ، ولكنهم فى مجال العلوم والمعرفة والمفاهيم المادية والتكنولوجية يتقبلون استخدام علوم الغرب ومعطياته ويصهرونها داخل بوتقة حضارتهم ، فهم لا يخضعون لها وإنما يصيرونها ، وادأ خاماً يشكونها فى دائرة منهجهم المقدس والاخلاقى حتى تكون خاضعة لله تبارك وتعالى ومقيمة لمنهجه فى الحياة : وبذلك يقبل المسلمون التحديث دون تبعية ؛ بل يرى البعض إنه : لمكى يتحقق التحديث لا بد من رفض التغريب بل نزعهم إنه يقدر الاصرار والنجاح فى رفض التغريب يكون النجاح فى تحقيق التحديث وأمامنا تجربة اليابان الذى ظل الياباني فيها محتفظا بحياته العائلية والاجتماعية وتقاليده وهذا أبلغ رد على الذين يطلبون من طلاب التحديث ترك القيم التى ورثوها .

إن الأمة التى تلقن أنها بحاجة إلى أن يتعلم آداب المائدة من عدوها هى أمة فقدت احترامها لنفسها ويستحيل عليها أن تحرز أى تفوق . ويقول جلال كشك الذى نقلنا عنه النص :

« التحديث ، : هو امتلاك كل المعرفة التى يتفوق بها الغرب وإنتاج كل المعدات التى ينتجها الغرب ، وكل ما تحتاجه أمة من الأمم لتحقيق هذا التحديث ، وهو إرادة قومية ، ونظام صالح قادر على تعبئة هذه الإرادة وتوجيهها عن طريق التصنيع أو التحديث إذا كانت البلد مستقلة أو عن طريق

تحرير الارادة القومية عبر جرب التحرر الوطني التي يتم التحديث خلالها ،
ولكن يشترط قبل ذلك أن تؤمن الامة أن تخلفها هو ظاهرة عارضة
وأن أصالتها تمسكها من تجاوز هذه المرحلة العارضة ، أما التغريب فيبدأ
من افتناع الامة للشرقية بأنها متخلفة في جوهرها ، متخلفة في تاريخها
وصميم تكوينها ومن ثم فلا بد من أنسلاخها تماما عن كل مايربطها
بماضيها وتميز ذاتها ، ويرى التغريب إلى إعادة تشكيل المجتمع على الطراز
الغربي من ناحية العادات والمظاهر السلوكية مع إبقائه متخلفا عاجزا عن
إنتاج سلع الغرب ، عاجزا عن اكتساب معرفة الغرب ، فإذا ما اكتسب
بعض أفراد هذه المعرفة يجدون أنفسهم غرباء عاطلين عن العمل في
مجتمعهم ، فيضطرون إلى النزوح إلى عالم المتفوقين ، والمجتمع الغربي هو ذلك
المجتمع الذي تزدحم طرقاته بأنغر وأحدث السيارات المستوردة وتقيم
مدنه أنعم دور عرض الافلام المستوردة ويرتدى أهله أحدث المنسوجات
المستوردة وعلى أحدث الموضوعات الغربية ، ويثرثر مثقفوه في قاعات
مكيفة بأجهزة أمريكية أو روسية حول مشاكل المجتمع العربي والامة ويألون
صفحات من ورق مستورد يطبع بحبر مستورد وبالآلات مستوردة وحول
قضايا الوجودية ومسرح الالامعقول والجنس الجماعي وتطور حركة الهيبة
على بعد خطوات من كهوف مواطنهم حيث البلهارسيا والسكوليرا أو
التراخوما وكل تراكمات التخلف منذ القرن السابع عشر وقد شهد الطرف
الشرق من آسيا (اليابان) نجاح سياسة التحديث ، لا التغريب ،
فإن الطرف الغربي شاهد النموذج المضاد تماما .

فتركيا بعد الحرب العالمية الاولى وبعد قرن من العجز عن التحديث
أندفعت بأقصى ما استطاعت في حكومة أن تهتم شعبها الشرق في سياسة
التغريب وكتبت من الشمال إلى اليمين ، وبحروف لاتينية ، كالغرب
وخلفت الإسلام وقرأت القرآن باللاتيني وليست البدلة والقبعة بأمر القانون
وعطلت يوم الأحد وحولت المساجد إلى متاحف وحررت المرأة على
أوسع نطاق وجعلت الزواج والعلاق على الطريقة الغربية المسيحية ،

وأشترطت إسم عائلة كما في جوازات وبطاقات السياح الغربيين ، ولم تترك صغيرة أو كبيرة من مظاهر الغرب إلا فلقتها على نحو يفوق قدرة القروء ، وظلت دولة متخلقة يفتك بها الفقر وترتفع نسبة الأمية منها إلى سبعين في المائة ولما تغريت كل طاقتها بقيت خارج نطاق الدول الصناعية أو التحديثية وكان (التغريب) هو الطريق المضمون للحضارة مبركة (التحديث) وكل الدول التي تم تغريبها أو أختارت طريق التغريب ، أخطرت من ذلك ، أن التغريب يقضى على روح المقاومة في الأمم الشرقية فيجعل إستعمارها من قبل الدول الغربية المتفوقة أسهل وحكمها أيسر ، ومن هنا كان إهتمام الغرب بترويج فكرة التغريب بين صفوفنا فنذ الحملة الفرنسية وهناك إستثمارات فكرية إلى جانب الإستثمارات المالية .

وبعد الفزوة الغربية الأخيرة (الهجمة الصهيونية) ومع إلحاح الجماهير المتزايد في البحث عن حل يكفل لهم إمتلاك المعرفة التكنولوجية التي يمتلكها عدوهم الصهيوني والعالم المتقدم الذي يساند هذا العدو بأدراء أعداء (التحديث) يسدون الطريق على أى محاولة لاكتشاف الجواب الصحيح ، فكان الإلحاح من جديد على أن التغريب هو الحل وأتينا لم نغرب بما فيه الكفاية ولهذا أنهرمنا ، وأن كل ما نحتاجه هو جرعة كبيرة من القيم والتقاليد والعقائد القادمة من الغرب رأسمالياً كان أو شيوعياً وأن نقطع خطوات أكبر في الإبتعاد عن تراثنا ومعوقات شخصيتنا وبدأت عملية (تزييف التاريخ) بهدف إجهاض موجة العداء المتزايدة ضد العدو التاريخي والقومي والحضاري الذي شل تقدمنا وإبقانا في أسر التخلف خلال مائة وخمسين عاماً حاسمة من تاريخ العالم ثم رمانا بأنيابه الشرسة المتوحشة المدججة بتكنولوجيا بدلاً من تنمية هذا الوعي وتوجيه هذا النور من الغرب نحاة الحرب الوطنية وبدأت محاولات الغرب ، والحلاف حول تفسير التاريخ ليس ظاهرة ترف ولا مجرد خلاف حول تفسير الحاضر بل هو في الدرجة الأولى خلاف حول الطريق إلى المستقبل ، والأمم دائماً تهرج إلى تاريخها في لحظات محنتها تستمد منه الإلهام والدعم

النفسى بينها يلجأ خصوصاً دائماً إلى تزييف التاريخ وتشويهه لتضليل الحاضر وإفساد الطريق إلى المستقبل .

الذين يروجون بعد هزيمة ١٩٦٧ للدور التحضيرى والتحررى الذى لعبه غزو البلدان المتقدمة للشرق المتخلف هم فى الحقيقة يطرحون إجابة غير مباشرة لحيرة الجماهير المعاصرة .

وبعد هزيمة ١٩٦٧ وهى هزيمتنا التاريخية الثانية إمام الغزو الغربى المتفوق حضارياً وأن الدراسات التى انتشرت على أوسع نطاق بعد هذه الهزيمة ، لاتحنى هدفها بل تقوم بهدف إستقصاء مقومات الدول الحديث فى تاريخنا للتعرف على أى شوط قطعنا (فنعرف فإذا بقى أمامنا لبلوغ الهدف) .

المفهوم الوحيد لمثل هذا النصح هو أن علينا أن نكمل ما بدأه الرواد مع الحملة الفرنسية منذ مائه وسبعين عاماً ، والرواد فى مثل هذه الدراسات هم الذين تعاونوا مع جيش الاحتلال وعملوا فى خدمته وطلّاع حركة تحرر المرأة ، والجواب إذاً هو أن نتفتح على الحضارة المتقدمة الغازية مثلما أنفتح الرواد للحملة الفرنسية فى مطلع القرن التاسع عشر .

وترى المدرسة الاستعمارية أن التفوق والتقدم والتحديث والتحرر كلها معان وسلوك يكتسب من خلال التعاون مع المحتل وبمعاونته وأرشادته وما أبعد المسافة بين الفزوة الفرنسية ونسكسة ١٩٦٧ فقد نما فى هذه الفترة شعور إسلامى ضخم زاحف لا يقر للنفوذ الاجنبى ولا للتغريب هدفه ومطامعة وهو يرى أن التجربة قد فشلت نهائياً وأن على المسلمين أن يختاروا طريق الإسلام بعد تجربته إسلامى الغربى الليبرالى والمادى كسفى وفشلها على السواء .

ثالثا : الإسلام قوة عالمية

والحقيقة التي تكشف عنها الاحداث اليوم أن الإسلام قوة عالمية حقيقية ، يجب أن تمتلك أرائها وتقدم نموذجا الرباني للعالمين ولأريب أو القدرات الحقيقية للعالم الإسلامي تؤهله للتعاطي والتأثير في الاطار الدولي وقد تبين اليوم أن الإسلام وحده كما يقول دكتور حامد ربيع هو القادر على أن يطرح تصورا ثالثا يقف بين الماركسيه والليبراليه اللتان فشلتا في تحقيق سعادة البشرية وليس يحول دون ذلك إلا محاولات الاحتواء التي تقوم بها القوى الاجنبية للضاغطة والمسيطره على الذاتية الإسلامية المتميزة التي يجب أن نظل قوية وقادرة وبارزة ولا يضحى بها من أجل أى هدف آخر من الاهداف المطروحة في الساحة وهي التقدم والعصرية والحداثة فهذه كلها يمكن تحقيقها مع الاحتفاظ بالذاتية ودون التفريط فيها .

ولقد امتلك العالم الإسلامي قدرات حقيقية أبرزها الطاقة والثروة والكثافة السكانية والامتداد الاقليمي فالعالم الإسلامي يشكل حزاما يمتد من المحيط الهادى إلى الاطلسي وهذه المنطقة تتحكم في جميع المواصلات الجوية بين أوروبا وباقي العالم القديم فضلا عن امتلاك الموارد الاقتصادية الهامة في المناطق الإسلامية الاسيوية ولأريب أن محاولات النفوذ الاجنبى في مجموعها ترمى إلى تبديد هذه القدرة وذلك باحتوائها في مصادف الغرب وبالهدوء إلى تحديد النسل للقضاء على النمو السكانى .

ويقول دكتور حامد ربيع أن الإسلام هو المقدمة الطبيعية لدول العالم الثالث وأن الإسلام كدين (وهو نظام ومنهج حياة) موجود في كل مكان ، حتى وجوده كأقليات في دول أوروبا وأمريكا لها وزن ونقل ، وهناك مفهوم الجهاد فالإسلام دين القوة بمعنى أن الحق بلاقوه لا موضع له ، وهذا ما تجرى المحاولات لطمسه واحلال مفاهيم مغايرة لافساده وتزييفه .

وأشار دكتور حامد ربيع إلى مخططات النفوذ الاجنبى .

(م ٢٢ - طريق النهضة)

أولاً : لاستئصال الإسلام نفسه .

ثانياً : لتشويهه .

ثالثاً : لاستبعاد قياداته الفكرية وتسميم عقولها .

رابعاً : الدعوة إلى تنظيم النسل .

خامساً : إغراء العقول المفكرة للهجرة خارج العالم الإسلامى .

سادساً : إثارة الشغرات القبلية والإقليمية داخل المجتمعات الامية بهدف تفكيكها وإثارة الفلاقل فيها (بين العرب والبربر) وبين الاقباط والمسلمين (بين الاكراد والعرب) .

ويشير الدكتور حامد ربيع إلى عوامل الضعف الإسلامى .

١ - التخلف الاقتصادى والاجتماعى للشعوب الاسلامية .

٢ - النقص القيادى فى المجتمعات الاسلامية .

٣ - عدم بناء فكر سياسى متكامل يصير عنوانا على الوجود الإسلامى .

٤ - عدم وجود تنظيم دولى ثابت وقوى يعبّر عن الارادة الإسلامية .

٥ - عدم خروج المجتمعات الإسلاميه إلى الوظيفة السكفاحيه .

ويقول : أن الدول الاسلامية العالميه عاشت قرنا واحداً من الزمان وهى تمتلك لسمى مفاهيم السياسة بينما النموذج الرومانى للدولة العالميه بقى خمسة قرون وليس لديه حضارة وثنيته ، وليس فى ذلك أن الإسلام يمتلك نظاما للقيم والسكنه فى حاجه إلى المدرسه الخلافه القادره على تقديم نظام الحكم السياسى وشكله وأساليب التعامل مع الواقع اليومى ويضرب المثل بأن اليهودية استطاعت أن توجد الميمنية السياسيه وأن المصيحيه قدمت نظريه كاثوليكيه للحركة السياسيه .

ويدهو الدكتور حامد ربيع إلى تحديد العلاقة بين الاسلام والقومية السياسية ويقول : أن الاسلام اليوم سلوك فردى فقط ، ودعوة فى بعض البلاد العربية وحضارة فقط فى بعضها الآخر أما دولة فلا وجود لها . فلا بد من تكامل الحلقات .

١ - سلوك فردى . ٢ - دعوة .

٣ - حضارة . ٤ - نظام سياسى .

٥ - دولة عالمية .

المطلوب الآن أن تعود هذه الدوائر لتتطابق وتصبح دائرة واحدة بمعنى أن لا يكون بينها فواصل كالدعوات العنصرية التى تمزق العالم الإسلامى وتتناقض مع الاسلام كدعوة عالمية ، وقد جرفت التقاليد الاسلامية مفهوم الامة حيث التجانس من منطلق الادراك والتصور الواحد :

(العقيدة والسلوك القائم عليها) أما القومية بمعنى المنصر والتجانس العنصرى فالاسلام يرفض القومية بمعناها القائم على التجانس العنصرى والادراكى ، إذا لا فضل لعربى على اعجمى إلا بالتقوى بهذا المعنى مفهوم الامة ينتهى بنتائج واحدة .

مجتمع واحد لا مجال لتجربته (العقيدة والسلوك مما)

ويجب على العالم الإسلامى أن يتخطى مشكلة عدم التجانس الداخلى **ليحقق مع لبيانه** - أن الشعوبية والولاء الطائفى هما محور التخلف الحقيقى فى القدرة السياسية للعالم الإسلامى ، إن الاسلام يجب أن يستقل فى النظام الدولى جميع النظم القائمة لىكى يكسب المناعة ضد الحلات لىكى يحقق اهدافه ابتداء من توزيع الادوار .

ويقول الدكتور حامد زبيح ، مازال العالم الاسلامى يملك عوامل قوة كامنه تكفل له أن يلعب دوراً فعالاً فى النظام السياسى العالمى وهو فى طريقه لهذه المشاركة يصطدم بالغرب الواقف له بالمرصاد ، فالعالم العربى ، وأثر الصحوة الاسلامية المعاصرة يعيش حالة خوف وقلق بالغين يصفهما البعض بالحالة المرضية ، والمنبع للعلاقة المعقدة بين العالم الاسلامى والغربى الذى أمسك بقبضة الاستعمار على العالم الاسلامى سنوات طويلة يلاحظ أن هناك تراثاً من كراهيه المسلمين للغرب لا يمكن تجاهله وقد تصاعدت حاله الخوف الراهن من الاسلام فى السنوات العشر الأخيرة تصاعداً مدوساً جعلت طرح القضية أمراً لا بد منه ، وقليلون فى الغرب هم الذين يدركون كثيراً من حقائق الاسلام ، فالاسلام ليس مجرد إقتناع ديق كما يحاول البعض أن يصوره ولكنه حضارة متكاملة أيضاً ، والحضارة تفترض وجود النظام الاسلامى الكامل ، كما تفترض عمليه لإحلال وتجديد دائمتين فهل ينطوى الاسلام على هذه الإمكانيات .

ونحن نقول للدكتور حامد زبيح : نعم أن الاسلام قادر على استيعاب العلوم والتكنولوجيا الحديثه وصهرها فى بوتقة لبناء حضارته الإسلامية ، كون أن يتخلى عن قيمة الأساسية وذاتيه الواضحه الحقيقية وأنه لن يقبل أى محاولة تؤثر على كيانه أو محتويه أو تجعله ينهصر ، أو يتجاوز عن الحدود والضوابط التى وضعها فى الشريعة الإسلامية ومن المعروف أن الإسلام سيهضع مجتمعا متميزا وسينبنى حضارة تختلف فى جوهرها وغاياتها عن حضارة الغرب الآن وسيستعمل الاسلام فى ذلك كل عناصر القوة والايجابية ليقدم للبشرية حضارة حديثة ، إما أن يقبل التنازل عن طبيعته أو التحول عن غاياته ، بمسا يفهم منه الاختواء والانصهار فهذا ان يكون .

ونحن نعرف أن هذه الحسابات التي تجري اليوم لاحتوائه داخل نطاق الأيدولوجيات ، أو نطاق التكنولوجيا ، أو غيرها ، من موقع سيطرة النفوذ الأجنبي وامتلاكه لبعض الموارد ومصادر الثروة في بلادنا فإن هذا لا يمثل الوجه الحقيقي لمفهوم الإسلام نفسه .

وإذا قدر لهذه التجربة أن تمضي شوطا فأنها سوف تفشل لأنها لن تكون إلا حلقه من حلقات التغريب والاحتواء العالمي والاممي .

ومن الحق أن نقول مع دكتور الياس سحاب :

إذا كان المسلمون سيأخذون العلوم والتكنولوجيا فإن الغرب لن يكون هو نموذجهم في صنع التقدم ولكنهم سيصبون حضارتهم على أساس (الإطار الإسلامي القرآني) الذي سيضمون فيه العلوم التجريبية وعنه يصدرون في بناء المجتمع والحضارة .

ويقول : إنه إذا كانت صيحة الخطر التي يرددها دعاة التغريب هي ضرورة تجاوز التخلف إلى التقدم عن طريق التبعية وقبول النموذج الغربي فأننا نرفض هذه المعادلة ، ولا نقبل التخويف ، وهو أشبه بتخويفنا من الانفجار السكاني أنها دعوات كاذبة مضللة تريد منا أن نترك إيماننا وقيمنا ونضحي بها في سبيل أن تنصهر في أتون الأممية فنفقد ذاتنا وقيمنا ، ونحن قادرون عن طريق منهجنا الأصل القرآني أن نفعل كما فعل المسلمون في كل أزمة من الأزمات التي ألمت بمجتمعاتهم والتحديات التي واجهتهم ، وهي الانطلاق من الأصالة والرشد الفكري ومقوماتنا الإسلامية في سبيل استعادة قدرتنا على إمتلاك الإرادة وبناء المجتمع والحضارة على مفهوم التقدم الإسلامي المرتبط بين المعنويات والماديات وأنا لا نضحي بذاتنا الإسلامية أبدا في سبيل بريق خادع هو قبول النموذج العرق في التقدم أو الحداثة .

وأن أسلوبنا الاسلامى فى العيش والفكر والحياة سيمكننا من الوصول إلى التقدم دون أن نفقد الأصالة الذاتية القائمة على مايسمونه القديم والتراث والسلفية وهذه لكها كلمات لم تعد تخيفنا أو ترهبنا لأننا نؤمن بأنها تختلف عندنا عما عند الغرب وهما عندنا تعنى الإسلام والقران أساسا وليس شيئا آخر ، والمهاجر من لها يعنون فى قرارة انفسهم مهاجرة الإسلام والقران ولكنهم اجبن من أن يصرحوا به فهم يضونه مغلف تحت هذه الاسماء : القديم والتراث والسلفية .

كذلك فحن اسنا مطالبون بأن نلاصق ركب الحضارة الغربية لنصل إلى ماوصل إليه من تقدم مادى أو نصارع فى سبيل ما يقدمه فى هذا المجال فذلك شأن لايعنى الحضارة الاسلاميه ، وإنما يعنىها الحصول على القدر الكافل لتكوين الحياة جديدة وعصرية مع الاحتفاظ بأطوارها الإسلامى الاصيل .

وإذا كانت التبعية صوف تجعلنا لانصنع شيئا فأن لرسالتنا الحقيقية وهى ابلاغ الاسلام للعالمين وأطلاعهم على جوهرة الذى تفتقده البشرية اليوم وليس مطلوباً منا مسايرة التقدم المادى واللاهث وراء خطواته السريعة وكل ما هو مطلوب منا المحافظة على شخصيتنا من أن تنصهر فى الحضارة الغربية وليس ما يمنع أن يقوم النموذج الإسلامى ليقدم للبشرية ما همى فى حاجه إليه بما ينقصها فى الحضارة المادية .

رابعاً الغرب يكتشف الإسلام

واليوم ونحن نستعرض العقبات التي تقف في وجه الإسلام والقيود التي قيد بها النفوذ الاجنبي هذه الامة عن أن تحقق مطامعها في بناء مجتمعها الرباني وتبليغ دعوة الله للعالمين ، نجد هناك عديداً من الظواهر التي توحي بأن كلمة الله ان تتوقف وأنه مهما عملت هذه القوى على ضرب الإسلام وتأخير نهضته واستنزاف ثرواته فإنه سوف يغلب ويعلو . من هذه الدلائل الرصينة أن الإسلام يفتح افاقاً جديدة في كل قطر وفي كل بلد من بلاد العالم في قاراته الخمس لا يني ولا يتوقف ، يدخله الناس افواجا ، وتطلو مآذنه حتى في البلاد التي طرد منها ، يعود الآن إلى الاندلس سلماً ويدخل غرب أوروبا ويكون جالياته في ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبنحو ويتسع في الولايات المتحدة حيث لا تطلع الشمس إلا على مسلم جديد ، وعشرات من المؤمنين في كل مكان غير أن الظاهرة الكبرى هي دخول مفكرى الغرب فيه حيث دخله في الأخيرة جارودي وموريس بوكاي وأعترف به مؤلفون وفلاسفة آخرون ، ودوائر كثيرة أعترفت به وأقرت بفضله ، وتكشفت حفريات جديدة تؤكد ما جاء به وأطلع العلم على حقائق أوردتها القرآن قبل أربعة عشر قرناً وعلت صيحات في الغرب تطالب بالإسلام منهج حياة بعد فشل المنهجين الرأسمالي والماركسي ومن يطالع ما كتبه هؤلاء العلماء والباحثين في دعوة قومهم إلى التماس منهج الإسلام كل هذا يوحى بالافاق الجديدة التي يمشي إليها الاسلام في العالم حيث يتمث في بلاده بين غزوة ماركسيه وغزوة صهيونية غربية وتبشير ومحاولات لتزيق وحدته وصرف أهله عنه .

هذه التحولات في الغرب تكشف عن رأى منصف بعيد عن تعصب الدوائر الكنسية والدوائر الاستشراقية وهي تدور حول القرآن والنبي والحضارة الإسلامية وحول مفاهيم كثيرة .

أولا : تصحيح أفكار عن دور الإسلام في النهضة والحضارة المعاصرة فيما كتبه درابر وجوستاف لوبون وبرناردشو وسجيريد هونكه وبوكاي .

ثانيا : تصحيح إفسار من جهة اللاهوتيين فيما يتعلق بالكتب القديمة وبشريتها مقارنة بمفاهيم القرآن الكريم التي لم تستطع معطيات العلم أن تعارضها بل لقد كشفت عن معجزات استعلنت قبل أربعة عشر قرنا وعن حقائق لم يكن يعرفها إنسان في ذلك التاريخ البعيد وفصل مؤامرة (الحوار) التي حيل الغرب استدراج المسلمين إليها ليعلموا انه لا توجد خلافات جذرية بين مفاهيم الاديان .

ثالثا : تصحيح إفسار من جهة التراث حيث كشف فواد ميزكين عن حقائق ذاخرة قدمها التراث الإسلامي في مجال العلوم التجريبية إستفاد بها الغرب معترف بفضل مصادر الإسلام وتوانه .

رابعا : حقائق قانونية وتشريعية إحصاها العلماء المسلمون قديما واعترف بها علماء القانون المعاصرين .

خامسا : تكشف فساد منهج الاستشراق وتخلي المستشرقين عن الاسم والتحول إلى اسم جديد وفشل التبشير وإنكشاف خططه .

سادسا : تكشف العلوم عن حقائق مغايرة للقوانين العلمية القديمة التي قامت على اساس مناهج فلسفيه وخاصه الماركسيه والتفسير المادى للتاريخ ، كما أن المنهج العلمى كشف زيف الوثنيات ، والاساطير والفكر اليونانى والاباحى والمادى .

سابعا : تبين فساد التطبيق للمنهج المادى فى مجال العلوم الانسانية وقد كشف دكتور الكس كارليل فى كتابه (الانسان ذلك المجهول) أن هناك فوارق عميقة فى الحلقة والتركيب بين الرجل والمرأة تحول دون مساواة المرأة بالرجل والعمل خارج دائرة اختصاصها .

ثامنا : كشفت الأبحاث عن دور رائد للفكر الإسلامى فى مجال بناء الحضارة الحديثة وخاصة منهج التجريب ومنهج المعرفة وقد كشف ذلك كثيرون فى مقدمتهم درابر وفى الآخر جارودى فى كتابه (حوار الحضارات) .

ثامسا : تغير الموقف بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابات الغرب ويتحدث الكثيرون عن تطور ايجابي حدث فى موقف الفكر المسيحى من الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الملتقى الإسلامى المسيحى فى قرطبه ، والملتقى الثانى ١٩٨٠ الذى نظمته جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية فى مدريد وقد أعلن المجتمعون التخلص من عدة احكام مسيحية مسبقة ضد رسول الإسلام الكريم وأعلنوا النظر إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأكبر قدر من الموضوعية وكانت كتابات الكاردينال (تار أنكون) رئيس أساقفة ديفنة عليا يمثل هذه الايجابية عن رسول الاسلام الأسبان تمثل أول نص فى تاريخ المسيحية تنكلم فيه سلطه وقد رد الدكتور ميكل دى ايبالكا الأستاذ بجامعة مدريد الذى رد عدم التقدير الحقيقى لرسول الاسلام إلى الجهل والعداء السياسى والمبادئ الدينيه المسيحية ، وقد كان المسيحيون فى الغرب يظنون أنه (صلى الله عليه وسلم) ليس إلا واحداً من زعماء الطوائف التى خرجت عن المسيحية الشرقية وأنه من الغزاه داخل الامبراطورية .

وقد دام هذا الجهل قرونا كثيرة ، وقال (كروث برناندت) أنه ربما لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والأهانه ظلماً على مدى التاريخ مثل محمد ، وكذلك لا توجد اية اتهامات أساسها سياسة لا الدين مثل الاتهامات التى وجهت للإسلام .

ولقد كانت الحروب السياسية المتكررة بين البلدان الإسلامية والمسيحية حتى الحروب الصليبية والاستعمارية الآخرة جعلها يحول

دون النظر بكل موضوعية وإحترام إلى رسول ومؤسس
الدين الإسلامي .

ويقول : لقد بدأ اجهل المسيحية بمحمد (صلى الله عليه وسلم)
يزول شيئاً فشيئاً نتيجة للدراسات التاريخية التي قام بها المستشرقون
الأوربيون في القرن ١٩ ، ٢٠ وبالرغم من الأحكام المسبقة من
جانب هؤلاء ضد العرب والمسلمين فقد درسوا بموضوعية نسبية
المراجع العربية والإسلامية وعرفوا بها في الأوساط الأوربية
وقد أجبرهم المنهج العلمي على الاعتراف بالقيم الإسلامية النبيلة
وبرسول الإسلام الكريم ، وبما أن الكثيرين منهم كانوا من
العقلانيين وضد التعصب الديني فقد وجدوا رغبة كبيرة في إصلاح
الآخطاء الهائلة عن النبي ، تلك الأغاليط التي ما يزال يعتقد في
حتمتها معظم المسيحيين ، لكن يمكن القول بأن ما يكتب حالياً
في أوروبا حول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، أغلبه
موضوعياً ،

ومما يتصل بهذا ما نشرته مجله الحقيقة الواضحة (وهي مجلة
مسيحية تطبع خمسة ملايين نسخة وتوزع في جميع أنحاء العالم)
تحت عنوان (المسلمون في القرن الخامس عشر الهجري) أصبح
الإسلام قوة فعالة في العالم تنتشر انتشاراً سريعاً حيث يزداد
عدم معتنقيه ، يوماً في أنحاء المعمورة فعلى سبيل المثال يوجد
مسلم واحد بين كل خمسة أشخاص من سكان العالم ، وعدد المسلمين
الآن ألف مليون مسلم موزعين على خمسة وسبعين قطراً من اقطار
العالم ، ويردد المراقبون أن انتشار الإسلام يفوق انتشار
المسيحية في الاقطار الأفريقية فيما وراء الصحراء بنسبة عشرة
أضعاف ، وقد حان الوقت أن يطرح غير المسلمين جانباً الخرافات
والافكار الخاطئة التي حملوها سابقاً عن الإسلام الذي لم يعد مجرد

مبادئ وافكار وعقائد روحية لحسب ، بل غدا بالاضافه الى ذلك قوة سياسية وثقافية واجتماعيه لها وزنها الذى لايمكن عقد النظر عنها فى تسير مقادير وامور العالم حاضرا ومستقبلا إن الإسلام بالنسبة لمعتنقيه فى جميع انحاء العالم انما هو (نظام حياة يومية كاملة لانتجوا) بينما لا يعرف المسيحيون الطريف الى كنائسهم إلا أيام الاحاد لفترة وجيزة فإن الوضع يختلف بالنسبة للمسلمين الذين هم على اتصال روحى دائم بالخالق الاعلى يوميا من خلال أداء فرائض الصلوات الخمس اليومية وصلاة الجمعة التى تعتبر مؤتمرا اسبوعيا لمسلمى العالم يجتمعون فيه للصلاة وتداول الاراء فيما بينهم فى حياتهم اليومية من قريب أو بعيد ، أن نسبة الجريمة فى العالم الاسلامى اقل منها بكثير مما هو فى العالم الغربى ، وكذلك الامراض الاجتماعية التى عذا الغرب يعانى منها بشكل ملحوظ بحث اصحبت مهددة بالانحلال والتفسخ كالمسكرات والمشروبات الروحية بأنواعها وتعاطى المخدرات رغم محاولات وضع التشريعات والانظمة والقوانين الوضعيه وانفاق مبالغ مالية هائلة لهذا الغرض نرى العكس بالنسبة للعالم الاسلامى حيث أن الإسلام قد سبق المشرعين الغربيين منذ القرن السابع الميلادى عند ما جاءت التشريعات والانظمة والقوانين الإسلامية السماويه الناجحة لمثل تلك الامراض ونجت منها .

وقد ذكرت المجلة حقيقة واضحة يتجاهلها المسلمون ورجال الدين المسيحي والكنيسة نحو سياستها ونظمها وهى أن العهد الجديد وأن كان قد تم مآكل وضعه قبل ميلاد الرسول محمد الكريم (صلى الله عليه وسلم) بخمسة قرون زمنية الا انه لم يهمل مستقبل الإسلام فالانجيل يشير ويظهر بوضوح الى قيام اتحاد عربى إسلامى فى الشرق الاوسط سيكون له دور حاسم فى مجرى التاريخ ،

هاشرا : اشار هاملتون جب إلى تعدد الشواهد والادلة والبيئات الخارجية على حيوية الإسلام خلال القرون الستة الأخيرة :

١ - تكوين الامبراطورية العثمانية في الشرق الأوسط .

٢ - اميراطورية المغول في الهند .

٣ - احياء المذهب الشيعى في إيران .

٤ - انتشار الإسلامى في كل اندونيسيا وشبه جزيرة الملايو .

٥ - نمو المجتمع الاسلامى في الصين .

٦ - طرد الاسبان والبرتغاليين من المغرب .

٧ - اتساع الحزام الإسلامى في كل من شرق افريقيا وغربها .

كتابه (مودرن تراندش إسلام) وتقول جونسون (:

ربما كان شكل المجتمع الإسلامى والمؤسسة الدينية جامدة وخالية من الحياة اثناء تلك القرون الستة ولكن تحت هذا الجود الظاهرى كان تيار الايمان يجرى باستمرار قويا منذفما والايزال يجرى حتى الان ربما بدرجة أقل ولكن بقوة كافية .

خامسا : ذاته الإسلام وتميز الشخصية الإسلامية

تبين من كل المعارضات للفكر الغربي الزاحف يسمومه ووثنياته وماديته والحادة وعلمايته على الفكر الإسلامى أنها تهدف إلى طمس الذاتية الإسلامية واحتواء الشخصية الإسلامية وتذويبها في اثون الاممية والحضارة العالمية وذلك بتغيير اعراف الاجتماع ودفع المجتمع الاسلامى إلى آفة الترف وهى علامة بدأ عصور التفكك والانحراف وقد كان الاسلام حريصا على أنه لا يقع إينائه في الاحتواء أو الاتيهار الخلقي والاجتماعى ولا تزال المهمة الشاقه والكبرى هى الحفاظ على الذاتية وبناء الشخصية الإسلامية كقادمة لاقتحام العقبات ، أن الدافع عن شخصية الأمة الإسلامية ومقوماتها وإستقلالها الفكرى والايولوجى هو أكبر مهمة تواجه الدعاة المسلمين اليوم وهى تعنى ليس فقط مقاومة الغزو الفكرى والفهوم الخارجى على معتقداتنا ومبادئنا ، وانما تعنى قبل كل شئ معالجة التخلف الفكرى والركود العلمى الذى جعل شعوبنا ادنى بكثير من مستوى مبادئها السامية وعقيدتها الخالدة ، ومما يزيد الامر تعقدا أن الغزو الفكرى يستعين بعناصر داخلية تحاول هدم شخصية الأمة وتحارب وجهة الاصاله والمدافعين عنها ، في محاولة لدفع المسلمين إلى الاحتواء والانضهار ولكن إمتنارفضت وما تزال ترفض وهى قادره على الصمود والمقاومة ، ورد المغالطات والدعايات الزائفة ، والاعتزاز بشخصيتها التى وضحت أمامها الطريق المستقيم .

(وأن هذا صراطى مستقيما فانبهوه ولا تنبهو السبل فتفرق بكم عن سبيله)

ولاشك ان ازدياد أقبال حبل الشباب على الاسلام فى كل مكان فى العالم الاسلامى اليوم ظاهرة عميقة المغزى يعمده الدلالة ، وهى إحدى الثمرات الرئيسية لجهود حركة اليقظة ، وهى علامة على الاصاله وعلى الرشد الفكرى وعلى انتصار الاسلام عقيدة وفكرا على العلمانية وهزيمتها وإنحسار مدها

توطئه لسقوطها وقد ارتبطت العالمية بالراسمالية كما ارتبطت الاباحة بالماركسية وكلاهما اصبح مرفوضا في افق الفكر الاسلامي ، فالمسلمون اليوم على ابواب مرحلة جديدة هي مرحلة (التطبيق) الذي يتطالع اليه المسلمون ومقاومة القوى الغازية والمسيطره .

وان فشل العلمانيين على مدى عشرات السنين رغم وجود أسباب القوة والسيطرة ووسائل التوجيه ووجود مقاليد السلطة في معظم المناطق في أيدي دعائها هذا الفشل الواضح اليوم بازدياد الايمان بمفهوم الإسلام الاصيل كخرج لهذه الأمة من من أزمتها ، لدلائل واضح على أن هذه الأمة قادرة على دفع الجسم الغريب ، وأنها تستمد قوتها من قيمتها الأساسية ومن المحافظة على ذاتيتها وأنها تضحي في سبيل هذا على بكثير من المعطيات المادية .

أنا نتطلع إلى الرؤية الإسلامية الشاهله كخرج من الازمة والاحتواء بعيدا عن الجازمية والانشطارية التي هي صفة الفكر الغربى : هذا المنهج الرباني الواسع الاطر الخالد الى الزمن القادر على العطاء في مختلف البيئات والعصور ، هو وحده الملجأ والملاذ .

أن نقطة انطلاق هي أن يعترف المجتمع بآنتهاء إلى الإسلام وما يقتضيه هذا الانتهاء من التزام وسلوك .

زيد الجبل الجديد المنحدر من الترف والربا والخر والميسر ، القائم على حدود الله ، يحل جلاله ويحرم حرامه ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبناء الاخلاق الإسلامية والارادة الفردية القادرة على التغيير .

أن هناك قوة إسلامية حقيقية اليوم : هي الثروة والطاقة والنقد للبشرى من شأنها أن تغير مسيرة التاريخ الإنساني والعالمى خلال أقل من مائه عام فعلى المسلمين تأصيل وجهة هذه الثروة .

أن هناك صخور إسلامية حقيقية الآن واجمواته امنه من الداخل والخارج رغبة في اجهاضها قبل أن تستوفى موعدها الحقيقى ، لابد من

ممايتها . أن الغرب اليوم بجول بين عالم الإسلام وإملاك أرائه وإقامة
مجتمعة وأستئناف حضارته ، لابد من اسلمة مناهج التعليم والثقافة
والقضية وتصحيح المناهج العلمية في مجال الاخلاق والتربية والاجتماع
الاقتصاد والسياسية .

وإذا كان التعليم لم يخرج عن نطاق العلمانية فعلى الثقافة الإسلامية
أن تكمل النقص ، وإذا كان المجتمع الإسلامى لم يخرج عن نطاق التبعية
فعلى الأسرة المسلمة أن تبنى افرادها ؟

هذا وبالله التوفيق ؟

عقبات طريق النهضة

عشرات المؤلفات والدراسات كتبت بأقلام أجنبية وعربية في تحليل ومراجعة (تاريخ مصر الإسلامية) منذ الحملة الفرنسية إلى نكسة ١٩٦٧ ولكن واحدا منها لم يصور حقيقة هذا الخطر الذي واجه الأمة الإسلامية منذ ذلك التاريخ ولا التحديات التي واجهت بلاد الإسلام نتيجة حملة نابليون الفرنسية ولا الاحتلال الإنجليزي وما استتبع ذلك من تبعية سياسية وخضوع فكري وثقافي وغزو اجتماعي وسياسي كان له أبعد الأثر في فرض السيطرة الغربية في مجال الاقتصاد والصحافة والتعليم والمسرح وما كان لذلك كله من آثار تفريغ شباب المسلمين من عقيدتهم السمحة وإحتوائهم داخل أطر من التبعية والسيطرة تحت اسم الحضارة والمعاصرة والحدثة والتقدم فنحن هنا في هذه الدراسة ولأول مرة نكشف وجهة الإسلام في هذه المخاطر التي ألتمت بالوطن الإسلامي ومصر منذ الحملة الفرنسية إلى الاحتلال البريطاني إلى نكسة ١٩٦٧ التي أفقدت المسلمين القدس وجعلتها عرضة للخطر الداهم : خطر فقدان الذاتية الإسلامية على النحو الذي يكشف عن تفاصيله هذا الكتاب الذي يقدمه الاستاذ انور الجندى ضمن «موسوعته التاريخية الإسلامية» .

دار الاعصام